

نازك الملائكة



المجلس الاعلى للثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة • الجزء الأول

◆ مأساة حياة ◆ عاشقة الليل
◆ أغنية الإنسان ◆ شظايا ورماد

نازك الملائكة

الأعمال الشعرية الكاملة

(الجزء الأول)



٢٠٠٢

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٧٦٦٧
I.S.B.N. 977 - 305 - 332 - 6

◆ مأساة حياة

◆ أغنية الإنسان

◆ عاشقة الليل

◆ شظايا ورماد

تقدمة

أ.د عبده بدوى

- ١ -

كان كل شيء يساعد على أن تكون «نازك الملائكة» مميّزة في عالم الشعر، فقد عاشت نفسياً في مناخ عربى كان الشعر أوضح ملامحه، فقديماً تنتمى إلى المناذرة الذين استقروا في إمارة «الحيرة»، وكان في طبيعتهم «النعمان بن المنذر»، وحديثاً نعرف أنها كانت وليدة ما يسميه ابن رشيق «البيت الشعرى»^(١)، فقد كان جدّها لأُمّها محمد حسن كبة إماماً في الفقه، في القرن التاسع عشر وأوضح الشعراء في هذا القرن، أما أمّها «سليمة عبدالرزاق» فهي صاحبة ديوان أنشودة المجد، ووالدها صادق مدرس النحو كان يتعاطى الشعر، وله أرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، وصف فيها رحلته إلى إيران عام ١٩٥٦، كما قال الشعر خالاهما: جميل وعبدالصاحب، ومن خلال هذا الزخم الشعرى كان الاهتداء إلى تجربة جديدة في العصر الحديث، فيما يسمّى «الشعر الأسرى المشترك»، فقد كانت الشاعرة والأم، والخال عبدالصاحب يجتمعون، ثم يكتب أحدهم بيتاً كمطلع لإحساس يشغله، ثم تمر الورقة عليهم، وكل واحد يضيف بيتاً على الوزن والقافية حتى تنتهى القصيدة، والشاعرة تقول «فتحنا أعيننا على الشعر وأنغامه، وقرأنا العروض معاً، وعشنا صباناً نتبادل قصائد الدعابة، وننظم الأهاجى الفكاهية، والألغاز، والتاريخ، والتشطير، والتخميس والموشح، والدوبيت، ومازلنا حتى الآن نجتمع لنظم القصائد المشتركة، وأحياناً نتبادل رسائل منظومة من أولها إلى آخرها»^(٢).

والملاحظ أن الشاعرة قد أخلصت نفسها للشعر من وقت بعيد، وبخاصة شعر المطولات، فقد كتبت «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» في ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة، أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥، ١٩٤٦، وثانيهما نظم سنة ١٩٥٠، وثالثها كان عام ١٩٦٥، وهى تؤرخ لهذا العمل المركب فتقول: كنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الإنجليزى، فأعجبت بالمطولات الشعرية التى نظمها الشعراء، وأحببت أن يكون لنا فى الوطن العربى مطولات مثلهم، وسرعان ما بدأت قصيدتى وسميتها «مأساة الحياة» وهو عنوان يدل على تشاؤمى المطلق، وشعورى بأن الحياة كلها ألم وإبهام وتعقيد^(٣)، وهى متأثرة فى كل هذا بقراءة للفيلسوف الألمانى «شوبنهاور» جاء فيها: «حتام نصبر على هذا الألم الذى لا ينتهى؟ متى نتدفع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حب الحياة أكذوبة، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت؟» بل إنها تقرر أن تشاؤمها فاق تشاؤم شوبنهاور، لأنه - كما يبدو - كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان، أما هى فلم تكن ترى كارثة أقسى من الموت «وذلك هو الشعور الذى حملته من أقصى أقاصى صباى إلى سن متأخرة»^(٤).

والملاحظ أن الشاعرة كان عندها دائماً استعداد لقبول الجديد، والتطور، فإلى جانب الأخذ بالمطولات من البحر الخفيف الذى يجرى بين يديها كما يجرى نهر عريض فى أرض منبسطة، نراها تلاحظ أن القدامى يستعملون تفعيلة الخبب (فعلن)، ولكنها ابتداء من أول «قصيدة حرة كتبتها عام ١٩٤٧، حولتها إلى تفعيلة (فاعل) وتقول: وأنا أقرُّ بأننى وقعت فى هذا الخروج من غير عمد، وقد ألفت أن أنظم الشعر بوحى السليقة، لا جرياً على مقياس عروضى... ومن ثم فإن (فاعل) قد تسربت إلى تفعيلاتى الخبية وأنا غافلة، وحين نبهنى خالى «جميل» إلى هذا كان جوابى: إن أذننى على ما مر بها من تمرين، تقبل هذا الخروج، ولا ترى فيه شذوذاً، فليس هو خطأ وقعت فيه،

وإنما هو تطوير سرت إليه وأنا غافلة، ومعنى ذلك أن (فاعل) لا تمتنع في بحر «الخبب»، لأن الأذن العربية تقبلها فيه، ثم إن التفعيلتين، فعَلن وفاعل متساويتان من حيث الزمن تساويًا تامًا، لأن طولهما واحد، فكلتا الوجدتين مكونة من ضربتين قصيرتين، وضربة طويلة، وإنما تقع الطويلة في مطلع (فاعل) وفي آخر (فعَلن) ومن الناحية الموسيقية يستوى عدد الأجزاء في التفعيلتين، فكلاهما يتألف من أربعة أجزاء^(٥).

وفي هذا الوقت المبكر كان الاهتمام إلى «الهيكل الهرمي»^(٦) الذي يمنح الأشياء بعدها الرابع، شريطة أن يتوفر فيه: التماسك، والصلابة، والكفاءة، والتعادل، بالإضافة إلى صلاحية بحر الخفيف للمطولات، وتقديم الجمل الطويلة دون تقطع، وعدم التقيد بقانون استقلال الشطر أو البيت، والتركيز على أن الشعر ليس موهبة وحسب، وإنما هو نظم قبل ذلك، وأخيرًا فلا بد من العودة إلى علم العروض والقافية والضرائر، وإلى التعرف على أساليب التكرار، ودلالته، وأخيرًا فقد كان التعرف على أسلوب «البند» الذي كان غامضًا في المسيرة الشعرية، ولم يلتفت إليه الخليل بن أحمد، ولا العرضيون من بعده، لأن الوزن فيه كان يقوم على أساس التفعيلة دون الشطر، وحقيقة الأمر أن البند خلافًا للشعر العربي كله يستعمل بحرین هما الهزج والرمل، فإذا كان القدماء يذكرون أنه يعتمد على الهزج فقط، فالقاعدة عندها للبند أنه شعر حر، تتنوع أطوال أشطره ويرتكز على دائرة (المجتلب)، مستعملًا منها الرمل والهزج معًا^(٧).

المهم أن الأسرة التي عرفت بالملائكة، لما فيها من هدوء ووداعة، لاحظت أن ابنتها ستكون شاعرة، وكان أن عاملتها معاملة خاصة، وأعفتها من الأعباء المنزلية ثم كان الانتقال من المنزل القديم عام ١٩٣٠ إلى منطقة شاعرية، فاليث يقع بين بستانين كثيفين مليئين بالأشجار الباسقة من نخيل،

وتوت، وبرتقال، ونارنج، ومشمش، وإجاص... الخ، والشارع نفسه كان
بستانا مغطى بمنطقة خضراء مخترقة بنهر... وعلى مسافة قصيرة كان نهر
دجلة.

- ٢ -

أما تعلمها فقد سار في طريقه الطبيعى، وتم تخرجها بليسانس الآداب
عام ١٩٤٤، من غير مفارقة للشعر، فقد بدأت تكتب الشعر بالعامية فى سن
السابعة^(٨)، وفى سن العاشرة كتبت قصيدة بالنصحى، وعندما قرأها الوالد
استشاط غضباً لأنها وقعت فى خطأ نحوى، وكان أن قال لها: إذهبي أولاً،
وتعلمي قواعد النحو، ولما كانت مدرستها لا تفرق بين الفاعل والمفعول، فقد
أخذت على عاتقه تعليمها النحو، وإرشادها إلى التعرف على مراجعه ومصادره،
وقد عاشت مشغولة بهذه المادة، فحين دخلت دار المعلمين العالية، اختارت
فرع اللغة العربية، وحصلت على درجة الليسانس مع مرتبة الامتياز، وكانت
رسالتها فى الليسانس فى موضوع نحوى هو «مدارس النحو» بإشراف الدكتور
مصطفى جواد، وفى هذه الفترة أكثر من القراءة لمحمود حسن اسماعيل،
وبدوى الجبل، وأمجد الطرابلسى، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخورى، أما أمها
فما كانت تقدم على الرصافى أحداً، كما أحببت اللغة اللاتينية، وكتبت نشيداً
لاتينياً بعد أن استمعت إلى أغنية مشهورة اسمها Attheballalike^(٩)، كما أنها
توغلّت فى آداب الإنجليزية، وأحببت شللى، كما أحببت شكسبير، وترجمت
إحدى سونيّاته، وفى الوقت نفسه درست الموسيقى فى معهد الفنون الجميلة،
ولحنت من شعر أمها «نشيد العرب»، وكان اللحن على نغم «النهاوندى»^(١٠)
وهى نفسها تقول «كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس
أنفاسى إذا سمعت صوت عبدالوهاب، وأم كلثوم يحمله حاكى كان يدور فى
بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ، لأى أغنية أسمعها»^(١١)، وهكذا كانت

ثقافتها ابتداءً محكومةً بالعروض والموسيقى، على الرغم مما يذكره الدكتور إبراهيم أنيس «لا يبدو من كلامها أنها اتصلت بدراسة الموسيقى من قريب أو بعيد، لنعتد بآرائها في الحديث عن نغمات الشعر، وإيقاعاته»^(١٢) زد على ذلك ولعها بالموسيقى العالمية، وبخاصة موسيقى «تشايكوفسكى» فقد سمته القيثارا الإلهية، واحتفلت بذكرى مرور أربع وخمسين سنة على وفاته.

سأحب الحياة من أجل الحـا نك، يا بلبلـى الحزـين وأحـيا
سأرى فى النجوم من نور أحـلا مك ظلا مـخلداً أبديـا

زد على ذلك دراستها للتمثيل لإجادة فن الالقاء^(١٣)

وبعيداً عن عالم الموسيقى نرى حياة مليئة بالتمزق والخوف والموت، وفقدان السعادة، والتشكك فى وجود المطلقات^(١٤)، على نحو ما نعرف عن مطولة (مأساة الحياة)، ومن ديوانها الأول (عاشقة الليل)، ففي هذه الفترة كانت تجتاز عالم المراهقة، وكانت لا ترى شيئاً إلا ويعلوه الخوف، والرحيل والموت.

ها أنا أرحل يا أشجار عنك تحت عبء من شرودى وخشوعى
ليتنى أجرو أن ألقى عليك نظرةً ثانية.. دون دمـوع
آه يا أشجار، لا، لا تذكرينى فأنا تمثال يأسٍ بشـرى
ليس عندى غير آثار حنينى وبقايا من شقائى الأبدى

وحين كانت تترجم عن الإنجليزية كانت تترجم ما يتفق وحالتها النفسية، كقصيدة «البحر» للشاعر ج.غ. بايرون، وقصيدة مرثية فى مقبرة ريفية للشاعر توماس غرى، وقصيدة «النهر المغنى» للشاعر كريسمس همفريس، وقصيدة «أسفار» للشاعر روبرت بروك، كما ترجمت عن الفرنسية لبروسبير لانسمين وبيطء تقترب من دائرة الاغتراب الاجتماعى، فتقول

وأنفر من كل ما فى الوجود وأهربُ من كل شئ أراه
ففى عمق نفسى صوتُ غريب يُعَلِّم قلسبى ازدرء الحياه
ويصرخ بى: اهربى. اهربى ويتعبُ إحساس روى صده

.. وبعد عاشقة الليل، انتشر وباء الكوليرا فى مصر، وسمعت أن عدد الموتى وصل الى مائة إنسان، فكتبت قصيدة فى الشكل القديم، ثم أعادتها، وأحست أن هذا الشكل المتوارث لا يعبر تماماً عما فى داخلها، وفى يوم الجمعة ٢٧ / ١٠ / ١٩٤٧ سمعت أن عدد الموتى وصل إلى ألف، وحين أعادت الكتابة للمرة الثالثة، قرأت ما كتبت علي أختها «إحسان»، فتحمست لما سمعت، وحين أسمعها لأمرها قالت: ما هذا الوزن الغريب؟ الأشر غير متساوية، والموسيقى ضعيفة، وحين سمعها الوالد سخر، وقال: ما هذا الموت. الموت، الموت وكان أن ضحك الأخوة/ فقالت بتحدٍ: قصيدتي هذه ستغير خريطة الشعر العربى^(١٥).

.. وفى عام ١٩٤٩ صدر ديوان «شظايا ورماد» بمقدمة وافية، أوجزت فيها نظرية عروضية لشعرها «وميزة هذه الطريقة أنها تحرر الشاعر من طغيان الشرطين فالبيت ذو التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة السادسة، وإن كان المعنى الذى يريده قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يريد، ثم إن القافية- ذلك الحجر الذى تلقمه الطريقة القديمة كل بيت - حرمتنا من الملحمة، وأنها تضيف على القصيدة لوناً رتيباً يمل السامع، فضلاً عما يثير فى نفسه من شعور بتكلف الشاعر، وتصيده للقافية^(١٦).

فإذا جئنا للقصائد نرى أنها تدور فى عالم بائس وحزين ومرهق، فهى تتكلم عن الضياع، والجرح الغاضب، والأفعوان، والجحود، والأجراس

السوداء ونهاية السلم، وأغنية الهاوية، وكثير من الموتى، وبخاصة موتى الكوليرا، ولعل وراء ذلك إصابتها بحمى شديدة فى هذه الفترة، أحست معها أنها على حافة الرحيل^(١٧)، بالإضافة إلى الإحساس^(١٨) الشديد بالغربة، والانسحاب من الحياة، وتجيئ مرحلة سفرها إلى أمريكا لدراسة النقد الأدبى فى جامعة «برنستون» عام ١٩٥٤ .. ثم يأتى ديوان «قرارة الموجة» فى عام ١٩٥٧، فتستمر ظاهرة الحزن، والقلق الوجودى، بل إنها تستدعى الحزن على أمها كما فى «ثلاث مرث لأمى»، وتصور لنا مقدم هذا الحزن كما فى «مقدم الحزن»

أفسحوا الدرب إنه جاء خجلا ن، رقيق الخطى، كئيب الجبين
الندم الحساس، ذو الأعين الغرّ قى بتاريخ ألف سر حزين
إنه مطعم العون العميقا ت، وينبوع كل دمع سخين^(١٩)

ومع أن هناك شبهة حب بائس، إلا أنه ينتهى دائما بالقطيعة والغياب، كما فى قصائد «الزائر الذى لم يجرى». و«الشخص الثانى»، و«عندما قتلت حبيبى»، فالحبيب فى كل هذا غير مرغوب فى زيارته، فحتى لو جاء لكان الحلم بالزائر المستحيل، ثم إن الشخص الثانى سيمحو الشخص الأول، وحين تتم عملية القتل ستكشف أنها لم تقتل سوى نفسها:

ومع أنه قد أتاحت لها فرصة التأمل حين سافرت للولايات المتحدة للدراسة فى الخمسينيات لتكتب قصيدة بعنوان «الوصول»، ولتقول لأول مرة:

سأحب نفسى فى ارتعاش ظلالها تحيا عصور

ملأى بألوان الخيال

وهناك فى أحنائها ألقى الجمال

لكنها تعود لمحاكمة نفسها، وتواصل خط الضياع، والخوف، والانقسام
على النفس

يا صمت نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرى سنين

ضاقَتْ بتطوافي البحار

وشكا النهار

ما حَمَلْتَهُ رَوَاي من عبء الحنين

لم أَلْقَ غَيْرَكَ لى نصيرا

فى ظلمة الليل المضلّ

فافتح لى الباب الأخير

دعنى أمر

أنا وظلى^(٢٠)

وهكذا حملت حزنها معها، وعادت به، بعد المرور على إيطاليا،
وجنوب فرنسا. . وفى عام ١٩٦٧ صدر ديوان «شجرة القمر»، ونلاحظ فيه
أنها بالإضافة إلى عالمها النفسى الحزين المتشائم، أضافت خطأ جديداً وطنياً،
ذلك لأنها اهتمت اهتماماً خاصاً بثورة «رشيد الكيلانى» على «نورى السعيد،
وعبدالإله، والإنجليز»، فقد تفجرت حماسة لتلك الثورة، ونظمت فيها عدداً
من القصائد، ولكن لم يكن هناك مجال لنشرها، ذلك لأن الثورة سرعان ما
انتكست، ودخل عبدالإله على دبابات الجيش البريطانى، ونصبت المشانق
للأحرار، وحين نجحت ثورة ١٣ تموز عام ١٩٥٨ كتبت قصيدة «تحيةة
للجمهورية العراقية»

فرح الأطفال بضمة حب أبويه

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمسة نسائم ثلجيه

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهوريه^(٢١)

فقد أثرت في حياتها أعنف تأثير ولكن عبدالكريم قاسم انحرف بها، فأقامت في بيروت عاماً، ثم إنها غنت لعبدالسلام عارف في قصيدة «وردة لعبدالسلام عارف» في مساء اليوم الذي اعتقل فيه^(٢٢) وتزوجت في منتصف عام ١٩٦١ بعد العودة من الدكتور عبدالهادي محبوبة، وقد ساقها هذا الالتفات الى عالم القومية العربية، فكتبت «أغنية للأطلال العربية»، وختمتها بقولها

فيا عربى.. أصخ لنداءٍ تحدرّ من رَحْبَةِ المدنيه
وقف حاسراً تحت ضوء النجوم على ريع تلك الطلول الأبيه
وقل: يا رمال الجزيرة، يالحد — من ملحمة العرب الأزليه
غداً ستعود إليك الحياة تعود مع الوحدة العربيه^(٢٣)

ثم كتبت «ثلاث أغنيات عربية»، جعلت في مقدمتها كلمة «لقد دقَّتْ ساعة العمل الثورى»^(٢٤)، وكما دندنت حول فلسطين، حلمت بالوحدة العربية، في قصيدة الوحدة العربية^(٢٥)، وانتظرت إعلان الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣^(٢٦)، والملاحظ أنها نغمت الصياغة، وحافظت عليها، وقسمت الشطر على أساس المعنى دون الوزن، وطالبت بأن يركز الشعر الحر على نوع من

القافية الموحدة، فذلك يزيده موسيقى وجمالاً، وهناك من يرجع لفتها المقفأة إلى الانتماء القومي في هذه الفترة^(٢٧)، وهي نفسها تقول: من قال إن الشاعر الموهوب يستطيع أن يبدع أى شئ في غير الإطار اللغوى لعصره^(٢٨)، والملاحظ أنها ركزت على أن فكرة الجمال في الحياة هي بعينها فكرة الجمال في الفنون، وأن الحرية وراء كل منهما، وأن مجئ الزائر المنتظر إذا كان يمثل القمة، فتحققه ينذر بالمنحدر^(٢٩).

وإذا كانت لم تنس قضية فلسطين، فإن تذكرها تضاعف في ديوان «المصلاة والثورة» الذي صدر عام ١٩٧٥، بعد فترة انقطاع استمرت ثلاث سنوات، وقد كان الدافع وراء ذلك إنها تلقت بطاقة تهئة بعيد الفطر، وكان مرسوماً على البطاقة صورة لمسجد قبة الصخرة بالقدس، فما كادت ترى الصورة حتى زلزلت زلزالاً شديداً، وأسرعت بالكتابة على ظهر البطاقة هذه الأشرطة

يا قبة الصخرة

يا ورد، يا ابتهالة مضيئة الفكره

ويا هدى تسبيحة علوية النبره

يا صلوات عذبة الأصداء

جاشت بها الأبهاء

يا حرقة المجهول، يا تعطش الإنسان للسماء

يا ولع الركوع يا طهره

يا وردة الخشوع، يانداه، يعطره

واستمر تدفقها الشعري، وكان ديوان «الصلاة والثورة ١٩٧٨م» أما الصلاة فهي رمز الجانب الروحي فينا، هي الورود التي تنبت في النفس الإنسانية من أثر اتصالها بالمنابع الأزلية الجميلة، منابع الله... والثورة مرتبطة أشد الارتباط بالصلاة، وكما قالت

متى نصلي؟ إنما صلاتنا انفجار

صلاتنا ستطلع النهار

تسلح العزل، تعلو راية الثوار

صلاتنا ستشعل الإعصار

ستزرع السلاح والزنبق في القفار

تحول اليأس إلى انتصار

«فالصلاة هنا معادل حي للقيم الثورية، والقيم الجمالية، والقيم الإنسانية، وهي تربية للروح والجسم، وإكمال لإنسانية الإنسان»^(٣٠)، ثم تتعرض لقضية الشكل فهو - بصفته المطلقة - صيغة جمالية مبرأة من العيوب، سواء أكان حراً أم خليلاً، وإنما تأتي العيوب من الشعراء، هذا مع الاتفاق على أن لكل عصر لفظة مزاجية، قد تجعله يؤثر شكلاً من الأشكال على سواه، هذه اللفظة ترتبط بسمة العصر الحضارية في الأساس^(٣١)، وفي هذا الديوان نجد قصيدتي «الملكة والبستان»، و«سبت التحرير»، ليستا من الشعر الحر، وإنما من البند في صورة حديثة، وهذا يسوقنا إلى الحديث عن بحر حين كتبت عن ابنتي داليا «خضراء براءة مغدقة» ثم توقفت عند هذه العبارة، حين وجدت أن وزنها «مستفعلين. فاعلن. فاعلن» ومن هنا كانت قصيدتها «تحية للطفلة دالية»^(٣٢)، وقد دار حول هذا البحر نقاش كبير، خاصة بعد أن كتبت دراسة عنوانها «ميلاد بحر جديد في الشعر العربي»^(٣٣)، وتصدى لها الدكاترة

نور الدين صمود، وعبد اللطيف عبد الحليم، وعبد العزيز الدسوقي بدعوى أن هذا الوزن وجد في الشعر الأندلسي في نص محدود، وإن كان الدكتور شعبان صلاح قد فصل في هذه القضية فقال «لا يستطيع الباحث المنصف أن ينحى باللائمة على أى من الشاعرة نازك الملائكة، أو الشاعر الدكتور عبده بدوي، حين ظنا هذا الوزن مخترعاً، وليس قديماً، إذ أن ما صيغ عليه في القديم لا يعدو أبياتاً، لا تشكل ظاهرة، ولا تلفت انتباهها، فضلاً عن أن تقرأ في وجدان شاعر مدى طويلاً، فلعل الشاعرة قرأت النموذج الأندلسي منذ زمن، ثم صاغت عليه- حين صاغت- غير واعية بأنها مسبوقه بتلك النغمة^(٣٤)، وحين تحدثت معها في هذا الشأن قالت: يعلم الله أنني لم أقرأ هذا النص القديم، وبالتالي لم أصغ عليه، ولكن لعله المناخ العام لحضارة المشتغلين بالشعر العربي^(٣٥).

وأخيراً فالشاعرة في هذا الديوان، شغلت نفسها بما يدور في العالم العربي، فتكلمت في قصيدة القنابل والياسمين، عن ليلة ١٠ / ٤ / ١٩٧٣، حين اقتحم الجيش الصهيوني بيروت وصيدا، وكان نصف البيوت، وقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم هاجم مخيم الفدائيين وغادر البلاد دون أن يعترضه أحد^(٣٦)، ثم تتكلم في «اختلاجات نحو القمة البيضاء» عن الطريق المسدود أمام العرب.

كيف أهرب؟ إن طريقى مقفل

وستارى البليد الكثافة مسدل

وستارى مسدل^(٣٧)

ثم تتكلم عن «سبت التحرير»، وكيف بدأت قواتنا العربية تحريرها لسيناء والجولان، وسجلت نصراً كاسحاً، ولكن أميركا تدخلت، وطالبت

العرب أن ينسحبوا إلى مواقع ما قبل يوم السبت - ١٠ رمضان^(٣٨)، وكعادتها زارت القاهرة، وحيثها قبل حرب رمضان ثم كانت الحرب والانفعال بها في قصيدة «الماء والبارود» في ديوان «يغير ألوانه البحر-١٩٧٧»، والتي تضرعها بكلمة الله أكبر، وبقصة هاجر، والطفل إسماعيل، والسعي بين الصفا والمروة، وقصة انفجار الماء في رمضان لفرقة من الجيش المصري في سيناء كانت صائمة^(٣٩)، ومن هنا تكون قد أدارت ظهرها وشعرها للرموز الإغريقية على وجه الخصوص، وتكون قد دارت في فلك جديد، هو فلك «المليك».

إنني أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنيني

إنني أنبذ شكى وفتونى

وإلى الشمس، إلى أعلى الذرى

يمتد جذعى وغصونى

حيث ألقى فى المدى وجه مليكى

كبياض الثلج، كالأنجم

كالفل ألاقه مليكى

.. حبه. حب مليكى. رحلة فى اللانهايه

وجهه يستغرق الكون، ومن آفاقه تبدأ لى كل بدايه^(٤٠)

فهى قد دخلت فى عالم جديد، علمت فيه نفسها، وتجاوزت تشككها فى المطلق^(٤١)

باسمك. باسمك. باسمك. باسمك

يا ضوئى. يا عطرى. يا مجدى. يا نجمى

المهم أنها اهتدت إلى اللجوء إلى مرفأ جديد، ومن ثم كانت ابتداء
قصيدة «الهجرة إلى الله» التي تدور حول وجوده في كل شيء، وحول وجوده
في نفسها

مليكى، أنت طعم الصيف في عمري

وأنت تألق الأعمار

وأنت عذوبة الواحات في قفري

وأنت تبلج الأسرار

وأنت تدفقي، أنت انبثاق الضوء والعطر

نثرت الخصب واللؤلؤ فوق شواطئ الخضر

وفي روحى سكبت النار

لك الأوراد والصلوات أنثرها

فذا عينيك يا مليكى، يواقيتى أكسرها^(٤٢)

وهذا اللجوء إلى الله يسوقها إلى اللجوء للرسول، فتقدم «زنابق صوفية
للرسول»، وتكتب تصوراً للرسول في صيغة معاصرة، بعيدة عن كل ما عرف
باسم البردة ونهجها، فالرسول طائر حط قربها، وامتص قلبها، وكان بينهما
حوار، ليس مثله حوار، وليس مثله طائر.

وطارت الطير في الصباح

ولم يطر أحمد، ظل قربي

وظللتنا سحب مبقعة بالضياء

كنا نغنى

للحب، للبحر، للسماء

تكسرت فى غنائنا الشمس، والمرافىء، واللانهايه

والمد جاء

يلثم أقدامنا، يتكسراً

أحمد. أحمد

نحن أنا وأنت والأعلى

ليل، وصمت

والله فى روحنا غناء^(٤٣)

وكانت قصيدة «دكان القرائن الصغيرة»^(٤٤) التى تدور حول إنسانة تبحث عن مصحف هدية لحبيبها فىقال لها فى «مندلى» وهى كلمة تساوى كلمة «يوتوبيا»، وقد سافر الحبيب دون الحصول على الهدية، وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا، تنبت الرمان والبرتقال، وسواها من الفاكهة، ثم تكتب ميلاد نهر البنفسج^(٤٥)، ويقدر ما يقترن التجاوز من العالم المادى، يكون التعامل مع النار

ففى أغصانى النشوى يكاد يسيل نسغ النار

وتنطوى رمزية الرحلة الصوفية فى هذه الأسفار النارية، على ثلاثة طرق متعاقبة، أو ثلاث دوائر نارية متتابعة، ترقاها النفس من الأضيق إلى الأرحب، ومن الأدنى إلى الأعلى، فإذا وصلت النفس إلى غايتها اتصلت،

وإذا اتصلت بالكلية عن كليتها انفصلت، كما قال المتصوفة، وعلى كل فالدائرة الأولى للنار- هي الدائرة الصغرى، والهوى الأول، والحس الترابى، والدائرة الثانية هي الوسطى، حب الأرض، والوطن، والأمة، والدائرة الثالثة العليا هي دائرة الملك، الحبيب الأول والآخر^(٤٦)، المهم أن الشاعرة وصلت إلى هذه الدائرة الأخيرة بعد مجاهدة، وبهذا تكون قد اتصلت ومن هنا ينتهى السفر، وتصل المجاهدة إلى غايتها الأخيرة، بالصعود صوب وجه الملك، وفى هذا المجلى الصوفى، ينسرب ما يمكن أن يسمى «النور المحمدى»، ليوازى «أبد الضوء» الذى يطلع من كل الجهات، فى «زنابق صوفية للرسول»، وهى نفسها لها رأى فى التصوف فتقول: «تسألنى عن التصوف، ولست متصوفة، إلا إذا كان حب الله العلى القدير، يكفى وحده لاعتبار المرء متصوفاً، فأنا شديدة الحب له سبحانه، وأقضى أوقاتاً طويلة فى بعض الليالى أناجيه، وأمجده، وأتغنى بجماله، وروعة خلقه».

- ٤ -

إذا كان لها دور فى «التنظير الاجتماعى، على حد ما نعرف من كتابها «التجزئية فى المجتمع العربى ١٩٧٤»^(٤٧)، فإن لها دوراً فى التنظير الأدبى، على حد ما نعرف من مقالاتها، ومن كتاب «الصومعة والشرفة الحمراء»^(٤٨)، فقد أبدت إعجابها به، لأنه كتب من أوزان عربية قل استعمالها مثل المنسرح، ومثلت لهذا،^(٤٩) ولأنه لم يستجب لدعوى المزج بين البحور إلا فى قصيدة واحدة، مزج فيها بين البحر السريع، والبحر المتقارب، ولأنه كتب من «الموشح المسترسل»، ومن «الموشح الوصفى الغنائى»، ثم كان رد اعتبارها للقافية، وإثبات أن عروضها مستمد من عروض الخليل، وإنه يمكن أن نستخرج من كل قصيدة حرة، مجموعة قصائد خليلية وافية، ومجزوءة، ومشطورة، ومنهكة، فللشكلىين مزايا وعيوب، وهى حريصة عليهما معا،

وعلى إقامة توأمة بينهما، «مع ملاحظة أننى لا أخطو خطوة فى تقنين قاعدة إلا بعد استشاره عروض الخليل الذى خبرت مداخله ومخارجه طويلاً»^(٥٠).

أما دورها الواضح فى التنظير لحركة الشعر، ففى كتابها «قضايا الشعر المعاصر» ١٩٦٢م المهدى لجمال عبدالناصر، نرى المقدمة حريصة على إثبات أن حركات التطوير تلك إنما كانت بدافع الرغبة إلى الجديد، وليست تخلصاً من قسوة عمود الشعر وكرامته، وإلا ما ذهب «المعري» وغيره إلى الزيادة فى القيود.. . كما أن حركة الشعر الحر مرحلة تطويرية لعروض الشعر العربى، وليست مقتبسة عن الشعر الغربى، وإن كانت تشبهه فى بعض الوجوه، إذ ليس كل شبيه مستمداً من شبيهه^(٥١)، أما الشاعرة فتؤكد ابتداءً أن الشعر الحر ليس حفيداً للبند، وأن هناك قصائد نظمت قبل عام ١٩٤٧ من الشعر الحر، ولكنها لم تتعرف عليها، ثم إنها وضعت أربعة شروط يجب أن تتوافر فيما قيل، وحين نحكمها نجد أن ما قيل قبل عام ١٩٤٧ كان «إرهاصات» تنبأ بقرب ظهور حركة الشعر الحر^(٥٢)، ولعل العصر نفسه لم يكن مهياً لتقبل الشكل الجديد إذ ذاك، ولذلك جرف الزمن ما صنعوا، وانطفأت الشعلة فلم تلتهب حتى صدر «شظايا ورماد» عام ١٩٤٩، وفيه دعوتى الرسمية الواضحة إلى الشعر الحر على أن فى مقدمة ما كان يشغلها هو محاولة الابتكار، فمن المعروف أن بحر البسيط التام هو «مستفعلن. فاعلن. مستفعلن. فاعلن»، وأن مخلعه هو «مستفعلن. فاعلن. فعول» وقد لاحظت أن من الممكن أن تقسم هذا البحر إلى تفصيلتين، فى الشطر الواحد، بحيث يصبح هكذا «مستفعلاتن. مستفعلاتن. مستفعلاتن. مستفعلاتن» وفى ضوء هذا يكون بحراً صافياً يضاف إلى شعر التفعيلة، إذا أضفنا حرفاً واحداً على مخلع البسيط الخليلى، بحيث يصبح مستفعلن. فاعيلن. فعولن

«وأظنتى قد استفدت من تفعيلات الرصافى فى استخراج هذا البحر الجديد من بحور الشعر الحر»^(٥٣) وما كادت تصل إلى هذا، حتى كتبت قصيدة «زنايق صوفية للرسول»، وفى الوقت نفسه لاحظت أنها وقعت فى خطأ، لأنها كانت تقول «مستفعلاتن. فعولن. فعولن. فعولن».

ومعنى هذا، أنها كانت تتقل من تفعيلة الرجز إلى تفعيلة المتقارب، ولكنها حين كتبت قصيدة «نجمة الدم» التزمت فيها بتفعيلة مستفعلاتن التزاماً تاماً «والحقيقة أننى لا أدعو أى شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختل، واعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين: «زنايق صوفية للرسول»، و«تمتمات فى ساعة الإعدام»، ولا شئ أدافع به عن نفسى، إلا كون هذا الوزن ابتكاراً منى، ولم يستعمله الشعراء قبلى، بحيث تكون أمامي نماذج، وأكون مجهزة بتجارب»^(٥٤)

- ٦ -

وهكذا كان اهتمامها باللغة العربية وتراثها الأدبى، نحواً وصرفاً وإيحاء^(٥٥) وأما تجديدها فى العروض فيدور فى دائرة التعقل، والمحافظة ما أمكن على العروض الخليلى، وكما أن العالم متغير فاللغة والفن لا يقبلان الجمود^(٥٦)، وإنما يقبلان التجديد والتجدد، وهل الشعر، فى واقعه، إلا مقدرة الشاعر على استعمال اللغة بحيث تشع ألفاظها المعانى والظلال، والانفعالات، وإذا كان الشاعر لا يعترف بالأساليب والقواعد الرصينة، فكيف يصون شعره من ركافة الفوضى، وضعف الروح^(٥٧)

- ٧ -

ويبقى بعد ذلك عدد من القصائد لم ينشر فى ديوانها الشعرى، ويبدأ بقصيدة «الوردة الحمراء» المليئة بالشجن، والحزن، والنهاية غير السعيدة، ثم

«نجمة الدم» التي تتحدث عن المأساة التي تعيشها لبنان، ثم «الزرقاء والمدينة» التي تتحدث عن عين مازالت تجرى في المدينة، ولها قصة شعبية مازالت تتردد، وتستحيل إلى سوسنة ترش السلام، وطعم السكينة، في القلوب الحزينة، ثم «القمر على مزدلفة»، ففي فترة الحج، افتتنت بطقوس جمع الصخور من وادي مزدلفة تحت ضوء القمر ليلة العاشر من ذي الحجة، فقد كان القمر يثر مرجاناً على هذا المكان، ثم يكون حلم ليلة من ليالي رمضان، حين أصبح قلبها عصفور فجر يزقزق بين يدي الله، وكيف كان ذكره المسبحة، ووجهه المجيد، ولقياه أجمل وعد، وأخيراً تأتي قصيدة «سيمفونية السجاجيد» حين تتحول المدينة إلى سجاجيد سماوية، عليها صورة الكعبة، مجرد لمسها توبة.

سجاجيد، وتهمي أدمع الإيمان آلاف الثريات، وآلاف العناقيد وينزل خالق الأرض إلى الأرض سجاجيد.

في ضوء هذا تكون نازك الملائكة رائدة، وعلامة بارزة في الشعر الحديث، وفي الوقت نفسه تكون إضافة عاقلة في حركة التجديد والتجدد، وليس من المبالغة في شيء، إذا قلنا بأن حياتها قد تحولت إلى شعر خالص، فهي منضبطة في حياتها كالوزن الشعري، وحريصة على معرفة ما عند الآخر، ثم إن فيها الحزن والعمق اللذين يعتبران جناحين للشعر، بالإضافة إلى أنها من الشعراء الذين يتعاملون مع «النبوءة»، وأية قراءة عابرة لشعرها- تاريخياً- توضح أنها كانت تحس بالآتي، وتتعامل مع القادم، فكأنها زرقاء اليمامة العصرية.

... وأخيراً... فلعل من الوفاء أن تكون بداية ريادتها بقصيدة «الكوليرا» ١٩٤٧ التي لم يتنبه لها واحد من الشعراء المؤكدين، وأن يكون هناك مشروع إعادة طبع أعمالها في القاهرة، فالوفاء ضرورة بين الشعر وبين المدن.

ويبقى الشكر للمجلس الأعلى للثقافة الذي عهد إلى بتقديم وإعداد
الطبعة الثانية من ديوان الشاعرة التي تحققت لها الريادة الساطعة ما يقرب من
نصف قرن.

هوامش:

- (١) العملة ٢/٣٠٨.
- (٢) قضايا الشعر المعاصر ص ١٢٩ ط٤، وجريدة العالم العربى ١٩٤١.
- (٣) مأساة الحياة وأغنية للإنسان ص ٦، ولم يكن ديوانها الأول «عاشقة الليل»، قد ظهر للوجود أو طبع عام ١٩٤٧.
- (٤) نفسه ص ٧.
- (٥) نفسه ١٢٦، ١٣٠.
- (٦) نفسه ٢٣٦، وقد قدمته على الهيكل المسطح، والهيكل الذهني.
- (٧) قضايا الشعر المعاصر ١٩٦ ط٤ دار العلم للملايين.
- (٨) تعود للكتابة بها بين الحين والحين، كما فى قصيدة «ضيّعنا وردة»، التى ودعت بها ابنها البراق عند سفره للخارج للحصول على الدكتوراة، نظرات فى الشعر العربى الحديث. د. عبده بدوى ص ٣٢ دار قباء
- (٩) أجد فى اللغة اللاتينية سحرا يجتذب كيانى كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة - لمحات من سيرة حياتى وثقافتى ٧ مخطوطة - كما أنها اقتبست فى التقفية من أسلوب الشاعر الأمريكى إدجار آلان بو ١٨/٢.
- (١٠) أحد مقامات الموسيقى العربية، وهى مغرمة به، ولذلك يكثر ذكره فى شعر هذه المرحلة من حياتها
- (١١) لمحات من سيرة حياتى وثقافتى، بقلم الشاعرة - مخطوط
- (١٢) موسيقى الشعر ص ٥٠، ٥١ ط٤
- (١٣) بالإضافة إلى دراسة الميثولوجيا الإغريقية بكل تفاصيلها وإلى التعرف على الفرنسية بعد ذلك
- (١٤) نازك الملائكة. مقال سالم الحمدانى ٣٠٢.
- (١٥) لمحات من سيرة حياتى للشاعرة ص ٤
- (١٦) ديوان نازك الملائكة. المجلد الثانى ١٠ وما بعدها ط. دار العودة
- (١٧) ها أنا بين فكى الموت قلبا لم يزل راعشاً بحب الحياة
فحرام أن تدفن الآن يامو ت شبابى فى عالم الأموات
المجلد الأول، ٤٩٢ - ٥٠٢.
- (١٨) دراسات على يد ريتشارد بلاكور، وآلن روانر، وآلن تيت، ورونالد ستاوغر،

- وديلمور شوارتز، ومؤلفاتهم معروفة في التقد الأدبي، وبعد العودة بدأت صلتها
بمجلة الآداب والأديب، ودار العلم للملايين ببيروت.
- (١٩) ثم كان موت الأم في لندن والعودة بها في رحلة لا تنسى.
- (٢٠) ديوان نازك. المجلد الثاني ٣٦٩، كما كتبت هناك قصيدة لحن للنسيان
لم يا حياة
تدوى عذوبتك الطريقة في الشفاء؟
لم وارتطام الكأس بالفم لم يزل
في السمع همس من صدهاء؟
بالإضافة إلى قصيدة «الهاربون»
- (٢١) ديوان نازك الملائكة. المجلد الثاني ص ٤٤٩ ط ١
- (٢٢) نفسه ٤٧٩، ٤٨٠
- (٢٣) نفسه ٤٦٩ - ٤٧٣.
- (٢٤) نفسه ٤٩٦-٥٠٢ الكلمة لجمال عبدالناصر، ووضعت نكايه في عبدالكريم قاسم
- (٢٥) نفسه ٥٢٢-٥٢٩
- (٢٦) نفسه ٥١٧
- (٢٧) الشعر والنظرية عبدالجبار البصري ص ١٧٩.
- (٢٨) قضايا الشعر ٣٢٢.
- (٢٩) المجلد الثاني ص ٢١٧.
- (٣٠) مقدمة للصلاة والثورة.
- (٣١) نفسه.
- (٣٢) نفسه ١٩٢، ١٩٣.
- (٣٣) مجلة الدوحة، عدد سبتمبر ١٩٧٦ م ص ٢٢-٢٥.
- (٣٤) موسيقى الشعر بين الاتباع والإبداع ص ١٥٣ ط ٢.
- (٣٥) تجارب وتطبيقات في الشعر العربي الحديث ١٢٩ د/ عبده بدوي. ط ذات
السلاسل.
- (٣٦) للصلاة والثورة ١٣٢.
- (٣٧) نفسه ١٤٨.
- (٣٨) نفسه ١٦٥.
- (٣٩) يغير ألوانه البحر ٢٥.

- (٤٠) نفسه ١٣٤ .
- (٤١) غطت هذه الفترة ما بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٥ لمحات من سيرة حياتي وثقافتى ١٩ .
- (٤٢) للصلاة والثورة ٦٨-٧٦ .
- (٤٣) يغير ألوانه البحر ٥٢-٧٣ .
- (٤٤) اعترض عامر العقاد على جمع لفظ القرآن، وقال إنه مثل كلمة «عند» لا تجمع، لأن القرآن واحد، ولا يصح أن يتعدد، والجواب أنهم فى العراق يستعملون كلمة قرائن فى لفظة دارجة، فهى لاتعنى عندهم أن كتاب الله متعدد، وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا مصحف ومصحف .
- (٤٥) يغير ألوانه البحر ١٠٨ ، «كلمة مليكى أو ملكى فى قصائد هذه الفترة يراد بها الله مالك الملك وملك الملوك .
- (٤٦) مقال د. جابر عصفور فى كتاب نازك الملائكة اعداد د. عبدالله المهنا ص ٥٨٧ ط الكويت .
- (٤٧) ط دار العلم للملايين .
- (٤٨) الصومعة والشرقة الحمراء . ط . دار العلم للملايين .
- (٤٩) قضايا الشعر المعاصر ص ١٨٧-١٩٢ .
- (٥٠) قضايا الشعر المعاصر ٢٧ ط ٤ .
- (٥١) مقدمة الدكتور عبدالهادى محبوبة فى الطبعة الأولى - دار الآداب .
- (٥٢) قضايا الشعر المعاصر ١٤ وما بعدها ط ٤ .
- (٥٣) يغير ألوانه البحر ١٩١ .
- (٥٤) مقدمة يغير ألوانه البحر .
- (٥٥) كانت ترى أن اللغة كانت يوما موحية، ثم ابتليت بحيل المحنطين، ومن ثم كانت دعوتها إلى الإيحاء حديثا، فهو جزء لا يتجزأ من حيوية اللغة والشعر .
- (٥٦) الله هو الثبات الوحيد المطلق، قضايا الشعر ٢٩ .
- (٥٧) نفسه ٢٢١ .

لمحات من سيرة حياتي وثقافتى

نازك الملائكة

وُلدتُ فى بغداد فى ٢٣ من شهر آب (أغسطس) سنة (١٩٢٣)، وكنت
كبرى إخوتى وهم: أربع بنات، وولدان.

وقد تدرجت فى دراستى من الابتدائية إلى المتوسطة فالثانوية،
وتخرجت فى الثانوية عام ١٩٣٩، وكنت، منذ صغرى، أحب اللغة العربية،
والإنجليزية، والتاريخ، ودروس الموسيقى، كما كنت أجد لذة فى دراسة
العلوم، بخاصة علم الفلك، وقوانين الوراثة، والكيمياء، ولكنى أمقت
الرياضيات مقتًا شديدًا، وأعد السنين يومًا يومًا لأصل إلى إنهاء مرحلة
الثانوية، فأتخصص بدراسة الآداب، ثم دخلت دار المعلمين العالية، فرع اللغة
العربية، وخرجت منها بليسانس الآداب عام ١٩٤٤ من مرتبة الامتياز، وهى
أعلى مرتبة تمنح، وخلال سنوات دراستى فيها تعرفت إلى موضوع الفلسفة،
وأحبته حبًا شديدًا، فساعدنى على تكوين ذهن منطقى، وكانت دراساتى
الكثيرة للنحو العربى، فى أصوله القديمة، قد هيأتنى له تهيئة واضحة، وقد
بدأت نظم الشعر وحببه منذ طفولتى الأولى، والواقع أننى سمعت أبوى
وجدى يقولون عنى إننى «شاعرة» قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة، لأنهم
لاحظوا علىّ التقفية، وأذنا حساسة تميز النغم الشعرى تمييزًا مبكرًا. وبدأت
بنظم الشعرى العامى، قبل عمر سبع سنوات.

وفى سن العاشرة نظمت أول قصيدة فصيحة، وكانت فى قافيتها غلظة نحوية، وعندما قرأها أبى رمى قصيدتى على الأرض بقسوة، وقال لى، فى لهجة جافية مؤنبية: «اذهبي أولاً، وتعلمي قواعد النحو... ثم انظمي الشعر»، وكانت معلمة النحو فى المدرسة لاتميز الفاعل من المفعول، وسرعان ما اضطر أبى إلى أن يتولى تعليمي قواعد النحو بنفسه حين دخلت المتوسطة، وفى ظرف شهر واحد تفوقت على الطالبات جميعاً، وصرت أنال أعلى الدرجات.

ولاحظ أبواي أننى موهوبة فى الشعر، شديدة الولع بالمطالعة، فأعفياني من المسؤوليات المنزلية، والعائلية إعفاء تاماً، وساعدنى ذلك على التفرغ، والتهيؤ لمستقبل أدبى، وفكرى خالص.

وكانت والدتى، فى سنوات الشعرية المبكرة، تنظم الشعر، وتنشره فى المجلات، والصحف العراقية، باسم السيدة «أم نزار الملائكة» وهو اسمها الأدبى الذى عرفت به، أما أبى فكان مدرس النحو فى الثانويات العراقية، وكانت له دراسة واسعة فى النحو، واللغة والأدب، وقد ترك مؤلفات كثيرة أهمها موسوعة فى عشرين مجلداً، عنوانها «دائرة معارف الناس» اشتغل فيها طيلة حياته، واعتمد فى تأليفها على مئات المصادر، والمراجع، ولم يكن أبى شاعراً، ولكنه كان ينظم الشعر، وله قصائد كثيرة، وأرجوزة فى أكثر من ثلاثة آلاف بيت؛ وصف فيها رحلة قام بها إلى إيران عام ١٩٥٥. وكان أبى متواضعاً، ولم يرض يوماً أن يسمى نفسه شاعراً، مع سرعة بديهته، وقدرته على الارتجال، وظرفه.

وكان لأبوى تأثير عميق فى حياتى الفكرية، والشعرية. أما أبى، فقد بقى أستاذى فى النحو حتى أنهيت دراسة اللسانس، وكنت أهرع إليه، بكل مشكل نحوى يعرض لى، وأنا أقرأ ابن هشام، والسيوطى، والأشمونى، وسواهم، والحق أنى كنت، ولم أزل، شديدة الولع بالنحو.

وقد فرش لى أبى طريقاً ممهداً رائعاً، حين وضع بين يدي مكتبته التى كانت تحتوى على متون النحو، وكتب الشواهد جميعاً، ولذلك كان من الطبيعى، تماماً، أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلبة قسم اللغة العربية التى اختارت رسالة لمرحلة الليسانس فى موضوع نحوى، هو : (مدارس النحو)، وكان المشرف عليها أستاذى الكبير العلامة الدكتور مصطفى جواد الذى كان له فى حياتى الفكرية أعمق الأثر، رحمه الله، وجزاه عنا نحن تلاميذه أجمل الجزاء، ولم تزل رسالتى هذه فى مكتبة كلية التربية، وعليها تعليقات بالقلم الأحمر، كتبها الدكتور مصطفى عبد الجواد فى حينه.

أما والدتى، فقد كان لها أثر واضح فى حياتى الشعرية، لأننى كنت أعرض عليها قصائدى الأولى، فتوجه إليها النقد، وتحاول إرشادى، ولكنى كنت أناقشها مناقشة عنيدة، فقد لاح علىّ، منذ مرحلة الثانوية، التأثير بالشعر الحديث؛ شعر محمود حسن إسماعيل، وبدوى الجبل، وأمجد الطرابلسى، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخورى، وأمثالهم، بينما كانت هى تعجب بشعراء أقدم مثل: الزهاوى خصوصاً. فقد كان شاعرها الأثير، وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من اهتمامى، ولذلك كان تأثيره فى شعرها أبرز، ولكن ذوق أمى نفسها بدأ يتطور، كما يلاحظ من يدرس شعرها الذى طبعت المنشور منه، بعد وفاتها، فى ديوان سميت «أنشودة المجد» وقد بدأت أمى تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب خصوصاً بشعر إبراهيم ناجى، وصالح جودت، ولكن اتجاهاتى الشعرية بقيت مختلفة عن اتجاهاتها، بسبب معرفتى للإنجليزية، والفرنسية وكثرة قراءتى لشعرائهما.

ورغم ذلك فقد بقينا، أنا وهى، صديقتين، فكانت تقرأ لى قصائدها، وأقرأ لها قصائدى، حتى وفاتها عام ١٩٥٣، وهى فى الثانية والأربعين من العمر، رحمها الله رحمة واسعة.

وخلال دراستي في دار المعلمين العالية، كنت أساهم في حفلات الكلية، بإلقاء قصائدي، وكانت الصحف العراقية تنشر تلك القصائد في حينها. غير أنني أهملت هذا الإنتاج المبكر، ولم أدرج منه شيئاً في مجموعاتي الشعرية المطبوعة، لأنني بقيت أنظر إليه على أنه شعر الصبا قبل مرحلة النضج، والواقع أنني أقبلت على نظم الشعر إقبالاً شديداً منذ عام ١٩٤١ يوم كنت طالبة في الكلية. فقد دخلت في ذلك العام بداية نضجي الروحي والعاطفي والاجتماعي، فضلاً عن أنه العام الذي شهد ثورتنا القومية العظيمة التي هزت كياني هزاً عنيفاً وهي ثورة رشيد عالي الكيلاني، وكنت أتفجر حماسة لتلك الثورة ونظمت حولها القصائد المتحمسة التي لم أنشر منها أي شيء: فسرعان ما انتصر الحكم البولييسي في العراق، ونصبت المشائق للأحرار، ولم يعد في العراق من يستطيع التنفس، ولكننا، أنا وأمي، استمررنا ننظم القصائد الثائرة سرّاً، ونطويها في دفاترنا الحزينة.

وفي عام ١٩٤٧ صدرت لي أول مجموعة شعرية، وقد سميتها (عاشقة الليل) لأن الليل كان يرمز عندي إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء، وكنت في الليل أعزف على عودي في الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغني ساعات كل مساء، وقد كان الغناء سعادتي الكبرى منذ طفولتي، وكنت أحبس أنفاسي إذا ما سمعت صوت عبدالوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلى جهاز حاك (غرامافون) يدور في بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لأي أغنية أسمعها، وكانت أُمي لا تفتأ تدهش دهشة كبيرة عندما تسمعني أغني، وما زلت أذكر صوتها في صغري وهي تتلفت، وتقول: يا إلهي! من أين حفظت ابنتي كل هذه الأغاني؟ ومتى سمعتها؟ وكيف؟ ولم تدر أنني كنت حين أسمع حاكياً يدور بأغنية أقف مسرّة في مكاني حتى لو كنت في الشارع. وفي تلك

الأيام البعيدة لم يكن المذيع قد دخل الحياة فى العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الأغاني لا يتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد بالبث إلا فى سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

وبعد صدور (عاشقة الليل) بأشهر قليلة انتشر وباء الكوليرا فى مصر الشقيقة، وبدأنا نسمع الإذاعة تذكر أعداد الموتى يومياً، وحين بلغ العدد ثلاثمائة فى اليوم انفعلت انفعالاً شعرياً، وجلست أنظم قصيدة استعملت لها شكل الشطرين المعتاد، مُغيّرةً القافية بعد كل أربعة أبيات أو نحو ذلك، وبعد أن انتهيت من القصيدة، قرأتها فأحسست أنها لم تعبّر عما فى نفسى، وأن عواطفى ما زالت متأججة. وأهملت القصيدة وقررت أن أعتبرها من شعرى الخائب (الفاشل) وبعد أيام قليلة ارتفع عدد الموتى بالكوليرا إلى ستمائة فى اليوم، فجلست، ونظمت قصيدة شطرين ثانية أعبر فيها عن إحساسى، واخترت لها وزناً غير وزن القصيدة الأولى، وغيّرت أسلوب تقفيّتها ظانة أنها ستروى ظمأ التعبير عن حزنى، ولكننى حين انتهيت منها شعرت أنها لم ترسم صورة إحساسى المتأجج، وقررت أن القصيدة قد خابت كالأولى، وأحسست أننى أحتاج إلى أسلوب آخر أعبر به عن إحساسى وجلست حزينّة حائرة لا أدري كيف أستطيع التعبير عن مأساة الكوليرا التى تلتهم المئات من الناس كل يوم.

وفى يوم الجمعة ٢٧ / ١٠ / ١٩٤٧ أفقت من النوم، وتكاسلت فى الفراش أستمع إلى المذيع وهو يذكر أن عدد الموتى بلغ ألفاً، فاستولى علىّ حزن بالغ، وانفعال شديد، فقفزت من الفراش، وحملت دفترًا، وقلمًا وغادرت منزلنا الذى يموج بالحركة، والضجيج يوم الجمعة، وكان إلى جوارنا بيت شاهر يُبنى، وقد وصل البناءون إلى سطح طابقه الثانى، وكان خاليًا لأنه يوم عطلة العمل، فجلست على سياج واطىء، وبدأت أنظم قصيدتى المعروفة

الآن «الكوليرا». وكنت قد سمعت فى الإذاعة أن جثث الموتى كانت تحمل فى
الريف المصرى مكدسة فى عربات تجرها الخيل، فرحت أكتب وأنا أتحس
صوت أقدام الخيل:

سكن الليل
أصغ، إلى وقع صدى الأنات
فى عمق الظلمة، تحت الصمت، على الأموات

ولاحظت فى سعادة بالغة أننى أعبر عن إحساسى أروع تعبير بهذه
الأشطر غير المتساوية الطول، بعد أن ثبت لى عجز الشطرين عن التعبير عن
مأساة الكوليرا، ووجدتنى أروى ظمأ النطق فى كيانى، وأنا أهتف:

الموت، الموت، الموت،
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

وفى نحو ساعة واحدة انتهيت من القصيدة بشكلها الأخير، ونزلت
ركضاً إلى البيت، وصحت بأختى "إحسان" انظرى لقد نظمت قصيدة عجيبة
الشكل أظنها ستثير ضجة فظيعة، وما كادت إحسان تقرأ القصيدة - وهى أول
من قرأها - حتى تحمست لها تحمساً شديداً، وركضت بها إلى أمى فتلقته
بيرودة، وقالت لى: ما هذا الوزن الغريب؟ إن الأشطر غير متساوية،
وموسيقاها ضعيفة يا بنتى، ثم قرأها أبى، وقامت الثورة الجامحة فى البيت؛
فقد استنكر أبى القصيدة، وسخر منها واستهزأ بها على مختلف الأشكال،
وتنبأ لها بالفشل الكامل، ثم صاح بى ساخراً «وما هذا الموت الموت الموت؟»

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد "الموت" غير لذيذ

وراح إخوتى يضحكون وصحت أنا بأبى «قل ما تشاء»، إنى واثقة أن
قصيدتى هذه ستغير خريطة الشعر العربى، وكنت مندفعة أشد الاندفاع فى

عبارتى هذه، وفى أمثال لها كثيرة قلتها رداً على التحدى بالتحدى، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يسبغ على رحمته فى تلك اللحظات الحرجة من حياتى الشعرية، فكتب لقصيدتى أن يكون لها شأن كما تمنيت وحلمت، فى ذلك الصباح العجيب فى بيتنا.

ومنذ ذلك التاريخ انطلقت فى نظم الشعر الحر، وإن كنت لم أتطرف إلى درجة نبذ شعر الشطرين نبذاً تاماً، كما فعل كثير من الزملاء المندفعين الذين أحبوا الشعر الحر، واستعملوه بعد جيلنا.

وفى عام ١٩٤٩ صدرت ببغداد مجموعتى الشعرية الثانية (شظايا ورماد)، وقد صدرتها بمقدمة أدبية ضافية عرضت فيها موجزاً لنظرية عروضية لشعري الجديد الذى نشرت منه فى المجموعة عشر قصائد، وما كاد الكتاب يظهر حتى أشعل ناراً فى الصحف، والأندية الأدبية، وقامت حوله ضجة عنيفة، وكتبت حوله مقالات كثيرة متلاحقة، كان غير قليل منها يرفض الشكل الجديد الذى دعوت إليه، ويأباه للشعر، غير أن الدعوة لقيت أروع القبول فى الأوساط الشعرية الشابة، فما كاد يمضى عام حتى كان صدی الدعوة قد تخطى العراق إلى خارجه، وبدأت أقرأ فى المجلات الأدبية فى مصر، ولبنان، وسوريا، وسواها قصائد من الشعر الحر، كان غير قليل منها يحمل لافتات إهداء نثرى: "إلى الشاعرة نازك الملائكة".

* * *

فى عام ١٩٤٢ بلغ نشاطى الشعرى واللغوى، والفنى، والأدبى أوجه، فاندفعت أطلب الثقافة، والعلم فى نهم لا يرتوى، وحرارة لا تنطفئ، ففى السنة نفسها سجلت نفسى طالبة فى فرع العود بمعهد الفنون الجميلة، ودخلت طالبة فى فرع التمثيل، وانتميت إلى صف لدراسة اللغة اللاتينية، وكنت إذا

ذاك - فوق هذا كله - طالبة في السنة الثانية من دار المعلمين العالية، وقد وهبت نفسها، في حرارة لا مثيل لها، إلى هذه الدراسات كلها، وكنت أحبها أشد الحب.

أما العزف على العود فقد كان أمنيته منذ صغرى، وحين رأى أبى حرقه تشوقى إلى هذه الدراسة، وافق بعد تردد طويل على أن أدخل معهد الفنون الجميلة لأدرس على الفنان الكبير الموسيقار الأستاذ محيى الدين حيدر الذى كان اسمه الفنى فى المعهد: «الشريف»، ولهذا الفنان طريقة فريدة فى العزف، والتدريس عليها أثر موهبته الفنية العظيمة، وله فى العراق اليوم تلاميذ معروفون من الموسيقيين، من مثل الأستاذ سلمان شكر، والأستاذ جميل بشير، وسواهما. وكانت مدة الدراسة ست سنوات، والمنهج يقوم على تدريسنا المقامات الشرقية على بشارف وسماعيات، وسواها، وكان الطالب يتدرج حتى يصل إلى قمة المهارة الفنية فى عزف مقطوعات الشريف محيى الدين التصويرية الرائعة مثل: «تأمل» و«ليت لى جناحاً» و«كابريس». وكان للشريف، يرحمه الله، مزاج فى العزف، فكان يغير، ويعدل فى البشارف، والسماعيات التى ألفها كبار الموسيقيين، من مثل: طانيوس أفندى، وجميل بك، وعزيز دده، ويوسف باشا، وكانت هذه التعديلات تجمل الأصل أروع تجميل، وتخرجه إخراجاً حياً، وكنت أنا أجلس فى صف العود مسحورة، وكأنى أستمع إلى صلاة، وكان الشريف يكرر على أن لى سمعاً موسيقياً حساساً، وموهبة ظاهرة، ولكنه كان خائفاً على أن يجرفنى حبي للشعر ويبعدنى عن الموسيقى على أى شكل من الأشكال، ورغم أننى ما زلت، حتى اليوم، أعزف لنفسى لكى يصحبنى العود، وأنا أغنى ألحان عبدالوهاب، وأم كلثوم، وفيروز، وعبدالحليم حافظ، ونجاة. وهو انصراف محدود، غير ما كان أستاذى يتوقع منى، ولعله كان ينتظر أن أكون عازفة مشهورة فى الإذاعات ومؤلفة ألحان.

وأما دراستى للتمثيل، فالحق أنه كان لى فيها دافعان اثنان.

أولهما أن أتعلم فن الإلقاء، فقد كنت أرتقى المسرح لألقى قصائدى فأقرأها قراءة رتيبة دون أن أعرف كيف ألون صوتى بالانفعال، وأرفعه، وأنعمه مع معانى قصيدتى، وقد خطر لى أن دراسة التمثيل ستساعدنى فى هذا المجال. والدافع الثانى أننى اطلعت على منهج الدراسة فى هذا الفرع فبهرنى. كان منه دراسة مفصلة مسهبة للميثولوجيا الإغريقية، بكل تفاصيلها الدقيقة، ومداخلها، ومخارجها. وكلن موضوع «تاريخ المسرح والأدب المسرحى» للسنة الثانية يشمل دراسة إسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريبيديس، وأريستوفان، وكنت أعلم مدى غنى الأدب اليونانى، ومدى ضرورته للممثل، والدارس، فاندفعت فى حرارة أسأل أبى أن يأذن لى بدخول فرع التمثيل، وقد رفض أبى أولاً، ولكن الله سبحانه شاء أن يشملنى برعايته، فإذا أبى يكلف بتدريس اللغة العربية فى فرع التمثيل، وعندما وجد أننى سأكون تلميذة له أخذنى معه إلى الأستاذ حقى الشبللى المسئول عن الفرع، وسجلنى طالبة، واكتملت سعادتى.

وأما اللغة اللاتينية فإن قصة دراستى لها كانت أغرب، فقد كنت طالبة فى قسم اللغة العربية، وكنا ندرس اللغة الإنجليزية، وصادف أن أستاذنا أشار فى الصف، مراراً، إلى ضرورة معرفة اللغة اللاتينية لمن يريد التخصص فى الأدب الإنجليزى، فشوقنى ذلك إلى دراستها، وبقيت هذه الرغبة عابرة فى نفسى حتى سمعت فى آخر العام الدراسى ١٩٤١ - ١٩٤٢ أن إدارة الكلية قررت إضافة مادة اللغة اللاتينية إلى منهج طلبة السنة الأولى، فرع اللغة الإنجليزية، وهنا بدأت لهفتى، أردت - بأى ثمن - أن أنتمى إلى هذا الصف لأتعلم اللغة اللاتينية، وراجعت أستاذ المادة فاعتذر عن قبولى فى الصف، وسألنى مندهشاً: «ولكنك طالبة فى قسم اللغة العربية، فماذا تنفعك

اللاتينية؟» ولم يوهن هذا عزيمتى، وراجعت عميد الكلية، ورجوته أن يأذن لى بالدراسة مع طلبة الإنجليزية، عندما رأى العميد لهفتى سمح لى، وانتميت إلى صف اللغة اللاتينية، وبدأت أحفظ، بحماسة، تلك القوائم التى لا تنتهى من حالات الأسماء وفصائلها، وتصريفات الأفعال، وسواها مما يعتبر من أصعب ما يعرفه طلبة اللغات.

وقد بقى حب اللغة اللاتينية فى دى حتى اليوم، وما زلت أقتنى كتب الشعر اللاتينى، وأحاول أن أقرأها كلما وجدت فراغا، وأتذكر أننى، بعد شهرين من بدئى لدراسة هذه اللغة، أصبحت أكتب مذكراتى بها، كما نظمت نشيداً لاتينياً على نغمة الأغنية المشهورة (At The Ballalika). وكان من الطبيعى أن يكون النشيد بدائياً ساذج الصيغة، فقد كنت لم أزل طالبة مبتدئة، ولقد واصلت دراسة اللغة اللاتينية سنوات كثيرة وحدى من دون أستاذ بمساعدة القواميس، ثم دخلت صفا فيها فى جامعة برنستن بالولايات المتحدة درسنا فيه نصوصاً للخطيب الرومانى شيشرون، وقد أعجبت أشد الإعجاب بشعر الشاعر اللاتينى «كوتولوس»، وحفظت مجموعة من القصائد له، وما زلت أترنم بها أحياناً فى وحدتى، فأجد سعادة بالغة فى ترديدها. والواقع أنى أجد فى اللغة اللاتينية نفسها سحراً يجتذب كيانى كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة، وينفرون منها أشد النفور.

وفى عام ١٩٤٩ بدأت بدراسة اللغة الفرنسية، فى البيت، مع أخى الذى يصغرنى: نزار وكان إذ ذاك طالباً فى قسم اللغة الإنجليزية بدار المعلمين العالية، وكان له ولع شديد بالأدب، واللغات، وهو شاعر أيضاً، وإن كان مقلداً، وكانت تربطنى به صداقة عميقة، وكنا نشترك أنا وهو فى غرفة واحدة تنتشر فيها الكتب على سريرينا، وطالما قام الجدل بيننا فى موضوعات الأدب والحياة.

بدأنا إذن، أنا ونزار ندرس الفرنسية من دون مدرس، وذلك اعتماداً على كتاب إنجليزي يعلم هذه اللغة، أهدانا إياه عمي، وقد سعدنا سعادة بالغة بتعلم هذه اللغة الجميلة، وواصلنا تعلمها حتى أصبحنا نقرأ فيها كتب الشعر، والنقد، والفلسفة، وفي عام ١٩٥٣ دخلت دورة في المعهد العراقي، قرأنا فيها نصوصاً من الأدب الفرنسي، من مثل قصص: ألفونس دوديه، وموباسان، ومسرحيات موليير، ولكن نطقى بهذه اللغة بقى رديئاً حتى اليوم، لأنني تعلمتها من دون أستاذ يلفظ أمامي الكلمات، ولم تتح لي فرصة للسفر إلى فرنسا، والحياة فيها فترة، وهذا ما يحزنني دائماً حين أجدني أقرأ، وأفهم، ومع ذلك لا أحسن الكلام، ولا النطق الصحيح.

أما الأدب الإنجليزي فقد بدأت عنايتي به وأنا طالبة في دار المعلمين العالية يوم كنا نقرأ شعر شكسبير (Sonnets) ومسرحية «حلم منتصف ليلة صيف»، وقد ترجمت إلى الشعر العربي إحدى سونيتات شكسبير، إذ ذاك. وأقبلت بعد ذلك على قراءة شعر بايرون، وشيللي. وفي عام ١٩٥٠ دخلت دورة في المعهد الثقافي البريطاني لدراسة الشعر الإنجليزي، والدراما الحديثة، استعداداً لأداء امتحان تقيمه جامعة كامبردج وتمنح بعده شهادة الـ (PROFI-CENCY)، وكان مستوى هذه الدراسة أعلى من ليسانس اللغة الإنجليزية، لأن طالبة متفوقة في السنة الرابعة من فرع اللغة الإنجليزية دخلت معي هذه الدورة، فكانت النتيجة أنها رسبت، ونجحت. وكان سر نجاحي أنني انهمكت طيلة العام في قراءة عشرات من كتب الشعر، والدراما، في حماسة، ونهم، والواقع أن أغلب الذين اشتركوا في الامتحان معنا قد رسبوا، ولم ينجح سوى وسوى طالب واحد خارجي لم يشترك معنا في الدراسة بالمعهد البريطاني، وكان لهذا الامتحان امتحان ثان أعلى منه تقيمه جامعة كامبردج نفسها، ولكني لم أقدمه، وإنما سافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة النقد الأدبي.

وكانت هذه المرحلة تمتد عامًا، وقد أوفدتني إليها مؤسسة روكفلر الأمريكية، واختارت لي أن أدرس النقد الأدبي في جامعة برنستون في نيو جيرسي بالولايات المتحدة، وهي جامعة رجالية ليس في تقاليدھا دخول الطالبات فيها، ولذلك كنت الطالبة الوحيدة، وكان ذلك يثير دهشة المسؤولين في الجامعة كلما التقى بي أحدهم في أروقة المكتبة، أو الكليات، وقد أتيحت لي في هذه الفترة الدراسة على أساطين النقد الأدبي في الولايات المتحدة، من مثل ديتشرد بالاكفور، وآلن دوانر، وآلن تيت، ودونالد ستاوفر، وديلمور شوارتز، وكلهم أساتذة لهم مؤلفات معروفة في النقد الأدبي، كما عرفوا بأبحاثهم في مجلات الجامعات الأمريكية، وسائر الصحف الأدبية.



بعد عودتي إلى العراق عام ١٩٥١ بدأت أوجه إلى كتابة النثر بخاصة في النقد الأدبي وفي عام ١٩٥٣ ألقى محاضرة في نادي الاتحاد النسائي ببغداد كان عنوانها (المرأة بين الطرفين: السلبية، والأخلاق) انتقدت فيها أوضاع المرأة الحاضرة، وعقم المجتمع العربي، ودعوت إلى تحرير المرأة من الجمود والسلبية، وقد أثارت هذه المحاضرة ضجة في بغداد، وتحدثت عنها المحافل طويلا بخاصة وأن إذاعة بغداد نقلتها كاملة، وأذاعتها على الجمهور . وسرعان ما نشرتها مجلة (الآداب) البيروتية التي كانت تصدرها إذ ذاك دار العلم للملايين.

وواصلت خلال ذلك نظم الشعر ونشره، ونشر مقالات النقد الأدبي في مجلتي (الأديب) و(الآداب) بيروت.

وفي عام ١٩٥٣ حدث لي حادث هز حياتي إلى أعماقها، فقد مرضت والدتي مرضاً مفاجئاً شديداً، وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها في لندن فوراً، ولم يكن في بيتنا من يستطيع السفر معها إلى إنجلترا سوى،

بسبب معرفتي للندن، وحياتي فيها فترة وبسبب إتقاني للغة الإنجليزية - وكان نزار قد سافر إلى الولايات المتحدة للدراسة. كل هذا اضطرني إلى أن أصحب أمي المريضة أشد المرض إلى لندن على عجل، والرعب مُستولٍ عليّ، فقد كنت خائفة في أعماقي من شيء رهيب سيقع لي لم أشخصه، وقبل سفرى بأسبوع حلمت أنني أسير في شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون، وأبحث، أبحث، وأبحث في لهفة ورعب فلا أجد من يبيعني تابوتًا، ولم أقص حلمي هذا على أحد في البيت، وسافرت بها، وتم إدخالها إلى غرفة العمليات، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث أودعوها في عنبر الموتى بالمستشفى ريثما تتم إجراءات الدفن المعقدة، وقد رأيته، وهي تحتضر في مشهد رهيب هز حياتي إلى أعماقها، وكان عليّ أن أحضر مشاهد الجنازة والدفن وأنهض بأعبائها، وهي أعمال لم أعتد القيام بمثلها، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس، فقد كنت أحب أمي حباً شديداً لا مثيل له، وما كدت أرى إخوتي، وأقاربي يلبسون السواد وهم يستقبلونني في مطار بغداد حتى بدأت أبكي، وأبكي بكاء لا ينقطع ليلاً ولا نهاراً، وسرعان ما لاح لي بوضوح أنني مريضة، فبادرت إلى مراجعة طبيب عاجلني بالحبوب المهدئة، فتوقفت دموعي، وإن بقي الحزن يحفر في حياتي حتى اليوم بعد خمسة وأربعين سنة من وفاة والدتي يرحمها الله، وكانت حصيلتي الشعرية المباشرة، بعد وفاة أمي، قصيدة سميتها «ثلاث مرات لأمي» استعملت فيها أسلوباً جديداً في الرثاء لم يسبقني إليه أحد، وسرعان ما ذاعت قصيدتي هذه، واستقبلها الشعراء بحرارة، وإعجاب بالغين.

وقد كان من حسن حظي - وأنا في أحزاني التي هدمتني بعد وفاة أمي - أن انتخبتني مديرية البعثات العراقية لدراسة الأدب المقارن في الولايات المتحدة، وقد قبلت في جامعة وسكنسن، إحدى أول عشر جامعات في

الولايات المتحدة، فسافرت متحمسة للدراسة أشد الحماسة، وأتاح لى موضوع الأدب المقارن أن أستفيد من اللغات الأجنبية التى أعرفها، بخاصة الإنجليزية، والفرنسية. وخلال هذه الدراسة اكتسبت ثقافة غنية رائعة أخصبت ذهنى وملاأتنى سعادة. وقد كنت أقضى أغلب الوقت فى مكتبة الجامعة الغربية التى كان لها أعمق الأثر فى حياتى فى تلك الفترة، كما اغتنت حياتى بأفكار عذبة كثيرة متنوعة، واكتسبت من التجارب أضعاف ما كسبته فى حياتى السابقة كلها. وتغيرت مفاهيمى، ومثلى، ومقاييسى، وتبدلت شخصيتى كلها.

وقد كان النظام فى هذه الجامعة رائعاً، لأنه لايتطلب كتابة أطروحة كبيرة، بل يكلف الطالب بإعداد مجموعة كبيرة من الأبحاث فى موضوعات أدبية متنوعة، فكنت أجد متعة عظيمة فى كتابة هذه المقالات التى مرنت قابليتى فى النقد الأدبى، وما زالت الأبحاث المكتوبة بالإنجليزية تنتظر أن أترجمها إلى العربية، وأنشرها. وسبب إعراضى عنها، حتى الآن، يرجع إلى أنها كلها تتناول الآداب الأوروبية، فلا يتخللها اسم عربى، وقد ألفت أن أشعر أن كتابة الأديب العربى مقالات تغص بالأعلام الأجنبية نوع من التكلف، وإقحام لثقافة أجنبية على القارئ العربى البسيط. ولذلك أنوى أن أوسع الجانب المقارن فى أبحاثى هذه بحيث يشمل أعلاماً عربية إلى جانب الأوروبية، وإذ ذاك سأستريح إلى نشرها، وأرجو أن يتاح لى يوماً أن أفعل هذا.

وكان سفرى إلى وسكنسن عام ١٩٥٤، واستغرق إعداد الماجستير فى الأدب المقارن سنتين كتبت خلالهما مذكرات أدبية كثيرة سجلت فيها ملاحظاتى على الكتب التى قرأتها، والأشخاص الذين تعرفت إليهم، وعشت بينهم فى تلك الفترة، كما احتوت على آرائى المفصلة المركزة فى المرأة الأمريكية. ومع هذا كله، كنت فى مذكراتى أغوص غوصاً عميقاً فى تحليل

نفسى، وقد اكتشفت أننى كنت لا أعبر عن ذهنى، وعواطفى كما يفعل كل إنسان حولى، وإنما ألوذ بالانطواء، والصمت، والخجل، واتخذت قراراً حاسماً أن أخرج على هذا الطبع السلبي، وشهدت مذكراتى صراعاً عظيماً مع نفسى من أجل تحقيق هذا الهدف، فكنت إذا تقدمت خطوة تراجععت عشر خطوات بحيث اقتضانى انتغير الكامل سنوات كثيرة طويلة.

وأنا اليوم أدرك أن تغيير العادات النفسية من أصعب الأمور، ولذلك أعتبر كفاحى المتواصل لتعديل أعماقى النفسية، ومسلكى الاجتماعى كفاحاً بطولياً، لم يساعدنى عليه إلا الله تعالى برحمته السابغة، ورعايته الدائمة، مهما يكن فإن فى نيتى أن أفرغ يوماً لانتخاب مختارات من مذكراتى فى مادسن/ وسكنسن للنشر، وقد أعطيت حلقة منها إلى جريدة الأهرام صيف سنة ١٩٦٦، فنشرتها فى عددها الصادر يوم ١٩٦٦/٨/٥.

وعندما رجعت من الولايات المتحدة، مررت فى طريق العودة بإيطاليا، وجنوب فرنسا، ثم عرجت على دمشق حيث مؤتمر الأدباء العرب الثانى فى بلودان، وكانوا قد وجهوا إلى دعوة وأنا فى الولايات المتحدة. وكنت يومها أحس بنوع من الأزمة أعانيه، فقد كان التعبير بالعربية لا يطاوعنى تماماً بعد ستين لم أتكلم خلالهما إلا بالإنجليزية، وكانت حياتى الفكرية والروحية كلها تقوم على هذه اللغة الأجنبية، وكنت أحس بذلك إحساساً قاسياً بخاصة خلال وجودى فى مؤتمر الأدباء الذى افتتحت به عودتى إلى الوطن العربى الحبيب. ولم يزايلنى هذا الإحساس إلا بعد مرور أشهر فى العراق استعدت خلالها طلاقة التعبير بالعربية.

وفى عام ١٩٥٧ صدرت فى بيروت مجموعتى الشعرية الثالثة (قرارة الموجة)، وقد احتوت على منتخبات من شعرى بعد (شظايا ورماد)، ونشرتها دار الآداب بيروت.

وفى عام ١٩٥٨ قامت فى العراق ثورة ١٤ تموز، وأثرت فى حياتى
أعنف تأثير حتى استغرقت كل لحظة من عمرى ذلك العام. وقد استقبلتها
بقصيدة ساخنة بدأتها:

فرح الأيتام بضمة حب أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية

وكانت القصيدة تعبيراً بسيطاً عن الفرح العميق الغامر. وتحذيراً من
مؤامرات أمريكا، والصهيونية العالمية:

السوق صحا يا ورد حذار

من نغمته الصهيونية

ومخالبه الأمريكية

ولكن عبدالكريم قاسم سرعان ما انحرف، واستهوته شهوة الحكم،
وسمح للشعبوية أن تمس جمال الثورة، وتقضى على مبادئها القومية التى
أحبها أشد الحب، وقد اضطررنى عسف الحكم، وتهديده المستمر إلى ترك
العراق، والسكن ببيروت عامّاً كاملاً (١٩٥٩ - ١٩٦٠) وخلال ذلك،
واصلت نشر إنتاجى القومى فى مجلة (الآداب).

فى عام ١٩٥٧ عينت مدرسة معيدة فى كلية التربية ببغداد أدرس النقد
الأدبى، العروض، وبعد عودتى من بيروت عام ١٩٦٠ تعرفت إلى زميل
جديد فى قسم اللغة العربية هو الدكتور عبدالهادى محبوبه، خريج جامعة

القاهرة. وفي منتصف عام ١٩٦١ تزوجنا، فكان لى نعم الصديق والرفيق والزميل.

وفي عام ١٩٦٢ صدر لى أول كتاب فى النقد الأدبى هو (قضايا الشعر المعاصر)، وقد درست فيه الشعر الحر دراسة خاصة مفصلة، ووضعت له عروضاً كاملاً اعتماداً على معرفتى للعروض، وعلى قوة سمعى الشعرى، وعلى كثرة قراءتى لشعر الزملاء من الشعراء، وقد أهديت الكتاب إلى الرئيس العربى جمال عبدالناصر، متحدية عبدالكريم قاسم الذى كان يملكه أشد المقت.

وفي عام ١٩٦٤ سافرنا، أنا وزوجى، للعمل فى تأسيس جامعة فى البصرة؛ حيث كان الدكتور عبدالهادى رئيساً للجامعة، وكنت أعمل فى التدريس بقسم اللغة العربية، ثم انتخبت رئيساً للقسم واستمر عملنا هناك أربع سنوات، وغادرنا البصرة إلى بغداد أواخر عام ١٩٦٨ حيث عدنا إلى التدريس فى كلية التربية سنة واحدة، غادرنا العراق بعدها إلى الكويت للتدريس فى جامعتها.

وفي عام ١٩٦٤ دعانى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة إلى إلقاء محاضرات حول الشعر فى موضوع أختاره، فعكفت على كتابة كتاب عن الشاعر المبدع على محمود طه الذى كنت تأثرت بشعره خلال فترة الصبا، يوم كنت طالبة فى فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، وقد طبع هذا الكتاب (شعر على محمود طه) فى القاهرة عام ١٩٦٥. وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرفة الحمراء)، وقد طبعته دار العلم للملايين.

وفي أول سنة ١٩٦٨ صدرت لى مجموعة شعرية رابعة عنوانها (شجرة القمر)، تطور فيها شعرى تطوراً واضحاً عما كان عليه فى المرحلة السابقة،

مرحلة (قرارة الموجة) التي كنت خلالها أميل إلى الفلسفة، والفكر في شعري، ونثرى جميعاً.

وفي عام ١٩٧٠ صدرت مطولتي الشعرية (مأساة الحياة وأغنية للإنسان). عن دار العودة ببيروت.

* * *

وبعد، فهذه خطوات مركزة مختصرة من سيرة حياتي كتبها تلبية لطلبات كثيرة ترد على من الباحثين، وطلبة الجامعات الذين يكتبون رسائل الماجستير، والدكتوراه. أما سيرة حياتي المفصلة، ففيها كثير من الغرائب الممتعة، وأرجو أن يتاح لي أن أفرغ لكتابتها يوماً قبل الموت.

مأساة الحياة
الطبعة الأولى ١٩٧٠

«أكثر هذه المطوِّلة قد نُظِم سنة ١٩٤٥ والقليل
منها امتد إلى ١٩٤٦ ، وكان عمري ثلاثة وعشرين
عاماً».

تقدمة

- بقلم الشاعرة -

يضمّ الأثر الشعريّ الذي أضعه بين يدي القارئ في هذا الكتاب ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة، أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦، وثانيها قد نظم سنة ١٩٥٠ وثالثها متأخر التاريخ حتى ١٩٦٥، ولقد يمكن أن تعدّ قصيدة من هذه القصائد المطوّلة مستقلة عن الآخرين، لولا أنني قد نسخت بعض الأبيات أحياناً فنقلتها من قصيدة إلى أخرى على اعتبار أنها مازالت ترضى ذوقى رغم مرور السنين، ولعلّ من المفيد أن أشرح الظروف الزمنية والنفسية والفكرية التي أحاطت بي خلال عشرين عاماً من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥ م:

أما القصيدة الأولى فقد نظمتها عام ١٩٤٥ - وكان عمري إذ ذاك اثنين وعشرين عاماً- ولم يكن ديوانى الأول (عاشقة الليل) قد ظهر إلى الوجود أو طبع، وكنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الانجليزى فأعجبت بالمطوّلات الشعرية التى نظمها الشعراء وأحببت أن يكون لنا فى الوطن العربى مطوّلات مثلهم، وسرعان ما بدأت قصيدتى وسميتها «مأساة الحياة» وهو عنوان يدل على تشاؤمى المطلق وشعورى بأن الحياة كلها ألم وإيهام وتعقيد، وقد اتخذت للقصيدة شعاراً يكشف عن فلسفتى فيها هو هذه الكلمات للفيلسوف الألمانى المتشائم «شوبنهاور»: (لست أدري لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما أسدل على هزيمة وموت، لست أدري لماذا نخدع أنفسنا بهذه الزويدة التى تثور حول لا شئ؟ حتّام نصبر على هذا الألم الذى لا ينتهى؟ متى نتردّع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حبّ الحياة أكلوبة، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت؟)، والواقع أن تشاؤمى قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه، لأنه

- كما يبدو - كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان، أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت، كان الموت يلوح لى مأساة الحياة الكبرى، وذلك هو الشعور الذى حملته من أقصى أقاصى صباى إلى سن متأخرة.

وهكذا بدأت نظم المطولة، وقد اخترت لها بحراً عروضياً مرناً هو البحر الخفيف الذى يجرى بين يدي الشاعر كما يجرى نهر عريض فى أرض منبسطة، وقد بلغت القصيدة ألفاً ومائتى بيت نظمتها فى ستة أشهر تقريباً وانتهيت منها عام ١٩٤٦ وكان موضوعها فلسفياً يدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار، وقد تخلل القصيدة جزء منها شكوت فيه من المأسى التى سببتها الحرب العالمية الثانية التى كانت تستعر فى الغرب ودعوت إلى السلام وتغنيت به ونددت بتجار الحروب وقاتلى البشر، ثم انتقلت إلى الحديث عن السعادة متسائلة إن كان لها وجود حق فى الدنيا، ثم رحلت أبحث عنها فى مختلف الأوساط فلا أجدها، بحثت أولاً لدى الأغنياء لعل السعادة فى قصورهم وحياتهم المترفة الناعمة، ولكنى لم أجدها لأنّ الغنى لا يستطيع أن يدفع وحشة القبر والأكفان بأمواله، ثم مررت بالرهبان والزاهدين فوجدت عواطفهم المكبوتة تقلقل حياتهم ومضض الحرمان يظلل مساكنهم ويبدو على وجوههم، ثم قلت لعلّ السعادة فى ارتكاب الشرور والآثام فطفت بأوكار اللصوص، والمجرمين، فوجدت أن ضمائرهم تعذبهم ولا تأذن لهم أن يرتاحوا، ووصلت إلى الريف بأشجاره وامتداداته الجميلة فوجدت سكانه فقراء محرومين يعيشون عيشة البؤس والعذاب، وصورت فى هذا القسم من المطولة، راعياً صغيراً يأكله الذئب ثم وصفت الثلوج التى تهبط طوال الشتاء وتحرم الفلاحين من استنبات الأرض فينتشر الجوع والحزن بينهم وتموت مواشيهم، ومن الريف انتقلت إلى دنيا الشعراء لعل السعادة عندهم، ولكن بارقة الأمل سرعان ما تخبو بسبب حساسية الشاعر وتألمه للجوع والمحزونين

والمحرومين، ثم أنتقل إلى العشاق لعلهم ذاقوا السعادة، فلا أجد بينهم من يعرفها لأن الشهوة الجنسية تدنس الروح وتحدّ آفاق الفكر، وهكذا تنتهى الرحلة بالخيبة فلا تجد الشاعرة السعادة مطلقاً.

ولقد كانت «مأساة الحياة» صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التى غلبتني فى سن العشرين وما تلتها من سنوات، وكان من مشاعرى إذ ذاك التشاؤم والخوف من الموت وهما مفتاح هذه الصورة الأولى من المطولة، صورة ١٩٤٥.

وكنت فى عام ١٩٤٦ أنوى أن أقدم المطولة للقراء بعد مجموعتى الشعرية الأولى «عاشقة الليل»، وعندما طبع هذا الديوان كان فى آخره إعلان صغير عن «مأساة الحياة» ولكن الظروف حالت دون ذلك، فأصدرت مجموعتى الشعرية الثانية «شظايا ورماد» عام ١٩٤٩ وهى المجموعة التى دعوت فيها إلى الشعر الحر.

وفى عام ١٩٥٠ كان أسلوبى الشعرى قد تطور تطوراً كبيراً عما كان أيام نظمى للمطولة، فأصبحت مواردى الأدبية أغزر، وأسلوبى أكثر صوراً وثقافتى أغنى، فلم أعد راضية عن (مأساة الحياة) ولذلك قررت أن أعيد نظمها بأسلوبى الجديد فكانت صورتها الثانية، وعندما مضيت فى نظمها لاحظت أنها - رغم وحدة الموضوع - قد أصبحت قصيدة ثانية تختلف فى كل لفظة منها عن (مأساة الحياة) فرأيت أن أهبط عنواناً جديداً خاصة وأننى بدأت أنظر إلى الحياة بمنظار جديد فيه مسحة من تفاؤل ووضوح بحيث لا أحتمل أن استبقى العنوان القديم ولذلك سميتها «أغنية للإنسان»، وقد مضيت فى نظمها حتى بلغت أبياتها ٥٨٦ بيتاً من الوزن الخفيف نفسه، وعند هذا بدأت أشعر بالضيق، فقد لاحظت اننى مقيدة بالنسخة الأولى مادمت أعيد نظمها فليس فى وسعى أن أخرج عن الإطار العام للقصيدة الأولى، وكان

على فى «أغنية للإنسان» أن أبحث عن السعادة فلا أعثر عليها، بينما كنت قد بدأت أدرك أن السعادة ممكنة ولو إلى مدى محدود، فكيف أوفق بين الموضوع القديم وآرائى الجديدة؟

واستعصى على الحل وقلت لنفسى إننى لا أستطيع مواصلة القصيدة ولا بد لى من تركها، وكان ذلك، اذ توقفت عن النظم وتركت القصيدتين خمسة عشر عاما من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٥ وقد كنت خلال هذه السنوات أشعر بالضيق كلما تذكرتها لأن «مأساة الحياة» كانت أجمل شعرى فى مرحلتى الأولى، مرحلة «عاشقة الليل» وكانت نسخة ١٩٥٠ أجمل شعرى فى مرحلتى الثانية، ولذلك عزّ على أن تبقى محجوبة عن القراء، وراح الدكتور عبدالهادى محبوبة (زوجى) يحثنى على إتمامها، وفكرت فى ذلك فعلا، ولكنى لاحظت أن أسلوبى الشعرى قد تطور وتغير ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ فلو أتممت (أغنية للإنسان) لظهر عليها فارق الأسلوب، وبقيت حائرة ماذا أصنع، ثم قررت أن أنشر (مأساة الحياة) كما هى دون تعديل، وجلست ذات صباح أنسخها معدلة كلمة هنا وشطرا هناك دون أن أعيد نظمها كما صنعت سنة ١٩٥٠.

ولكنى ما كدت أمضى صفحات حتى بدأت التغييرات تتسع وتشمل كثيراً من الأبيات، وبعد يومين وجدتنى أغير القصيدة القديمة تغييرا كاملا دون أن استبقى من المطولة الأولى لفظة واحدة، وهكذا ولدت الصورة الثالثة من القصيدة عام ١٩٦٥، ولسوف يلوح للقارئ أننى أقرب إلى التفاؤل فى هذه القصيدة، والواقع أن آرائى المتشائمة كانت قد زالت جميعا وحل محلها الإيمان بالله والاطمئنان إلى الحياة، ولذلك راح جو مأساة الحياة يتبدد تدريجيا، وقررت أن تجد الشاعرة السعادة فى هذه القصيدة، وعندما بلغت ستمائة بيت أو يزيد شغلتنى الحياة بأعمال وظروف معقدة فاضطرت إلى ترك المطولة والانصراف إلى مشاغلى، ومنذ ذلك لم أعد إلى المطولة.

واليوم إذ أقدم الصور الثلاث إلى المطبعة، أحسّ اننى أقدم عملاً أدبياً متكاملًا، لأن الشعر قد يقرأ لمجرد كونه شعراً، وهذه المطوّة بصورها الثلاث تدلّ على خط التطور فى شعرى ما بين السنوات العشرين من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥.

وبعد فلست أول من تعتريه هذه الحالات الشعرية فى سنين مختلفة فإن الشاعر الانجليزى جون كيتس مثلاً قد نظم قصيدة عنوانها «هايبيريون» HYPERION تناول فيها سقوط الآلهة الأوائل فى الميثولوجى اليونانية، عندما حلّت مكانها أسرة جوبيتر Jupiter إله الآلهة الثانى، وقد صور «كيتس» فى هذه المطوّة ميلاد (أبولو) إله الشمس وكيف حلّ محل الإله السابق هايبيريون إله الشمس الأول الساقط، وتعدّه هذه القصيدة من أروع شعر كيتس، وقد نشرها فى مجموعته الشعرية الصادرة سنة ١٨٢٠، وعندما انصرم الوقت شعر كيتس أن قصيدته لم تعد تمثل أسلوبه، فعاد ونظم منها نسخة ثانية سماها «سقوط هايبيريون» The Fall of Hyperion ونجد النسختين منشورتين فى ديوان كيتس تدلان على تطوره الشعرى من مرحلة إلى مرحلة.

وأنا إذ أقدم اليوم مطوّلتى بأشكالها الثلاثة إنما أرجو أن يعذرنى القارئ بعد أن قصصت عليه التاريخ النفسى لها وصلتها بالتيارات الخفية من عواطفى وآرائى وحياتى، ومهما يكن من أمر فإن نسخة ١٩٤٥ كاملة لا نقص فيها، وأما القصيدتان التاليتان فحسبى أنهما تقدّمان الحقيقة الشعرية التى تختلف عن الحقيقة القصصية، فالشعر أعمق وأجمل من مجرد الموضوع الذى يعالجه ولذلك يمكن أن ترتوى مشاعرنا بجزء من قصيدة، وأما القصة فإن تمام الحكاية فيها جزء من كمالها لا ينفصل عنه.

وأود هنا أن أقتبس نماذج من موضوع واحد من القصائد الثلاث ليرى القارئ اتجاه التطور فى شعرى عبر عشرين عاماً، ورد فى «مأساة الحياة» عام

١٩٤٥ فى موضوع البحث عن السعادة عند سكان الأديرة الأبيات التالية:

أيهـا الـراهب الذى يقطع العمـ	ر وحيداً فى كوخه المكفهر
هات حدثنى العشيّة عما	عند دنيـاك من نعيم وبشر
حدثونى عنكم فقالوا حياة	من نعيم وأنفس من نقاء
عجباً أين ما يقولون؟ مالى	لا أرى غير حيرة الأشقياء؟
ما الذى عندكم من البشر والأفـ	راح ماذا يا أيها الزاهدونا!
ليس إلا عمر يمرّ حزيناً	يتهاوى كآبةً وسكوناً

أما فى نسخة ١٩٥٠ فهذه هى الصورة التى صورت بها مشاعر الرهبان ومملكتهم التى تقوم على الكبت والحرمان:

شيّدوها من كل لفّة شوق	فى العيون الحبيسة المحرومة
وسقّوا أرضها الحديدية من بر	كان تلك العواطف المكتومة
وحملوها من أن تغازلها الشمـ	س بألوانها ولين شذاها
وأبوا أن يلامس القمر المنـ	فعل الضوء فى المساء دجاها
وتمنّوا ألا تمرّ بهـا ريـ	ح عبيرية الصدى والنشيد
فشفاه الرياح تكمن فيها	قبل عذبة وذكرى خدود
وتمنّوا أن يقفل الليل عينـ	ه وتخبو نجومه السحرية
فعيون النجوم تغوى بأهدا	ب حريرية الرؤى قمريه

أما فى نسخة عام ١٩٦٥ فقد تحوّلت هذه المعانى إلى الصيغة التالية:

أيها الـراهب الذى يقطع العمـ	ر وحيداً فى غرفة منسيهـ
ليس يدرى دفء المودة فى عيـ	نين فى قرّ ليلة شتويهـ
حدثونى عنكم فقالوا ضياء	وكؤوس من الشذى روحية
وسموّ إلى الذرى الطاهرات الـ	بيض فوق الرغائب البشرية

عجباً أين ما سمعت هنا شو قُ ونارٌ وأعينٌ مفستونه
وهوى قيّدوه عطشان محرو ما فأين السلام أين السكينة؟

ولكن الذى يلاحظ أن نسخة عام ١٩٦٥ قد لمحت تلمييحاً واضحاً إلى أن هذه الشاعرة لا تنظر بعيداً ولا عميقاً وهى تبحث عن السعادة وإنما هى متشائمة لأن نظراتها تقع فوق السطوح ولا تغوص عميقاً وراء المظاهر الخادعة. وقد جاء هذا المعنى فى «أنشودة الرياح» التى خاطبت الشاعرة قائلة:

أنصتى تسمعى فى السكون حفيف
وانظري تبصرى أن جدي وريـف
لك قلب غفـفا عن معانى الـذرى
لك روح ثـوى فى ضباب الكـرى

وهذا التطور فى النظرة هو التمهيد لفكرة عثور الشاعرة على السعادة فى ختام القصيدة.

وقد يتساءل متسائل: لماذا بقيت متمسكة بالبحر الخفيف فى القصائد الثلاث دون أن أخرج عنه إلى بحور أخرى؟ وجواب هذا أننى رأيت هذا البحر أكثر ملاءمة للمطولات فهو يسمح بالعبارة الطويلة على صورة تريح الشاعر الحديث، ولا يخفى أننا إنما دعونا إلى الشعر الحر لنمكن الشاعر العربى من ايراد جمل طويلة دون تقطع.

نازك الملائكة

بـحمدون فى ١١/٨/١٩٧٠

مأساة الحياة

من صباح الليل هذا الوجود
ولن تنعمى بفك القيود

تك حيرى تمضك الأسرار
لم شيئاً وتعلم الأقدار

هول حيرى فهل تجلى الخفى؟
خر صمت مستغلق أبدى

رار قلب من قبل كى تدركيها
سام فلتقنعى بأن تجهليها

ه أكف الأقدار كيف تشاء
ج؟ وهل نام عن منك الشقاء؟

لام ماذا جنيت غير الملل؟
عة عمر قضيتته فى السؤال

عبثاً تحلمين شاعرتى ما
عبثاً تسألين لن يكشف السر

فى ظلال الصفصاف قضيت ساعا
تسألين الظلال والظل لا يعد

أبدأ تنظرين للأفق المجر
أبدأ تسألين والقدر السا

فيم لا تيأسين؟ ما أدرك الأس
أسفا يا فتاة لن تفهمى الأيد

أتركى الزورق الكليل تسير
ما الذى نلت من مصارعة المو

آه يا من ضاعت حياتك فى الأح
لم يزل سرها دفيناً فى ضبي

هُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ دَقٌّ عَلَى الْأَفْدِ
فَيَأْسَى يَا فَتَاةٌ مَا فُهِمَتْ مِنْ

هَامٍ حَتَّى ضَاقَتْ بِهِ الْحُكْمَاءُ
قَبْلُ أَسْرَارَهَا فَفِيْمِ الرَّجَاءِ؟

جَاءَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجِيئِي إِلَى الدُّنْ
لَيْتَ شَعَرِي مَاذَا جَنَوْتُ مِنْ لِيَالِي

يَا مَسْلَايِينَ ثُمَّ زَالُوا وَبَادُوا
هَمٌّ؟ وَأَيْنَ الْأَفْرَاحُ وَالْأَعْيَادُ؟

لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا قَبُورٌ حَزِينَا
رَحَلُوا عَنْ حِمَى الْوُجُودِ وَلَا ذَوَا

تِ أَقِيمَتْ عَلَى ضِفَافِ الْحَيَاةِ
فِي سَكُونِ بَعَالِمِ الْأَمْوَاتِ

كَمْ أَطَافَ اللَّيْلُ الْكُثِيبَ عَلَى الْجَوِ
شَهِدَ اللَّيْلُ أَنَّهُ مِثْلَمَا كَا

وَكَمْ أَذْعَنْتَ لَهُ الْأَكْـوَانُ
نَ فَايْنَ الَّذِينَ بِالْأَمْسِ كَانُوا؟

كَيْفَ يَا دَهْرٌ تَنْطَفِي بَيْنَ كَفَّيْ
كَيْفَ تَذْوِي الْقُلُوبَ وَهِيَ ضِيَاءُ

لِكَ الْأَمَانِي وَتَخْمِدُ الْأَحْلَامُ؟
وَيَعْمِشُ الظَّلَامُ وَهُوَ ظِلَامُ

كَيْفَ تَحْيَا الْأَشْوَاكُ وَالزَّهْرُ الْفَا
كَيْفَ تَمْضِي إِلَى الْفَنَاءِ الْأَنَاشِيدُ

تَنْ يَذْوِي فِي قَبْضَةِ الْإِعْصَارِ
دُ وَتَبْقَى سَخَرِيَّةُ الْأَقْدَارِ

حَدَّثَنِي الْقَلْبُ أَنْتِ أَيْتُهَا الْمَا
مَا الَّذِي تَصْنَعِينَ بِي فِي الْغَدِ الْمَجْ

سَاةِ يَا مَنْ قَدْ سُمِّيتِ بِالْحَيَاةِ
هَوْلٌ مَاذَا تَرَى مُصِيرَ رِفَاتِي؟

أى قبر أعددت لى؟ أهو كهفٌ
أم ترى زورقى سيغرق بى يو

لهفتى يا حياة كم تلعب الأو
أبدا أسأل الليالى عن المو

طالما قد سألت ليلى لكن
ليس غير الأوهام تسخر منى

هل فهمت الحياة كى أفهم المو
لم يزل عالم المنية لغزا

فليكن يا حياة لن أسأل الـ
امنحني عمر الزهور فلن أبـ

ما الذى ينفع البكاء وما يصـ
لن يزيد البكاء يوماً على عمـ

ولتجرعنى الحياة كؤوس الـ
هل ستصغى إلى رجائي المنايا

ملء انحنائه الظلام الداجى؟
مأ فأتوى فى ظلمه الأثـ

هام بى؟ كم يؤودنى التفكير
ت وماذا ترى يكون المصير؟

عز فى هذه الحياة الجواب
ليس إلا تمزق واضطراب

ت وأدنو من سره المكنون
عزّ حلا على فؤادى الحزين

ل عن السر فاحكمى كيف شئت
لكى ومدى الأيام لى إن رغبت

غى إلى الصارخين قلب القضاء
سرى ولن يرحم الممات شقائى

حزن واليأس ما يشاء شقاها
إن تمنيت صمتها ودجاها

هكذا جئت للحياة وما أد
وسأحيا كما يشاء لى المجـ

إن تمنيت أن أعيش فما يسـ
أو تمنيت أن أموت فما يرُ

هكذا، ما يريدہ القدر المحـ
سيرتنى الحياة أين ترى مرُ

ها أنا الآن حيرةٌ وذهولُ
لست أدري ما غايتى فى مسيرى

يا ضفاف الأفراح يا ليتنى أعد
لم أعد أستطيع أن أكتم الشو

كلُّ شئٍ حولى يحدثنى عند
فارحمينى من قبل أن يحطم المو

آه يا ضفّة السعادة ما أند
أترى قلبى الطعينُ سيلقا

رى إلى أين سوف تمضى الحياةُ
هول حيرى تلهو بى الظُّلماتُ

تسمع الموت أو يمد السنينـ
حم حلمى ولست ألقى المنونا

توم لا ما تُريده آمالى
سى سفينى؟ وعند أى رمالٍ؟

بين ماضٍ ذوى وعُمُرٍ يمرُ
آه لو ينجلى لعينى سرُ

رفُ شيئاً عن أفقك المجهول
قَ فأيان يا ضفاف وصولى؟

ك ولكن متى يحينُ اللقاءُ؟
جُ شراعى وتصخب الأنواءُ

ت؟ خيالٌ أم واقعٌ مشهودُ؟
ك أخيراً أم أنت حلمٌ بعيدُ؟

طالما حدثوا فسؤادي عن لقد
لم أزل أصرفُ الليالي أبكى

ياك لكن ما زلت حُلْمَ صبي
وأغنى حزنَ الوجودِ الشقيِّ

على تل الرمال

لم يزل مجلسي على تلى الرمد
لم أزل طلفة سوى أننى قد

ليتنى لم أزل كما كنت قلبا
كل يوم أبني حياتي أحلا

أبدأ أصرف النهار على التل
ليت شعري أين القصور الجميلا

ايه تل الرمال ماذا ترى أب
أنظر الآن هل ترى في حياتي

ذهب الأمس لم أعد طفلة تر
لم أعد أبصر الحياة كما كنت

لم أعد في الشتاء أرنو إلى الأم
لم أعد أعشق الحمامة إن غد

طار من مَهْدِي الجميل الصغير
ت وألهو على ضفاف الغدير

كم زهور جمعتها لم تذرمند
كم تعاليل صفتها فنيت إلا

ها الليالي شيئاً سوى الأشواك
خيالاً يؤود قلبي الباكي

آه يا تلُّها أنا مثلما كند
أى كفت أثيمة سلبت رمد

تُ فأرجع فردوسى المفقودا
لك هذا جماله المعبودا

كنت عرشى بالأمس يا تلى الرمد
كان شدو الطيور رجع أناشيد

لى والآن لم تعد غير تل
دى وكان النعيم يتبع ظلى

كان هذا الوجود مملكتى الكب
ليت هذى الرمال تسترجع السحد

رى فيا ليتنى أعود إليها
رليت الربيع يحنو عليها

لم أعد أستطيع أن أحكم الزهد
هل أنا الآن غير شاعرة حيد

ر وأرعى النجوم فى كل ليل
رى وهل غير هيكلى المضمحل؟

ذهب الأمس والطفولة واعتَضد
كل ما فى الوجود يؤلمنى الآ

تُ بحسى الرهيف عن لهو أمسى
ن وهذى الحياة تجرح نفسى

أين لون الأزهار لم أعد الآ
كلما شممت زهرة صور الوهد

ن أرى فى الأزهار غير البوار
م لعينى قاطف الأزهار

أين شدو الطيور ما عدت ألقى
كلّ لحنٍ لصاحٍ يتلاشى

أين همس النسيم لم تعد الآن
فغداً يهمس النسيم بموتى

أين منى مفاتن القمر السا
لم أعد أعشق الظلام غداً أر

ها أنا الآن تحت ظلّ من الصّف
أقطف الزهر إن رغبت وأجنى الثّ

وغداً ترسم الظلال على قب
وغداً من دمي غذاؤك يا صف

ذاك دأب الحياة تسلب ما تع
تتقاضى الأحياء قيمة عيشٍ

هى هذى الحياة ساقية السمّ
أو مأت للعطاش فاغترفوا من

فى صفّاه من يأس قلبى خلاصا
فى اذكارى الصياد والأقفاصا

سام تغرى قلبى بحبّ الجمال؟
فى عميق الهوى وفوق الجبال

حسّر والصيف والظلام المثير؟
قد تحت الظلام بين القبور

صاف والتين مستطاب ظليل
مرّ الحلو فى صباحى الجميل

رى خطوطاً من الجمال الكئيب
صاف يا تين أى ثأر رهيب

طيه بخلاً لا كان ما تعطيه
ضمهم من شقاه أعمق تيه

كووساً يطفو عليها الرحيق
ها ومن ذاقها فليس يُفريق

هـى هذى الحـياةُ زارعةُ الأشـد
هـى نبعُ الآثامِ تستلهمُ الشر

هـواك لا الزهرِ والدُّجى لا الضياءِ
وتحيا فى الأرض لا فى السماء

آدم وحواء

حَسْبُهَا أَنَا دَفَعْنَا إِلَيْهَا
أَيُّ ذَنْبٍ جَنَاهُ آدَمُ حَسْبُهَا
ثَمَنَ الْعَيْشِ حَيْرَةً وَدُمُوعَا
نَتَلَقَى الْعِقَابَ نَحْنُ جَمِيعاً؟

وَلِيَكُنْ آدَمُ جَنَى حَسْبُهُ فَقَدْ
حَسْبُهُ يَا حَيَاةُ أَنْ هَبَطَ الْأَرْضَ
لَدَانُ فَرْدُوسِهِ الْجَمِيلِ عِقَابَا
ضَ لِيَحْيَا وَيَجْرَعَ الْأَوْصَابَا

حَسْبُهُ أَنَّهُ أَتَى الْأَرْضَ مَطْرُو
حَسْبُهُ مَا رَأَى مِنَ الشَّرِّ وَالْإِثْمِ
دَأً مِنَ الْخُلْدِ مُسْتَطَاراً حَزِينَا
سَمَ وَمَا ذَاقَ مِنْ عَذَابِ السَّنِينَا

لَيْتَ شَعَرِي مَازَا يَرُوقُ لَعِينِي
كَيْفَ يَنْسَى جَمَالَ فَرْدُوسِهِ الْمَفْدِي
عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ سِحْرِ السَّمَاءِ
قُقُودٍ فِي عَالَمٍ دَجِيٍّ الْفَضَاءِ

كَيْفَ يَنْسَى الْأَمْسَ الْجَمِيلَ لِيَهْنَا
لَيْسَ يَحْيَا فِيهَا سِوَى الْآثِمِ الْجَبِّ
بِحَيَاةٍ مُوسُومَةٍ بِالشَّقَاءِ؟
يَا رَحْمَتَاهُ لِلْضَعْفَاءِ

قابيل وهابيل

ولماذا ينسى وهل ثم في الأر
كلما لاذ بالخيال تجلى
ض عزاء عن حلمه المعسول
لأساه ما كان من قابيل

أو لم تسمع الحقول صدى صر
أو لم يشهد القطيع على الجا
خة هابيل حين خر قتيلاً؟
نى؟ ألم يبصر الدم المظلولا؟

أين هابيل؟ أين وقع خطى أغ
ليس منه إلا ضريح كئيب
نامه في الحقول والوديان؟
شاده في العراء أول جان

وأنت ظلمة المساء على الحق
ليس إلا قابيل يمشى كئيباً
ل وعاد القطيع من دون راعى
وهو نهب الأفكار والأوجاع

مما الذى تنفع المدامع يا آ
إن يكن من فقدت أول مقتو
دم فيما قضت به السنوات
ل فلا يا سيقتل العشرات

يا لأحزان آدم حينما أب
أيها المستطار لن تردع الأق
صر بابنيه قاتلاً وقتيلاً
دار حتى إذا بكيت طويلاً

استرح أنت، نَمْ، دع العالم المحـ
دعُه في غيِّه فما كان هابـ

زون يحيا في ظُلْمة الأرجاسِ
لُ القتيلَ الوحيد بين الناسِ

إنها لعنةُ السماء على العا
كلما ذاق قطرة من نعيمِ

لَمْ مسدولة الرؤى مكفهـ
أعقبتها من الأسى ألف قطره

الحرب العالمية الثانية

لم يكد يستفيق من حربه الأو
رحمةً يا حياةً حسبك ما سا
لى ويهنا حتى رمثه الرزايا
ل على الأرض من دماء الضحايا

انظري الآن هل ترين سوى آ
ليس من سحرها سوى سود أحجا
ثار دنيا بالأس كسنت جنانا
ر تشير الدموع والأشجانا

أين نُعماك يا بقايا القصور الـ
هجرتك الطيور غير غراب
بيض أين الأزهار والأطيّار؟
وجفائك الأريج والإخضرار

أين أهلوك؟ حدثيني ماذا
أين يحيون؟ أى كهف من الأر
يا ركام الانقراض كان المصير؟
ض زواهم أساه والديجور؟

أين أهلوك يا قصور أتحت الكـ
أسفاً ضاقت الميادين بالقنـ
لج أم مزقتهم القاذفات
لى وما عاد يُدفن الأموات

فى سفوح الجبال تحت ذرى الأشـ
ليس غير الموتى عظاماً وأشلا
جار خلف القصور والاكواخ
ء وغير كتابة وصُراخ

يا ملاك السلام أقبل من الأجـ
إبك للراقدين في وجمة المو

واء واهبط على الوجود الكئيب
ت وأشرق على الظلام الرهيب

طف بهذي القرى لتلمس آها
وارحم الصارخين في سرر الأم

ت الحزانى والساغبين الظماء
راض بين الأحزان والأدواء

طف بانقاض عالم ليس يدرى
هو إن نام لحظة هب مدعو

هل سيحظى بمبهجات الحياة؟
رأ ليـبكي ويرسل الآهات

ما درى حين أضرم الحرب إلا
يا لقلب المسكين! ما ينفع المجـ

حلـم النصر والفخار العظيم
د لقلب ملوـع مصـدوم

فليفق حسبه خيالاً وأوها
عالم مظلم يضج به المرـ

ماً ليلقى ما قد جنت كفاءه
ضى ويشكو من الطوى أبناءه

جف زهر الرياض والورق النضـ
أسفا لم تدع لنا الحرب شيئاً

ر وآوت إلى الجفاف الحقول
وتلاشى الحلم الطروب الجميل

من ترى يحرثُ الحقولَ ويشدو
أين لهوُ الأطفالِ عند البحيرا

أغنياتِ المراحِ وقتَ الحصادِ
تِ وفوقَ الثلوجِ فى الأعبيادِ

أين؟ ضاع الخيالُ والحلمُ الفا
ليس إلا دنيا من الجوع والفقد

تنُ ضاع الجمالُ ضاع الرخاءُ
مر عليها يعذبُ الأبرياءُ

يا قلوب الأطفال لا تخفقى الآ
هكذا شاءتِ السنينُ فرفقاً

نَ حنيناً لن يرجعَ الآباءُ
بعيونٍ قد عضَّ فيها البكاءُ

عيون الأموات

يا رُفَاتَ الأموات في الأرض ماذا أى رعبٍ وحَسْرَةٍ وشَكَاةٍ	رَسَمَ الموتُ فوق هذى العيونِ؟ أى معنىٍّ من الرجاء الحزينِ؟
كل عَيْنينِ فيهما صور تب كلّ عَيْنينِ تَسْخَرَانِ من العَيِّ	كفى وترثى للعالم المغرورِ ش وتستهزآن بالمقدورِ
كل عَيْنينِ تنظران إلى الأف آه يا ربَّ آه لو فهم الأحـ	قٍ بعيداً عن كل ما فى الحياةِ يَاءُ ماذا فى أعين الأمواتِ
يا فتاة الخيال حسبك شدواً سوف يبقى الخصام والشرّ ما عا	برثاء الموتى وحسبُك، حزنا ش الأناسى والانا شيدُ تَفْنَى
هكذا شاءت المقاديرُ للعـا وهى النفسُ تحملُ الشرَّ والبغـ	لم إثم وشقوةٌ وحُروبُ ضَ فماذا يُفيدُها التهديبُ
كم تغنّى بالسلم والحبِّ والرخـ أسفاً ضاعت الأغانى ولم تبـ	مة من شاعر ومن فيلسوف ق سوى ضجّة القتال العنيفِ

يا لهذا الكون المعبذب في قيد
كيف ينجو من الآسى ومتى يشد

كيف ينجو والطبع والقدر القا
يا لقلب المسكين ليس له في

كم أراد السمو عن وهدة الشر
كم أراد النجاة من مخلب الغد

ما الذي رامه المسيح لكي يج
أيها العالم الذي اقتترف الذن

أو لم يكفك الشقاء أما زل
جف نبع الدموع والدم يا كو

لذ يبرج السماء من نشوة القن
وليكن من فقدت في هذه الحر

سد من الشر والاذى والأثم
فى من الموجعات والآلام؟

سى يسوقانه الى الأحزان؟
حومة الشر والشقاء يدان

فحالت طباعه الأثمات
رفعزت على مناه النجاة

زى بما كان ما الذى كان منه؟
بأما أن تكفر عنه؟

ت مشوقاً إلى حياة الدماء؟
ن فهلاً رثيت للاشقياء؟

لألا وليختم سجل الرزايا
بختام الذين ماتوا ضحايا

أنشودة السلام

أيها السادرون في ظلمة الأر احملوا نادمين أشلاء موتا	ض كفاكم شقاوة وذهولا كم ونوحوا على القبور طويلا
ضمخوها بالعطر لقوا بقايا واهتمفوا حولها بأنشودة السلا	ها بزهر الكنار والياسمين م ليها في القبر كل حزين
اجمعوا الصبية الصغار ليشدوا أنقذوا الميتين من ضجة الحر	بلحون الصفاء والإبتسام ب ليستشعروا جمال السلام
فيم هذا الصراع يا أيها الأح فيم راح الشبان في زهرة العمد	ياء؟ فيم القتال؟ فيم الدماء؟ ر ضحايا وفيم هذا العداء؟
أهو حب الشراء؟ يا عجب القل في غد رحلة فهل يدفع الأم	ب! وما قيمة الشراء الفاني؟ وات بالمال وحشة الأكفان
كل حي غدا إلى القبر مغدا افتحوا هذه القبور وهاتوا	ه فهل ثم في الممات ثراء حدثونا أين الغنى والرخاء؟

انظروا ها هنا على الشوك والرّم
أى فرق ترى وهل غير صمت الد

ل ثوى الأغنياء والمعدمونا
موت فوق القبور والراقدين؟

عجباً ما الذى إذن ساق هذا الد
فيم تحدو الشعوب أطماعُ غرّ

كون للموت والأذى والدمار
يتصبى عينيهِ وهج النار

نشوة النصر؟ يا لسخرية الأل
أيها الواهمون حسبكمو وه

فاظ! يا للأوهام يا للضلال
مأ وهبوا من الكرى والخيال

نحن أسرى يقودنا القدر الأع
ليس منا من يستطيع فكاكاً

مى إلى ليل عالم مجهول
ليس منا غير الأسير الذليل

أبدأ تأمر الليالى ونمشى
ليس يخشى الممات صولة جباً

ليس يُجدى تضرع أو بكاء
وما يستثيره الضعفاء

هكذا الموت غالبٌ أبد الده
وله النصر والفخار علينا

ر ونحن الصرعى الضعاف الحيارى
فاندبوا ما دعوتوه انتصارا

أيها العالمُ المخربُ قد أس
شهدت هذه القبور لها بالن

مفرت الحرب عن غلاب المنايا
صبر يا رحمتا لتلك الضحايا

ثم ماذا يا ساكنى العالم المحـ
هل وصلتكم إلى النجوم البعيدا

هل تغلبتُم على الفقر والأحـ
أنجسوتُم من المآثم أم لم

أسفأ لم تزل كما كانت الآنـ
لم تزل خمرة الضلال رجاء الـ

لم تزل فى الوجود أغنية الحزـ
لم يزل فى الوجود مرضى حيارى

كل شئ باق كما كان قبل الـ
غير ظلّ من الكآبة والحـ

هؤلاء الأيتام بالأمس كانوا
تحت ظلّ الآباء يقضون عيشاً

وأفاقوا من حلمهم فإذا الاقـ
يا عيون الأطفال لا تسألى الدنـ

زون؟ ماذا من القتال جنيتم؟
ت وهل من كفّ العذاب نجوتُم؟

زنان والسُّقْم أيها الواهمونا
يزلّ العيشُ فتنةً ومجونا

نفسٌ تحيا فى إثمها الابدئ
آدميين فى الوجود الشقى

ن يغنى بها الضعاف الجياعُ
أبدأ تعتر بهم الأوجاعُ

حرب غير الأيتام والأموات
رة يمشى على ضفاف الحياة

صورة البشر والمراح الجميل
ما دروا غير صفوه المعسول

دارُ حربٍ والكون قتلٌ ونارُ
يا علام اللظى؟ وفيم الدمارُ؟

فى سبيل المجد المزيف هذا الـ
فى سبيل النصر المموه عاد الـ

هؤلاء الصرعى على الصخر والشو
كيف كانوا بالأمس أية رؤيا

أيها الأشقياء فى الأرض يا من
عبثاً تأملون أن يرجع الآ

أنظروا ها هم الجنود يعودو
آه لولا بقية من حياة

عبثاً يبحثون فى هذه الآنـ
عبثاً يسألون ما يعلم العا

كيف ذاقوا مرارة الخيبة السو
هل نجوا من براثن الموت والأسـ

أيها الأشقياء يا زمر الأحـ
أن أن نستعيد ماضى حب

هولاً لا كان مجدهم لا كانا
عالم الحلو فى اللهب دخانا

كشباباً وفتية وكهولا
رسموها فلم تهش طويلاً؟

لم تمتهم قذائف النيران
نأعزأؤكم إلى الاوطان

ن فرادى مهشمى الاعضاء
لم يعدوا فى جملة الأحياء

قاض عن أهلهم وعن مأواهم
برُشياً فيا لنار أساهم

داء بعبد الآلام والأدواء
رلكى يسقطوا أسارى الشقاء؟

يأ فى كل قرية وصعيد
هو مفتاح حلمنا المفقود

ما الذى بيننا من البغض ماذا
أيها الناقمون نحن جميعا

نحن نحيا فى عالم ليس يُدْرَى
تطلع الشمس كل يوم فما كنْ

ما الذى يُطلع النجوم على الكو
أى شئ هذا الفضاء وما سر

نحن هل نحن فى الوجود سوى الجهد
كلُّ ما فى الأكوان يحكمنا ما

فيم نطفئ؟ وكيف ننسى قوى الكو
ينخر الدود ما نشيد ولا تُبْ

فيم نقضى حياتنا فى العداوا
كيف ننسى أنا نعيش حياة الـ

لن تدوم الأيام لن يحفظ الدهر
فلندع هذه الضغائن والأحـ

كان سر القتال والأحقاد؟
شرع فى أيدي الخطوب الشداد

سرهُ فهو غيبٌ مجهولٌ
ه سناها؟ وفيم كان الأفول؟

نِ مساء؟ ما كنه هذا الوجود؟
دجاء؟ هل خلفه من حدود؟

لِ مَصُوغاً فى صورة الإنسان؟
ذا إذن سرُّ ذلك الطغيان؟

نِ وما فى الوجود أضعف منا
حقى البراكين والرياح علينا

تِ ونمضى السنين يأساً وحزناً؟
ورد سرعان ما يموت ويفنى

رُ كياناً لكائن بشريٍّ
قباد ولنحى فى الوداد النقي

البحث عن السعادة

قد بحثنا عن السعادة لكن أبدأ نسأل الليالى عنها	ما عثرنا بكوخها المسحور وهى سر الدنيا ولغز الدهور
طلما حدثوا فؤادى عنها طلما صوروا لعينى لقيها	فى ليالى طفولتى وصبايا ها وألقوا أنباءها فى رؤايا
فهى أنا ليست سوى العطر والأل ليس تحيا إلا على باب قصر	هوان والأغنيات والأضواء شيدته أيدى الغنى والرخاء
وهى أنا فى الصوم عن متع الدن ليس تحيا إلا على صخر المع	يا وعند الزهاد والرهبان جد بين الدعاء والإيمان
وهى حيناً فى الإثم والمتع الدن ليس تصفوا إلا لقلب دنى	يا وفى الشر والأذى والخصام لائد بالشرور والآثام
وهى فى شرع بعضهم عند راع يتسغنى مع القطيع إذا شا	يصرف العمر فى سفوح الجبال ء ويغفو تحت الشذى والظلال

وهى فى شرع آخرين آبنة العز
ليس تحيا إلا على فم غريـ

لة والفن والجمال الرفيع
يد يغنى أو شاعر مطبوع

وهى حيناً فى الحب يلهمها سهـ
ليس تحيا إلا على شفة العا

سم كيوبيد قلب كل محب
شق يشدو حياته لحن حب

حدثنى عنها كثيراً ولكن
لم أزل أصرف الليالى بحثا

لم أجدها وقد بحثت طويلا
وأغنى بها الوجود الجميلا

مرّ عمرى سدى وما زلت أمشى
لم أجد فى الرمال إلا بقايا الـ

فوق هذى الشواطئ المحزونه
شوك! يا للأمنية المغبونه

أين اصداقك اللوامع يا شط
هاته رحمة بنا، هات كنزاً

إذن أين كنزك الموعود؟
هو ما يرتجيه هذا الوجود

هاته حسب رملك البارد القا
يا لحلم نزيد منه اقترابا

سى خداعاً لنا وحسبك هزءا
وهو ما زال أيها الشط ينأى

لم تعد قصة السعادة تغريـ
عبثاً أرتجى العشور على الكـ

ينى فدعنى يا شاطئ الآهات
ز فلا شئ غير صمت الحياة

أين من هذه الحياة ابتساما
كيف يحيا فيها السعيد وليست

تُ الأمانى ونشوة الأفراح؟
غير بحر تحت الدجى والرياح

طال بحشى يا رب أين ترى ذا
ليس حولى إلا دياجير كون

ك السعيد الجذلان أين تراه؟
ليس يقنى بكأؤه وأسساه

كل يوم مئت يسير به الأحـ
يا لأسطورة الخلود فما الخا

يأء باكين نحو دنيا الظلام
لد غير القبور والآلام

يا دوى النواح فى الأرض أيا
ومتى ينتهى الشقاء متى ير

ن يكف الباكون والصارخونا؟
تاح كون ذاق العذاب قرونا

عالم كل من على وجهه يشـ
جرعته السنين حنظلها المر

قنى ويقضى الأيام حزناً ويأسا
فعاف الحياة عيناً ونفسا

إيه أسطورة السمادة هاتى
أين ألقاك؟ أين مسكنك المر

حدثنى عن سرّك المنشود
موق؟ فى الأفق أم وراء الوجود؟

سرت وحدى تحت النجوم طويلاً
أسفاً لم أجذك فى الشاطئ الصخـ

أسأل الليل والدياجير عنك
سرى حيث المياه تفتأ تبكى

حيثُ تُبْقَى الأشواكُ والوردُ يَذْوِي
حيثُ يفنى الصفاءُ والليلُ يَأْتِي

تَحْتَ عَيْنِ الأَيَّامِ والأَقْدَارِ
بِجَنُونِ الأنواءِ والأَعْصَارِ

حيثُ تقضى الأغنامُ أيامها غَرْ
أبداً تتبَعُ السرابَ وتشكو

ثِي ولأعْشَبَ في جَدِيبِ المِراعِي
بُخْلَ دَهرٍ مَزِيْفٍ خَدَّاعِ

حيثُ يحيا الغرابُ، والبلبلُ المو
ويغتنى البومُ البغيضُ على الدو

هوبُ يَهْوِي في عَشَّةِ المِضْفُورِ
حِ وَيَتَوَى القَمَرَى بَيْنَ الصَّخُورِ

حيثُ تبقى الغيومُ في الجوّ رمزاً
حيثُ تبقى الرياحُ تصفرُ لحناً

لحياة سوادها ليسَ يَفْنَى
هو سَخَرِيَّةُ المقادِرِ مِنَّا

حيثُ صوتُ الحياةِ يهتفُ بالأحـ
انظروا كُلُّ ما على الأرضِ يبكي

يَاء: ماذا تَحْتَ الدُّجَى تبتغونا؟
فأفيقوا يا معشرَ الحالمينا

بين قصور الأغنياء

سرتُ بين القصور وحدى طويلاً
فإذا فتنة القصور ستارُ
أسألُ العابرين أين الطروبُ؟
خادعٌ خلفه الأسى والشحوبُ

لم أجدُ في القصور إلا قلوباً
ليس إلا قوم يضيقون بالآيِ
حائرات وعالمٌ محزونٌ
سام ضيقُ الجوع والبائسينا

ليس ينجيهم الغنى من يد الأشد
ليس يعفو المماتُ عنهم فهم حز
جانٍ ليست تُنجيهم الكبرياءُ
نُ وصمتٌ وحيرةٌ وبكاءُ

كم وراء القصور من مُقل تب
كم قلوبٌ تودُّ أن تُبدلَ القصص
كفى وتشكو قساوة المقدورِ
رَبكوخٍ على حِفافِ الغديرِ

إن يكونوا نَجَّوا من الجوع والفقر
فلقد طالما أحسُّوا بجوع الـ
ر ولم يفتّرْسهم الحرمانُ
روح واستعبدتهم الأحزانُ

إن يكونوا يقضون أيامهم يـ
فغداً تعبرُ الدهورُ وهم مـو
عن الحريرِ الملونِ الجذابِ
نَى على الشوكِ والحصى والترابِ

إن يكن في قصورهم من سنا الأضد
فغداً يخمدُ الضياءُ وتبقى

هواء ما يرجع الظلام ضياء
ظلمة الليل بكثرة ومساء

ليس تنجى القصور من ربقة الحزن
كم غنى يقضى الحياة شقياً

ن إذا طاف بالقلوب دجواه
مُغرقاً في أنينه وبُكاه

كل ما في هذا الوجود من الأمد
كل تلك الكنوز ما غمرت قط

حوال لا يستطيع دفع الشقاء
غنياً بساعة من هناء

يا طريقى مل بى العشيّة ما عا
لم أجد ومضة السعادة فيها

د جمال القصور يحلّو لعينى
لم أجد غير ظلّ يأسٍ وحزن

عند الرهبان

سِرُّ بَنَّا نَحْوَ ذَلِكَ الْمَعْبِدِ الْقَا
سِرُّ بَنَّا سِرُّ بَنَّا لَعَلَّ لَدَى الرُّهْ

هَؤُلَاءِ الزُّهَّادُ فِي الْقِنَّةِ الْبَيِّ
عَلَّهِمْ يَعْرِفُونَ مَا قَدْ جَهِلْنَا

قَدْ سَأَلْتُ الرُّهْبَانَ عَنْ كُنْزِنَا السَّخَّرَ
لَمْ يُجِبْنِي مِنْهُمْ سِوَى صَوْتٍ مُحْزَوٍ

لَمْ أَجِدْ فِي تِلْكَ الصَّوَامِعِ غَيْرَ الْـ
لَمْ أَجِدْ غَيْرَ وَحْشَةٍ تَبْعَثُ الْيَأْ

هَؤُلَاءِ الْأَشْبَاحُ مَاذَا تَرَاهُمْ؟
فِيمَ جَاءُوا هُنَا وَأَيَّةُ سُلُوبٍ

فِي بَعِيدِ الْأَفَاقِ تَحْتَ دِيَاغِي
حَيْثُ مَا زَالَتِ الْحَيَاةُ كَمَا كَا

ثُمَّ فَوْقَ الصَّخُورِ بَيْنَ الْجِبَالِ
بِسَانِ سِرِّ النِّعِيمِ وَالْأَمَالِ

ضَاءَ حَيْثُ الصَّفَاءُ مَلَأَ الْوُجُودَ
عَنْ شِهَابِ السَّعَادَةِ الْمَفْقُودِ

رَى لَكِنْ لَمْ أَلْقَ مِنْهُمْ جَوَابَا
نِ يَغْنَى وَيَجْرَعُ الْأَوْصَابَا

أَوْجُهُ الشَّاحِبَاتِ وَالْدِيَجُورِ
سَ وَصَمْتُ كَمَثَلِ صَمْتِ الْقُبُورِ

أَدْمِيَّوْنَ أَمْ بَقَايَا طُيُوفِ
وَجَدُوهَا مَا بَيْنَ هَذِي الْكَهُوفِ

رِ وَجُودِ تَمْضَى الْكَأَبَةُ فِيهِ
نَتُّ عَلَى عَهْدِ آدَمَ وَبَنِيهِ

حيث لا زهر لا عرائش لا أشد
لا جديد فيه سوى موتٍ حيٍّ

سجار لا شيء غير هذا السكون
من بنيه ما بين حينٍ وحينٍ

أيها الراهبُ الذي يقطعُ العُمْدَ
هاتِ حَدَّثَنِي العَشِيَّةَ عما

رَوحيداً في كوخِهِ المكفهرِ
عند دنيالك من نعيمٍ وبشرٍ

حدِّثوني عنكم فقالوا حياةٌ
عجبا أين ما يقولون؟ ما لي

من نعيمٍ وأنفسٍ من نقاءٍ
لا أرى غير حيرةٍ الأشقياءِ

ما الذي عندكم من البشر والأف
ليس إلا عُمُرٌ يمرُّ حزينا

راح؟ ماذا يا أيها الزاهدونا؟
يتهاوى كآبةً وسكونا

حدِّثوني عنكم فقالوا قلوب
ونفوسٌ صيغتٌ من الزهرِ والعط

نُسجتُ من نقاوةٍ وثرَاءٍ
رِهامتُ مع السَّنا والنَّقَاءِ

أين هذا الذي يقولون عنكم
إسمُ (تاييس) لم يزل يمسلاً الكو

أيها الراهبون؟ أين تراه؟
نَ فأين الذي أضلَّتْ خطاهُ؟

ما نسينا غَوَايَةَ الراهبِ المسنِّ
يا له بائساً بابنة الإث

حكين في حبّها، وكيف هداها!
حم إلى قمّة السّماء وتاها

أيّها الراهبون لن تنبت الأز
عبثاً تهربون من مُغريات الـ

هَارُ والعطرُ والسّنّا في النفوسِ
عَيشِ كم في الوجودِ من تاييسِ

لن تذوقوا شهدَ السعادة ما دم
كتبت هذه الطبيعة للأحـ

تم أناسي من ترابٍ ومماء
يأء أن يكرعوا كؤوسَ الشقاءِ

أو تنسّون أنكم لم تزالوا
لم تزل فتنة الوجود تنادى

مثلما كنتمو حيارى حزائي
كم وتُهفّيكُم إلى ما كانا

لم تزل ذكريات أمسِكُم المهـ
وخيالٌ من عالمِ فائنِ الأـ

جور تحيا في الأنفسِ المحزونه
وان ملء المشاعر المغبونه

أيّها الراهبون ماذا إذن نفـ
آه عودوا إلى مصارعة الدهـ

عُ اعتزال تشوبهُ الصبواتُ
ر وعيشوا كما تشاء الحياةُ

أيها المعبدُ الحزين وداعاً
لم أجد في حماك زهرة أحلا

أنت يا من لاذتُ به آمالي
مى فيا ضيعة السرى والكلال

لم أجد زهرة السعادة والأف
آه ضاعت أيام عمري وما زأ

راح عند الزهاد والراهبينا
ل شراعى يطوى فراغاً حزيناً

عند شط الحياة ألقيتُ مرسى
أرقبُ السائرين فى الشاطئ الصخر

زورقى فى الضباب تحت الظلام
سرى بين الوهاد والآكام

أين ألقاك يا سعادة؟ هاتى
طال تيهى فنبئنى متى يـ

حدثنى فقد بحثتُ طويلاً
بلغ قلبى مقرك المجهولاً

أولم أقطع البحار إلى الرهد
أولم تُنكر الفضيلة ألوا

بان والزاهدين فى الصحراء
نك يا لهفتاه ضاع رجائى

مع الأشرار

قد رقت الأشرار حيناً فلم أعد
فهمُ البائسون تطحنهم أيـ
ثر لديهم على سناك الحبيبِ
لدى الليالى بما جنّوا من ذنوبِ

ورأيتُ الطفأةَ يحيون محزو
ليس يشفيهمُ من الحزن واليأ
نين بين الأوهام والأشباحِ
من دواءٍ فالداءُ فى الأرواحِ

فإذا أحمدا هتافات مظلوا
ذلك الراقبُ الإلهى فى النفـ
م فما يُخمدون صوتَ الضميرِ
س لسانُ الهدى وصوتُ الشعورِ

أبدأ ساهرٌ يراقبُ أقدا
أبدأ يرمقُ الحياةَ من الأعـ
ر الليالى وسطوة الأيامِ
ساقٍ، مُستهزئاً من الأعوامِ

فإذا حادت القلوبُ عن الخيـ
فهو الناقمُ النبيلُ على الشرِّ
ر علا صوتُ ذلك الجبارِ
وقاضى الطُغاةَ والأشرارِ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرو
لا ملاذ من حاكمٍ يملكُ الرو
ح وصوتُ الضميرِ بالمرصادِ
ح بما فى كَفَيْهِ من أصفادِ

عجباً أين تلتقيك حَيَاتِي؟
جسبتُ هذا الوجود أبحتُ لكن

يا ضفافَ السعادة المنشوده؟
لم تزالِ الحقيقةَ المفقوده

جهلتك الدنيا فلا أحدٌ يع
كلُّهم يسألون عنك ولكن

لم ما أنت واقعٌ أم خيالٌ؟
لم تحدثُ بسركِ الآزالُ

ها أنا ذى حملتُ قلبي على كفِّ
أسألُ العابرين هل فيهم من

سى وسرتُ الحياةَ أبحتُ عنك
قد روى قلبه المشوق منك

فى الريف

بقى المراسى تحتَ الفضاءِ الصاحى
لى بعيدٍ عن ضَجَّةِ الأتراحِ

ذلكَ الشاطئُ الذى نتمنى
ضاعَ فيه عمرى كَلالاً وحُزناً

ضرُ نشوانَ فى سُفوحِ الجبالِ
يضُ يَجْرِى تحتَ السَّنا والظلالِ

يان بالضوءِ والجمالِ البهيجِ
ة تحتَ الضياءِ بين المروجِ

جارَ والواديَ النضيرَ الخصيبا
دى ما أعطرَ الربى والسهوبا

وة يوحى بأننا قد وصلنا
حُلُمُ قلىي فَمَما أَلَدَّ وأهنا

عند هذى الأكواخِ شاعرتى أَلـ
أنظرى أىُّ عالمِ فِاتنِ المجدِ

أنظرى علَّنا بلغنا أخيراً
بعدَ ليلٍ من المسيرِ طويلِ

أنظرى أنظرى هنا العُشْبُ الأَخـ
عندَ نبعٍ من قُنَّةِ الجبلِ الأبـ

الصباحُ الجميلُ قد توجَّ الود
ما أحبَّ الحياةَ فى هذه الجندِ

ما أحبَّ الصفاءَ يحتضنُ الأشجـ
ما أرقَّ الأزهارَ فى مَهْدِها الورـ

كلُّ شىءٍ فى هذه الجنةِ الحُلـ
ها هنا شاطئُ السَّعادةِ هذا

فلنطف بالعرائش الخضر فلنغ
فلتجف الدموع فليمض أمس

نم صفاء الحياة بعد أساها
مر بالقلب باكياً أوأها

ولنعش للصفاء يفتن دنيا
ونشيد تديره شفتا طف

نا غناء الرعاة عند الجبال
ل يغنى على تلول الرمال

وقطيع الأغنام فى المرج تحت الظ
وليالى الحصاد والقمر السحر

ل والفجر والندى والنسيم
ى والطيف والصدى والغيوم

فلنقض الحياة فى هذه الجند
ها هنا فتنة الطبيعة تنجى ال

ة ناسين حادثات الحياة
كائن الحى من خيال الممات

ها هنا أستطيع أن أفهم السر
هل خلت هذه المجالى من الأغ

ففهم الأسى وفهم البكاء؟
نام يوماً؟ وهل تعرى الفضاء؟

ها هنا يستطيع أن يفهم القل
كل حى باق فإن مات غري

ب جمال الدنيا وسر الخلود
مد فكم فى الأعشاش من غريد

ها هنا كل زهرة تبعث العط
كم زهور ستنشر العطر والأل

ر فإن تفتن فالشذى غير فاز
وان من بعد فى فضاء المغانى

ها هنا إن يسر أبولو بضوء الشـ
فالنجومُ الملائكاتُ جمالُ

ها هنا تنطقُ العرائشُ بالشـ
ها هنا تستحمُ آلهةُ الأند

كلُّ شئٍ حلُوٌ فأين ترى السكـ
فيمَ لا يملأونَ عالمهمَ لهـ

سرتُ فيه وحدي أسائلُهُ عنـ
أى لحنٍ يرتَّمونَ إذا الشمـ

كيف يحيونَ فى صفاء من العيـ
أأظلتهمُ السعادةُ بالأحـ

أتراهم يرتَّمونَ الأغاريدـ
تحت ضوءِ النجومِ والقمرِ البـ

أتراهم أولئك البَشَرُ اللاـ
أتراهم كما تخيل قلوبى؟

مسِ نحوَ المغيبِ كلَّ مساءٍ
شاعرىُّ الألوانِ والأضواءِ

بر وتحنو على مجارى الجدولـ
ههنا فى الماء تحت ظلِّ الخمائلـ

ان؟ أين الفلاحُ والقُطعانُ؟
وَأ؟ وأين الآمال والألحان؟

ساكنيه وأى وادِ حواهم؟
سُ أطلت؟ وما ترى نجواهم؟

ش بعيد عن قسوة الضراءِ
سلام أم هم كسائر الأشقياءِ

د ويلهونَ فى لىالى الحصادِ
سم بين العطورِ والأورادِ

هونَ بين الجمال والأحلام؟
أم ترانى أمعنْتُ فى أوهامى

يا رُعاة الأغنام في السفح عند الد
حدّثوني عن أغنياتكم الجذّ

بع بين العرائش السّندسيّة
لي وعن بسمّة القرى الشاعريّة

حدّثوني عن الربيع إذا مرّ
حدّثوني عن الحصاد ومجنّى الـ

على هذه القرى والشطوط
زهرٍ والبرتقال والبلوط

حدّثوني ما لي أراكم حزانى؟
كلُّ راعٍ جهمٌ الملامح لا يشـ

كلُّ راعٍ في وحشة واكتئابٍ
لدو ولا يزدهيه سحرُ الغابِ

أنت يا أيّها الحزينُ أجبنى
أى قييدٍ من المرارة والياء

أى حزنٍ في مقلتيك أراه؟
س أظلتك يا كئيبٌ يداه؟

كيف يشقى من في حمى هذه الجند
كيف يشقى الراعى وبين يديه

ة يحيا وتحت هذى السماء
جنّة من مفاتنٍ وضياء

أسفاً قد خدعتُ لم تصدّق الأحـ
لم أجدُ عند ذلك الشماحب

لامٌ فيما رسمن من أفراح
الصامتِ إلا مرارة الأقداح

فهو عند النبوع ينظرُ في الظلّ
ممعناً في الجمود والصمت كالو

إلى الأفقٍ شاحباً مصدوماً
تى يُناجى الفضاء يرعى الغيوما

لم تزل قُربَهُ على العُشبِ النا
هو ذاك الراعى الصغيرُ الذى را

دى عظامٌ لكائنٍ مَقْتُولِ
حَ طعاماً للذئبِ بين الحقولِ

إيه راعى الأغنامِ يا أيُّها المقـ
كيف ماتَ الراعى ولم تَمُتِ الأغـ

تولُ فوق العُشبِ الندىّ النضيرِ
نامُ يا لَلْمَقْدَرِ الْمَسْطُورِ

يا لحكمِ الأقدارِ يا راعى الأغـ
كيف تَفَنَّى الأشواكُ حارسَةُ الزهـ

نامِ يا ظَلَمَ ما تُريدُ الصرُوفُ
رِ ويَبْقَى الوردُ الرقيقُ الضعيفُ؟

إنها قصَّةُ الطبيعةِ يا را
إن تكنُ قد قُتلتَ فالثَّأرُ باقِ

عى قَتالٌ وأدمعٌ وشكَاةُ
وغداً تَقْتُلُ الذئبَ الرُعَاةُ

نازعَتنا البقاءَ فى هذه الأر
فلنا النصرُ مرةً ولهم أخـ

ضِ وحوشُ الأحراشِ والأطيَّارُ
رى كما تبتغى لنا الاقدارُ

فعزاءٌ يا أيُّها الجَسَدُ المصـ
قد بكاكِ الراعى الصديقُ وما زا

مروعٌ فى غمرةِ الكرى الأبدى
لَ غريقاً فى حُزنِهِ الأخوى

لم يَزَلْ جامداً على حافةِ النبـ
يرقب الماءَ شاكياً قسوةَ الاقـ

عِ وفى مقلتيه دَمَعُ الشجونِ
دارِ مستنكراً ضلالَ المنونِ

صامتاً ساهماً بعيداً عن الأغـ
رازحاً تحت وطأة الألم الطا

نام حيران في ضباب الوجود
غى مُشيحاً عن الشذى والورود

كلما جف دمعهُ ذكر المقـ
يا لأحزانه المُلحّات يا لد

تول والذئب فاسترد أساهُ
هول ماذا ترى بعيد صفاهُ؟

السنا والجمال؟ يا حيرة الرا
بعد حين ستغصفُ الريحُ بالصَفـ

عى ويا ضيعة السنا والجمال
صاف والورد في سُفوح الجبال

بعد حين يأتي المساء كئيباً
ويسود السكون غير هتاف

ويلفُ الجبال بالأحزان
رددته ضفادعُ الغدران

غير صوت النسيج في قرية الرا
غير صوت القدوم يُعملهُ الحفـ

عى تعالَى تحت الدجى المنشور
سار في الأرض بين صمت القبور

ثم يمضى الليل العميق إلى غيـ
ويعود القمرى يصدحُ جدلاً

ر رجوع وتبسمُ الاضواء
ن كأن ليس في الحياة شقاء

غير دار ماذا يعذبُ أهل الـ
غير دار ما خلف أكواخهم من

قرية البائسين من آلام
رعشات ولوعة وسقام

ليس يدرى القُمرىُّ لا ليس يدرى
ليس يدرى أنَّ الطبيعةَ تَقْسُو

ما وراء الأكواخ من حرمانٍ
ليس يدرى مرارةَ الأحزانِ

ليس يدرى ماذا وراء بيوت الط
ليس يدرى ماذا يهزُّ الخيامَ الـ

بين هذى من وحشةٍ وظلامٍ
سودَّ من لهفةٍ ومن آلامٍ

ليس يدرى القمرىُّ ما يُخزنُ الفـ
ليس يدرى أنَّ الأماسىَّ قد تمـ

لاحَ فى كوخهِ وليس يراهُ
ضى عليه وما يغيبُ أساهُ

ليس يدرى ما يفعلُ الجوعُ والحز
حينما تَغْمُرُ الثلوجُ ثرى المر

نُ بأهلِ الأكواخِ كلَّ شتاءٍ
جٍ وتطغى عواصفُ الأجواءِ

حينما فى حضائرِ القريةِ الحيـ
حينما تُذبلُ العواصفُ زهر الـ

رى يموتُ القطيعُ موتَ غبينٍ
لوز والبرتقال والياسمينِ

حينما تدفنُ الثلوجُ حقول الـ
حينما يصرخُ الجياعُ الحيارى

قمح يا رحمتاه بالفلاحِ
فى ظلامِ الأكواخِ كلَّ صباحِ

أيها الصادحُ المغرَّدُ فوق الـ
دعُ أساهُ يا طيرُلى أنا وحدى

مدَّوحٍ طرَّ عن هذا الوجودِ الأليمِ
واحى أنتَ الجذلانَ بين الغيومِ

دَعَاهُ لِي دَعْ آمَالَ قَلْبِي تَذْبِل
دَع فُؤَادِي يَعْذُ إِلَى ظُلْمَةِ الْأَحَدِ

خَبِثَتْ هَذِهِ الْقُرَى حُلُوهَا أَحْلَا
لَيْسَ يَدْرِي الرَّاعِي الْمَعَذَّبُ مَاوَا

خَدَعْتَنِي الْأَوْهَامُ لَيْسَ لَدَى الرَّا
فَهُوَ ذَاكَ الْمَكْدُودُ تَصْهَرُهُ الشَّمَمُ

يَتَمَنَّى أَنْ لَوْ تَبَدَّلَ بَيْتُ الطَّ
وَيُرِيدُ الْحَيَاةَ لَهَوَاءَ فَلَا أَغْدُ

يَا لَوْهَمِ الْمَسْكِينِ، كَمْ مِنْ شَقِيٍّ
لَيْسَ لِلْمَالِ أَنْ يُذَيِّقَ فُؤَاداً

يَا سَفِينِي مَا عَادَ فِي الْقَرْيَةِ الْحَدُ
لَيْسَ تَحْتَ الصَّفْصَافِ إِلَّا بَيُوتُ الطَّ

أَقْلَعِي أَقْلَعِي بَنَا قَدْ سَأَمْنَا
قَدْ رَأَيْنَا الدَّمُوعَ فِي كُلِّ عَيْنٍ

بَعْدَ بَحْثِي الطَّوِيلِ فِي الْكَوْنِ عَنْهَا
زَانَ وَاخْلَصْ يَا بَلْبَلِي أَنْتَ مِنْهَا

مَيَّ فَلَا رَسْمَ لِلْسَّعَادَةِ فِيهَا
هَا وَلَا كَانَ مَرَّةً مِنْ بَنِيهَا

عَيَّ رِخَاءُ الْحَيَاةِ لَيْسَ لَدَيْهِ
سُوءٌ وَيُقَسُّو الْحَصَى عَلَى قَدَمَيْهِ

بَيْنَ قَصْرٍ عَلَى حَفَافِ الْمَدِينَةِ
نَامَ تَشْغُو وَلَا نُفُوسَ حَزِينَةٍ

فِي ظِلَالِ الْقُصُورِ كَمْ مَصْدُومٍ
بَشَرِيًّا مَعْنَى الرِّضَى وَالنَّعِيمِ

وَا مَرَسِي لَنَا فَنَفِيمَ الْبَقَاءِ
بَيْنَ وَالسُّقْمِ وَالطَّوَى وَالْبَكَاءِ

صَرَخَاتِ الْجِيَاعِ فِي كُلِّ شُعْبٍ
وَشَهِدْنَا الشَّقَاءَ فِي كُلِّ قَلْبٍ

ما الذى يا سفينٌ يُغْرِى بأن نَبِّ
هل وجدنا طيفَ السَّعادة هل فى

حقى إذن؟ ما الذى ترى يُبْقِينَا؟
هذه الأرضِ فرحةٌ تُغْرِينَا؟

بين الفنانين

انشرى يا سفينُ أشرعةَ السيد
ثم ارسى بنا على شاطئ الفنِّ

ر وشُقِّي عُبَابَ هذى الحياةِ
وبين الأشعار والأغنياتِ

علَّنا واجدونَ فى ذلك الشا
علمهم قد ترشّفوا شهداءَ السا

طىُّ ظلَّ السعادةِ المِتمنى
حرَّ حتى صاغوه شعراً وفناً

طالما صوّروا لأحبانهم ما
طالما حدّثوا عن الأملِ الحد

قد دَعَوُهُ بنشوةِ الفنانِ
وَوَغِنُوا بالنور والألوانِ

فلنقف عندهم إذن ولنراقبُ
أتراها ليلٌ ودمعٌ وحزنٌ؟

ركبَ أيّامهم وكيفَ تمرُّ
أم تراها فجرٌ وضحكٌ وبشرٌ؟

مأساة الشاعر

قد هبطنا في شاطئ الشعر والفن
ها هو الشاعر الكئيب وحيداً
فماذا فيه من الأفراح؟
تحت سمع الأصال والأصباح

أبدأ سـاهم يراقب أياً
لا يرى الواهمون غير ضحّاها
مَ حياة لاتنقضي بلواها
ويعيشُ الفنانُ تحت دُجّاها

يرقبُ الأشقياء في ظلمة العَشْد
ويصوغ الألمان يرثي لبلوا
شِ ويكي لهم بكاء غبين
هم ويكي على الوجود الحزين

طالما بات ساهد الطرف حيرا
لا يرى في الحياة إلا وجوداً
نَ يسرُ الظلام أحزانَ شاعر
ظلّته يدُ الشقاء العاصر

أبدأ لا يرى سوى مسرح المأ
وستاراً من الدُجى يتجلّى
ساة بين الدموع والنتهيد
كلّ يومٍ عن مُيتٍ ووليدٍ

واكتئاباً يمشى على صور الكو
ودموعاً تلوح في كل عيني
ن جميعاً ولوعةً وشقاء
نِ ودهراً يخادعُ الأحياء

ليس يلقى الحياة إلا حزين الـ
كلما أنَّ بئسُ ذرف الشا

وإذا أذبلَ الجليدُ زهو الـ
وإذا ماتت البسابلُ ظمأى

فهو قلبٌ قد صيغَ من رقة الزهـ
وحياة حساسة ليس يدرى

هى عمر ظمآنُ تعصره العُزُ
فى سكونٍ لا صوت يُسمعُ فيه

غير همس الحمام فى الجبلِ المو
وحفيف الأشجار فى قبضة الر

غير همس الأشباح ملء دُجى الشا
يتلقى الأشعارَ عنها ويحيا

أيها الشاعرُ الذى يسهرُ الليـ
مُحرقاً روحه بخوراً على حبٍّ

قلب حيرانَ فى هموم الحياةِ
عرُ دمعُ الأسى على المأساةِ

لوز رانَ الأسى العميقُ عليه
جبال دمعُ الرثاءِ فى مُقلتيه

مر وعينٌ قد طُهرت بالدموعِ
سرّها غيرُ شاعرٍ مطبوعِ

لُة عَصراً، يمرُّ كالآزالِ
غيرُ صوتِ الصرَّارِ تحت الليالى

حشٍ أو لحنٍ بلبلٍ مهجورِ
يحِ وصوت الرعود فى الديجورِ

عرٍ فى ليله الطويل الجديبِ
أبدأ فى حمى الأسى والشحوبِ

لَ وحيداً مستغرقاً فى الجمودِ
(أبولو) ووحى به المنشودِ

ساهدأ حانياً على القلم الشا
راسماً للحياة صورتها المرّ

عر يرثى الدجى ويبكى السنين
ة بين الجيع والبائسين

أطفئ الضوء أيها الشاعر المت
كاد يخبو ضوء السراج وتأتى

عب وارحم فؤادك الموحوعا
ظلمات الدجى عليه جميعا

رقد العالم المعذب تحت الد
حسبك الآن ما سهرت مع الحا

ليل فارقدا وترك بقايا النشيد
رس ترثى لليلة المكدود

قد أوى الحارس الكئيب إلى الكو
فكفى يا حزين عطفاً على الكو

خ إلى غمضة الكرى والطيوف
ن ورفقاً بقلبك الملهوف

عجبا كيف تُسهر الشاعر الملد
كيف ترقا مدامع الورد فى الحق

هم أحزان من عن الحزن ناموا
ل ويبكى على أساها الحمام

آه يا شاعرى المعذب ماذا؟
فى سبيل الوحي السماوى تحيا

أكذا تصرف الحياة غبيناً؟
شاحب الوجه متعباً محزوناً

بعت بالشعر لهو أيامك الظمأ
ونذرت الشباب والحب للفن

ى وعُفت الحياة عيناً وقلبا
لتحيا على الجراح مُحبباً

ليس يعنيك أن تراقبك الأحـ
ليس يرضيك غيرُ لحنِ تغنيـ

حزانُ ما دمت مُلهما صدأحا
به وإن صغتهُ أسيٌ ونواحا

ليس تُعطي الحياةُ للشاعر المجـ
ليس تسمو الأرواحُ إن لم تطهرُ

عد إذا لم يذُق هموم الحياةِ
ها معاني الدموع والآهاتِ

فإذا أشحبَ الأسي وجنةَ الشا
وإذا عضَّ قلبه مُخلبُ الحز

عـرٍ أو بات ليله أواها
ن وضافت حياته بأساها

خاطبتهُ الحياةُ: يا شاعري المـ
النجومُ الوضاءُ لا تبعثُ السحـ

هم يا ابن الشحوب والآلامِ
ر إذا لم يُسدل ستارُ الظلامِ

والذي يجمعُ الزهورَ يدوس الـ
والذي يعشقُ الطبيعة لا يثـ

شوك يا شاعري ويمشي عليه
قل صمتُ الدجى على مسمعـه

فاحتمل ما استطعت أحزان عمر
وادفنِ النورَ في جفونك ميتاً

هو لولا الأحزانُ ما كان شيئاً
وابعثِ الشعرَ من فؤادك حياً

غن هذا العذابَ صف حياة الذـ
صف لهم كيف يصرفُ العمرَ حيرا

اس ماذا يُمكن فؤادَ الشاعر
ن ويحيا على أساه العاصر

صف لهم ذلك الصراع صراع الـ
كلّما أخفت النعيم صراخ الـ

فكر والقلب في ظلام الحياة
قلب ضجّ الفكر الأبي العاتى

فهما في حياته نبع أحزا
وهما الشائران لابدّ ممن صو

ن يردّ الحياة أفقاً كئيباً
تهما وليكن دماً ولهيباً

شرعة الفكر أن يغرّد بالشعر
ومناه السمو للعالم الأع

ر ويشدو وان يكن محزوناً
لى وان يلق في الطريق المتوناً

فهو أفقٌ حرٌّ يريد حياة الـ
وسواءٌ لديه أن يشحب الشا

عقل في معزل عن الإحساس
عرٌ أو أن تقسو عليه المآسى

أفليس الشحوب والألم العا
أو لا تقنع الحياة من الشا

صرّ نبعاً للشعر والألحان
عر باللحن في حمى الحرمان؟

فيم كان الصراع يبعثه القلـ
فيم يأبى الحياة في وحشة العزّ

بُ إذن فيم؟ فيم لا يطمئنُّ
لـ والفكر فيم يمضى يئنُّ؟

هكذا تصرّخُ الخواطرُ بالشا
ورأى الراعى الصبى يسوق الـ

عر في ليله، فإن جاء فجرٌ
غنم الظلمات لم يبقَ شعراً

ومضى القلبُ صارخاً أين حبي؟
أبدأ لا أني أضحى بأفرا

من بكائي تصوغُ شعرك للكو
من دمي هذه الملاحمُ فارحم

انطلق بي دعني أذقُ فرحة الحبِّ
ما غناءُ الأشعارِ يا شاعري المتد

ليس يُغني عنكَ النشيدُ إذا متَّ
لا تُقلُ في غدٍ غداً ندمٌ قسا

تحت ثقلِ الثرى وفي وحشة المو
فإذا لحنك الذي صغتهُ يأ

وستُنسى أنت الذي ملأ الدن
وسيبلى الترابُ ما يتبقى

ثم ماذا؟ غداً يقولون قد كا
ما رأينا منه سوى طيفٍ إنسا

أين لهوى؟ وفيم أبقى أسيرا
حي، وأحيا ذاك الحزينَ الكسيرا

نِ ومنى المنى ومنى الحنينُ
نى أنا العاشقُ الشجي المغبونُ

لعلّي من الشقاء أفرُّ
عَبَ إن كانتِ الحياةُ تمرُّ؟

حزينا وليس يرويك لحنُ
سِ على ما مضى ويأسٌ وحزنُ

تِ سيخبو هذا النشيدُ ويَفنى
سا وحزناً للناعمين يُغنى

يا جمالاً وماتَ ظمآنُ جهُما
منك يا مستطارُ حمأ وعظما

نَ فتىً بيننا طواه الهزالُ؟
نِ فقدناه واصطفاهُ الخيالُ

سيقولون شاعرٌ ركبتهُ
أبدًا يرقب الفضاء يصيد الذئ

لُوثَةٌ فانزوى وعاشَ غريباً
جَمَ أو يحصدُ الظلامَ الكثيباً

يرمق الزهر من بعيد وفي عيـ
جامداً قانعاً بعُذرى حبٍّ

نَيْهٍ أحلامٌ عاشقٍ ولهانٍ
يكتفى بالعطورِ والألوانِ

أيها الشاعرُ السجينُ كفانا
حسبك الآنَ ما خضعتَ لصوت

غربةٍ في حياتنا ووجوما
العقل وارحم شبابك المحروما

ويمرّ النهار والشاعر المغـ
بين همس الصوتين يحيا كئيباً

جونٌ حيرانٌ بين فكى أساهُ
ويناجى طيـوفه ومناهُ

فاذا جاش قلبهُ بمعانى الـ
لائذاً باليراع يسكبُ فيه

يأسُ ألقى أحزانهُ فى النشيدِ
ما يُعانى من العذابِ الشديدِ

ساكباً روحه على كل بيت
راضياً بالشحوب والسقم حباً

ناحتاً من فؤاده الألفانـ
لأبولو مُستسهلاً ما كانا

كلُّ بيتٍ من شعره يتقاضا
فهو فى لحنه يُذيبُ صباهُ

ه شحوباً ورعشةً وسقاما
ويضيعُ الشبابُ والأحلاما

ثم ماذا؟ سرعان ما يزأر الإعداء
وإذا الضوء في الأعالي يخبو

ويغيب الضياء في ليل قبر
ليس يرثيه غير ذاوى صباه

ذلك الشاعر الذي كان يحيا
ذلك العاطف النبيل على الأحـ

نبذته الأيام في قبره الموحـ
حيث لا آهة يصعدها قلـ

هكذا في العذاب تمضي حياة الشـ
هكذا يملأ الوجود جمالاً

هكذا كل شاعر فارحلى بـ
ولندعهم في ذلك الشجن العا

ولنسر في بحر الحياة كما كنـ
ربما يا سفين نلقى ضياء

صار، والزهرة الجميلة تذوى
وإذا النجمة الوضيئة تهوى

ليس تبكى له سوى الأمطار
وبقايا القيثارة والأشعار

عمره باكياً على كل باك
زان ذاك الملقى على الأشواك

حش تحت الرياح والظلمات
ب ولا دمة على المأساة

عبر الملهم الرقيق وتنسى
ويذوق الآلام كأساً فكأساً

يا سفينى عن عالم الشعراء
صف بين الآهات والأدواء

ونلقى المرسى على كل ساحل
يتجلى بعند الظلام القاتل

عند العشاق

ربما كان في حياة المحبيب	من رجاء أو دفقة من ضياء
ربما كان عندهم ذلك الإك	سير بين الخيال والأهواء
شاطئ الحب أيها اللامع الخا	دع هات الحديث عن أبنائك
صف مناهم وبشرهم وأساهم	صف لنا ما اختفى وراء صفائك
صف لنا كيف يعصر العاشق الشو	ق إلى من ينام عن بلواه
كيف يلهو به الخيال فيمضي ال	ليل سهران غارقاً في مناه
صف حياة الذي استبد به الحب	فخال الحياة جنة سحر
ومضى فاتحاً ذراعيه للنو	ريصوغ الحياة ديوان شعر
يلثم الزهر في الحقول ويشدو	لليالي الحصاد لحن هواه
راقصاً كالفراش للقمر الحلد	وخلياً من يأسه وأساه
راسماً للغد الجميل من الأح	لام ما لا تطيقه الأقدار
ساذراً في أوهامه غير دار	أن هذى الحياة هول ونار

فى يديه كأسُ الرحيق يغني
وعلى ثغره ابتسامةٌ مخدو

ه على مسمعِ النهار ويشربُ
ع يغنى له الشقاءُ فيطربُ

ثم يخبو الضياءُ ذات مساء
فإذا الحقل ذابل لا زهورُ

ويُفسيقُ النشوانُ بالأوهام
لا فراشٌ لا شيءٌ غير الظلام

أين تلك الأحلامُ؟ كيف ذوى الحبُّ؟
يا لغدرِ الأيامِ لم تحفظِ العهد

وأين الوجهُ الحبيبُ النضيرُ
لدَ لقلبٍ جنى عليه الشعورُ

وتمرّ الحياةُ والعاشقُ المهـ
أبدأ يُرجعُ الخيال إلى الما

جورُ قلبٍ دام ووجهٌ شاحبُ
ضى ويكى على الغرامِ الذاهب

أبدأ يرمقُ الحياةَ كئيباً
ويراها الذئبَ الذى ينهشُ القلب

من وراء الدموع والأحزان
بَ ويقسو على الأسى الإنسانى

أبدأ يسأل الظلام حزيناً
أين زهرى وأين بلبلَى المنـ

شاردَ الفكر أين الحانُ قلبى
شودُ؟ ماذا أضاع أحلامَ حبيّ؟

أين تلك التى سكبتُ عليها
أين تلك العيونُ تلهمُ أحلا

من حياتى ومن فؤادى ولحنى
مى وتمحو غشاوة الحزن عني؟

يا لقلب المسكين تلذعه الذك
هكذا قد قضى عليه كيويـ

رى وتُخسى غرامه وأساهُ
دُ فماذا تُفيدة شكواهُ؟

فليجد في الخيال والشعر والذك
وليقض الحياة بين حقول الـ

رى دواءً لحببه المصدوم
قمح والقطن تحت ضوء النجوم

وليعب الغيوم والفجر والنهـ
يتغنى فيعشق الزهر موسيـ

ر ويُمضي الأيام بين التلال
قاه عند الهوى وفوق الجبال

فحياة الخيال أجمل من وا
وهنا يا مصدوم حرية الرو

قع حب ملقح بالرماد
ح فماذا يُغريك بالأصفاد

سل كيويـد عن شقاوة صرعا
كيف يخون في جحيم من الشك

ه وماذا يلقون من تعذيب
وليل من الضنى والشحوب

إن قضت بالحرمان أيامهم عا
يشتكون الأقدار والزمن العا

شوا حزائي معذبين حيارى
تى ويحيون أشقياء أسارى

وإذا ما تحقق الحلم العذ
ويعود الضياء ليلاً دجياً

بُ أشاحوا عن سحره كارهينا
وتعود الأزهار شوكةً وطنينا

هكذا يخمد الغرامُ وتخبو
فالسعيدُ السعيدُ من دَفَنَ الحبَّ

شعلةُ الحبِّ والمنى والحنينِ
وعاشَ الحياةَ غيرَ سجينِ

يا دموعَ العشاقِ قد شبعَ العا
قد ملأنا الكونَ الجميلَ دموعاً

لم يؤسأً فلا تزيدُ أساهُ
وشبعنا من صمتهِ ودجَاهُ

فانضبي أنتِ حسبنا شجنُ العي
حسبُ هذى الأرضِ الكثيبةِ دمعَ الـ

ش وبلى الحَيَاةِ والأَيامِ
بائسينَ الجِيعِ والأيتامِ

انضبي واطردى خيالَ كيويـ
لن ينالَ العشاقُ يوماً سوى أد

دَ وحسبُ الغرامِ هذى الضحايا
مع حبٍّ حَفَّتْ سناهُ المنايا

قيس وليلى

لى؟ سلوا هذه الصحارى الحزينه
أمس ليلاً وكيف عاش سنينه

صديقُ الظباءِ فى الصحراءِ
بدِ وطيفِ الشحوبِ والأدواءِ

فعاش الحياةَ دونَ مقرِّ
رَ هواهُ لكلِ هوجاءٍ تسرى

بن من الشوقِ والأسى والحنينِ
لى عليه فى ماضياتِ السنينِ

قيسُ أغنامهُ فتشدو ويشدو
سُمرُ حيثُ الظباءُ تلهو وتعدو

شقِ ماذا قد أبقتِ الأقدارُ؟
دى وجفَّتْ فى رَحْبِهِ الأزهارُ

كيف مات المجنون؟ هل سَعدتُ ليد
اسألوها ما حدثَ الريحَ قيسُ الـ

ذلك الشاعرُ الشريدُ الخيالىُّ
ونجى الرمالِ والوحشِ والبيـ

سحقَ الحبُّ قلبَهُ المرهفَ الغضُّ
فوق تلك الرمالِ يُنشدُ أشعا

راسماً فوق صفحةِ الرملِ ما كا
لائماً كلَّ موضعٍ خطرت ليد

يومَ كانت ترعى الشياهَ ويرعى
وتدوى باللحنِ تلك الرمالُ الـ

يومَ كانت يا لهفةَ الشاعرِ العا
نضبتُ فرحةَ الصببا وذوى الوا

وَبَقِيَ قَبْرٌ عَلَى قَدَمِ التَّلِّ
وَحَنَّتْ فَوْقَهُ شَجِيرَةٌ وَرَدَ

ذَوَتْ تَحْتَهُ مَعَالِمَ لَيْلَى
تَخَذَتْهَا الْأَشْلَاءُ فِي الْقَبْرِ ظِلًّا

وَبَقِيَ قَيْسُ الْمَعَذِّبُ يَبْكِي
رَاقِدًا عِنْدَ حَافَةِ الْقَبْرِ لَا يَفْ

مَا تَبَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ الْمَصْدُومِ
نَأَى يَشْكُو إِلَى الصَّبَا وَالْغَيْومِ

يَتَمَنَّى لَيْلَ الْمَنَايَا وَيَدْعُو
وَيَغْنَى لِلْمَوْتِ أَجْمَلَ الْحَا

هُ إِلَيْهِ بِأَعْدَبِ الْأَسْمَاءِ
نِ هَوَاهُ تَحْتَ الدُّجَى وَالضِّيَاءِ

ثُمَّ جَاءَ الصَّبَاحُ يَوْمًا وَقَيْسٌ
لَيْسَ تَبْكِيهِ غَيْرُ تَنْهِيدَةِ الرِّيدِ

فِي يَدِ الْمَوْتِ ذَاهِلٌ مَصْرُوعٌ
حِجْ وَصَوْتِ الْبُومِ الْكَثِيبِ دَمُوعٌ

يَا قُلُوبَ الْعَشَّاقِ حَسْبُكَ حَبًّا
هِيَ هَذِي الْحَيَاةُ لَا تَمْنَحُ الْأَحْيَاءَ

وَأَقْبَسَى مِنْ مَأْسَاةِ قَيْسٍ مَثَالًا
يَبَاءَ إِلَّا الْعَذَابَ وَالْأَهْوَالَ

خَدَعْتَنَا بِالْحُبِّ وَالشُّوقِ وَالذِّكْرِ
عَالَمٌ سَافِلٌ يَضْجُ مِنْ الْإِثْرِ

رَى وَمَا خَلْفَهَا سِوَى الْأَوْهَامِ
سَمٍ وَيَحْيَا بَيْنَ الْهُوَى وَالظَّلَامِ

فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُونَ يَا عَاشِقِي النَّبِ ابْعَدُوا ابْعَدُوا عَنِ الْحُبِّ وَانْجُوا	لِي وَرُوحِ الْخِيَالِ وَالْأَنْغَامِ بِأَغْـسَانِيكُمْ مِنْ الْآثَامِ
اهْرَبُوا لَا تَدْنَسُوا عَالَمَ الْفَنِّ احْفَظُوا لِلْفَنِّ مَعْبَدَهَا السَّا	بِهَذِي الْعَوَاطِفِ الْآدَمِيَّةِ مَيِّ وَغَنُوا أَنْغَامَهَا الْقُدْسِيَّةِ
قَدْ نَعِمْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ بِأَحْلَى يَعْمَهُ الْآخَرُونَ فِي لَيْلِهَا الدَّا	مَا عَلَيْهَا وَفَرْتُمْ بِجَنَّاها جِي وَأَنْتُمْ تَحْيَوْنَ تَحْتَ سَنَاها
اقْنَعُوا بِاكتئابكم وَاعْشَقُوا الْفَنِّ وَعْدًا تَهْتَفُ الْعَصُورُ بِذِكْرَا	وَعِيشُوا فِي عُرْزَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ كَمْ وَتَحْيَوْنَ فِي رِحَابِ السَّمَاءِ
اقْنَعُوا مِنْ حَيَاتِكُمْ بِهَوَى الْفَنِّ وَاحْلُمُوا بِالطُّيُورِ فِي ظِلِّ الْأَغْدِ	وَسَحَرِ الطَّبِيعَةِ الْمَعْبُودِ صَافً بَيْنَ التَّحْلِيقِ وَالتَّغْرِيدِ
اعْشَقُوا الثَّلْجَ فِي سَفُوحِ جِبَالِ الدِّ وَأَصْبِيحُوا لَصُوتِ قَمَرِيَّةِ الْحَقْدِ	أَرْضِ وَالْوَرْدَ فِي سَفُوحِ التَّلَالِ لِي تَغْنِي فِي دَاجِيَّاتِ اللَّيَالِي

اجلسوا في ظلال صَفْصَافَةِ الوا
واستمِدُوا من نعمة المَطَرِ السا

وتغنوا مع الرعاة إذا مرَّ
وأحبوا النخيلَ والقمحَ والزَهْدَ

شجرات الصَفْصَافِ أجملُ ظلاً
وغناءُ الرعاةِ أطهرُ لحناً

وعبِيرُ النارنجِ أحلى وأندى
وصفاءُ الحقولِ أوقعُ في النف

وغرامُ الفراشِ بالزهرِ أسمى
ونسيمُ القُرَى المغازلُ أوفى

وحياةُ الراعي الخياليُّ أهنا
في سفوح التلالِ حيثُ القطيعُ الـ

حيثُ تشغو الأغنامُ في عطفةِ المرَّ
وينامُ الراعي المغرَّدُ تحت السَّـ

دى وأصغُوا إلى خسريرِ الماءِ
قطِ أحلى الإلهامِ والإيحاءِ

وا على الكوخِ بالقطيعِ الجميلِ
مرَّ وهيموا في فائناتِ الحقولِ

من ظلالِ القصورِ والشُرُفاتِ
من ضجيجِ الأبواقِ والعَجَلاتِ

من غُبارِ المدينةِ المتراكمِ
سِ من القَتْلِ والأذى والمآثمِ

من صباياتِ عاشقِ بَشَرِيٍّ
لعهودِ الهَوَى من الآدميِّ

من حياةِ الغنى بين القُصُورِ
حلَّو يرعى على ضفافِ الغديرِ

ج وتلهو في شاسعاتِ المجالى
رو مستسلماً لأيدى الخيالِ

في يديه النايُ الطُروبُ يناجي
مستمدّاً من همسٍ ساقية السف

ه ويشدو على خُطَى الأغنام
ح لحونَ الشَّباب والأحلام

آه لو عشتُ في الجبال البعيدا
وأغنى الصفصافَ والسَّرو أنعا

ت أسوقُ الأغنامَ كل صباح
مى وأصغى إلى صفيرِ الرياح

أعشقُ الكرمَ والعرائشَ والنب
كلَّ يومٍ أمضى إلى ضفّة الوا

ع وأحيا عُمرى حياةٍ إله
دى وأرنو إلى صفاء المياه

أصدقائي الثلوجُ والزهرُ والأغ
ومعى في الجبال ديوانُ شعرٍ

نامُ، والعود مؤنسى ونجى
عبقريُّ لشاعرٍ عبقريُّ

أنغنى حيناً فتُصغى إلى الح
وأناجي الكتابَ حيناً وقربى

نى مياهُ الوادى ومرتفعاته
هدهدُ شاعرٍ صَفَتْ نغماته

وخريرٌ من جدولٍ مُعشِبِ الضِفِّ
وثغاءٌ عذبٌ من الغنمِ النش

ة يجرى إلى حفاف الوادى
وى وهمسٌ من النسيمِ الشادى

آه لو كان لى هنالك كوخٌ
فى سكونِ القرى ووحشتها أق

شاعريُّ بين المروج الحزينه
ضى حياتى لا فى ضجيج المدينه

ليستنى من بنات تلك الجبال الد
ليستنى ليستنى وهل تبعث الأح

غُنَّ حيثُ الجمالُ فى كل رُكنٍ
سلامٌ إلا الدموعُ فى كل عينٍ

قدّرت لى السنينُ أنى هنا أق
فى ضباب الخيالِ أمشى وحولى

ضى حياتى قلباً رقيقاً شجياً
عالم للغنى يموت ويحيى

قد أحبُّوا أيامهم وتمرد
إن أكن قد ولدتُ فى هذه الضجّة

تُ عليها فعشتُ فى أحلامى
ة فلالتجىءُ إلى أوهامى

ولأعشُ فى الخيال حيث تهيمُ ال
هكذا تَهْدأُ الأمانى إلى حيد

روحُ بين المروجِ والقطعانِ
نٍ وتخبو مرارةُ الأحزانِ

هكذا أدفنُ الطموحَ كما يدُ
وعيون الأقدارِ يضحكن منى

فإنه كلُّ طامعٍ بشـرى
هازئات بضـعفى الأدمى

يا عيون الأقدار لا ترمقى دم
إن يكن فى دمي طموحٌ نبى

عى ولا تهزأى بقلبى الحزينِ
فأسى اليائسين ملء عيونى

كان هذا الطموح لعنةً أيا
كلما حقق الزمانُ لقلبى

مى فيما ليستنى عصيتُ هواهُ
حُلماً صوّرتُ حياتى سواههُ

لست أدري ماذا سيجنيه قلبي
أبدأ أرتقي النجوم وأرنو

من سُرودى فى كل أفق ونجم
لمجاهيل عالم مدلهم

لست أدري شيئاً أنا اليأس يا أر
أنت وحسى ومنك تنبع أحلا

ض وأنت ابتسامتى ودموعى
مى، وإن كنت فى حماك الوضع

أرفعينى إلى السماء إذا شئت
وأعيدى منى إذا شئت للطيب

ت بوحى من سحرك الشاعرى
ن فتاة تبكى على كل حى

أضحكينى وأطلقينى ورقاء
أو دعينى أبكى على أشقياء الـ

تغنى بحسبك الفتان
أرض بين الحنين والحرمان

ضاع يا أرض فيك معنى الأمانى
وخبئت فى كآبة الموت أصوا

وتبقى الشقاء والأكدار
ت الأغاني واستسلم القيثار

فعلام العزاء والأمل المو
ولم الأشقياء يخفون بلوا

هوم فى حومة الدجى المدلهم
هم ويخيون فى خداع ووهم

قد وصفت الشقاء فى شعرى البا
وشدوت الحياة لحناً كئيباً

كى وصورت أنفس الأشقياء
ليس فى ليله شعاع ضياء

فأثارت كآبتي عَجَبَ النَّا
مَا دروا أَننى أَنوح على مَا

سِ وُحاروا فى سرِّها المجهولِ
سَاتهم فى ظلامها المسدولِ

أنا أبكى لكل قلب حزينٍ
وأروى بأدمعى كلَّ غصنٍ

بعثرت أغنياته الأقدارُ
ظامئى جفَّ زهره المعطارُ

القصر والكوخ

كلّ فجرٍ أرى الرعاةَ يَمرو
في ثلوجِ الجبالِ أو لهبِ الشم
نَ فأبكي على حياةِ الرعاةِ
سِ يريقون مبهجاتِ الحياةِ

ويمرّ القطيعُ بى فأرى الأغ
يا حياةَ الإنسانِ لا فرحةً في
نامَ بين الذبّاحِ والسكّينِ
كِ إذا لم تُصحبْ بدمعِ غبينِ

فكنوز الغنى يجمعها الفلاً
ذلك الكادحُ المعذبُ فى القَر
حُ فى عُمُرهِ الشقى الكسير
يةِ بين المحراثِ والناعورِ

كلّ صيفٍ يسقى البساتين تحت الش
فهو يُلقي البذورَ والمترفُ الها
مسٍ ، والقصرُ هاجعٌ وسنانُ
نئى يُجنى وتشهدُ الأحزانُ

يا لىالى الحصادِ ماذا وراء ال
شهد الكوخُ أنّه يحمل الحز
حقولِ والحاصدينَ من مأساةِ
نَ لتحظى القصورُ بالخيراتِ

كيف يجنى الأزهارَ والقمحَ والأثـ
ويموتُ الفلاحُ جوعاً ليفترَّ

حمارٌ من لم يجرحَ يديهِ القَدُومُ؟
لعينَيَّ ربَّ القصورِ النعيمُ؟

كيف هذا يا رب؟ رفقا بنا رفـ
وطفت في الفضاء آهاتنا الحـ

قاً قد غصَّت الكؤوسُ دموعاً
رَى تغنى رجاءنا المصروعاً

كآبة الفصول الأربعة

نحن نحيا في عالمٍ كلُّه دم
تتشقَّى عناصر الزمن القا
عٌ وعُمُرٌ يفيضُ بأساً وحزناً
سى بآهاتنا وتسخرُ منا

في غموضِ الحياةِ نسربُ كالأشـد
كلَّ يومٍ طفلٌ جديدٌ ومَيتٌ
بِباحٍ بين البكاءِ والآهاتِ
ودموعٌ تبكى على المأساةِ

ثم ماذا؟ في أىِّ عالمنا المُحـذ
عند وجهِ الطبيعة الجهم أم عند
زِنٍ نلقى العزاءَ عما نقاسى؟
لـدَ فؤادِ الزمانِ وهو القاسى

قد عبرنا نَهراً الحياةِ حَيَّارِ
وثبتنا على أسانا خريفاً
في ظلامِ الفصولِ والسَّنواتِ
وربيعاً فما جمالُ الحياةِ؟

طلما مرَّ بي الخريفُ فأصغيتُ
وأنا في سكونٍ غرقتى الدجـ
تُ لصوتِ القُمريَّةِ المحزونِ
بياءٍ أرنو إلى وجوم الغصونِ

طلما في الخريفِ سرت إلى الحقـ
كيف لا والكآبةُ المرَّةُ الخـ
ل وأمعنتُ في وجومى وحزنى
ساءٌ قد رفرفتُ على كلِّ غصنٍ

والحمامُ الجميلُ قد هَجَرَ الأعـ
وطيورُ الكنارِ أثرتِ الهـجـ

وغصونُ الأشجارِ مصفرةُ الأوـ
ورياحُ الخريفِ تعبثُ بالأوـ

طالما سرتُ في المساءِ وفي سمـ
كلّما سرتِ خطوةُ أنْتِ الأوـ

أرْمَقُ الحقلِ والجداولُ قد جفـ
وأحسُّ اليومَ الكئيبَ يُغْنِي

وأرى النهرَ من بعيدٍ كسرٍّ
لا رُعاةٍ على شواطئه يُزُـ

لا اخضرارٌ يغري الحزانى بأن يسـ
ليس إلا رطوبةُ الأرضِ والوحـ

فإذا رعيشةٌ تضمُّ فؤادى
ما أمرَ الخريفُ يا ربَّ ما أوـ

شاشَ سَأمانٌ من وجومِ السهوبِ
رّةٌ والعيشُ فى حقولِ الجنوبِ

راقٍ والزهرُ ذابلٌ مكفـهـرٌ
راقٍ والسُّحْبُ فى الفضاءِ تمرُّ

عِىَ صوتُ الأوراقِ تحتِ خُطايا
راقٌ فاستجمعتُ بعيدَ أسايا

ستُ ولونِ الفضاءِ أسودٌ غائمٌ
من بعيدٍ بين النخيلِ الواجمِ

غلّفته أيدى الخريفِ الكئيبِ
جونَ أغنامهم قُبيلَ الغروبِ

عَوَا إليه ولا صفاءٌ جميلٌ
شِئٌ والصمتُ والرُّبى والنخيلُ

وإذا الروحُ ضائقٌ بأساءه
حشَّ إصباحه وأقسى مَساءه

ثم يأتى الشتاء بالثلج والأم
وتمرّ الأيام موحشة الخط

وتموتُ الأزهارُ فى قبضةِ الثل
وتغيبُ الأطيارُ فى الموقدِ المهـ

ويجىءُ المساءُ بالمطرِ المنـ
وتظَلُّ الرياحُ تعصفُ بالنخـ

آه ما أكأبَ الشتاءَ ليالي
حينَ أخلو لنارِ موقدى الخامـ

لستُ أصغى إلا إلى ضجةِ الإعـ
واصطفاقِ الأمواجِ فى شاطئِ النهـ

كل شىء فى الكونِ حولى كئيب
كل شىء حولى سوى ساعتى الصمـ

ايه يا ساعتى الكئيبةَ يا من
ما الذى تبعثين فى نفسى الحـ

طارَ والريح فى سكونِ الليالى
و بطاءَ الإصباحِ والأصالـ

حج ويعرو الأشجارَ لونَ الزوالِ
جور أو فى كهفٍ وراءِ الجبالـ

هل يبكى على شجَا الإنسانِ
لـ وترثى لكل قلبٍ عـانـ

ه وأيامه وما أقساهُ
د والقلبُ مُفرقٌ فى أساهـ

صار بين النخيل والصفصافِ
ر ووقع الأمطارِ فوق الضفافـ

فى ليالى الشتاء ذات الرعودِ
ء فى صمتِ غرفتى المعهودـ

صحبتنى فى فرحتى وشقائى
ررى من الحزن فى ليالى الشتاءـ

أبدأ تخفقين في معصمي البا
لحظات تمر في ثقل السا

رد والليل مظلم ممدود
ع ليل معذب منكود

كم سهرت المساء أصغى إلى دق
أنت يا من أحصيت ساعات أيا

ساعتك الحائرات في مسمعي
مي وكنت الرسول منها إليا

رحمة في الشتاء بي لا تعدى
واتركيني أصغى إلى نغم الأم

ما تبقى يا ساعتى من حياتى
طار فوق الحقول والربوات

اتركيني فنغمة المطر الها
يا رسول القضاء والزمن المفد

مر أحلى من صوتك الجبار
نى وصوت الأحداث والأقدار

اتركيني وحدى وإن كان ليلي
اتركيني أصغى إلى الرعد والأم

مكفهرأ تحت البروق طويلا
طار يا ساعتى وكفى العويلا

وغدا يُقبلُ الربيعُ فيحلو
وتعود الدقاتُ منك نشيدا

عقرباك المحببان لعيني
أغنى به ويصمدح فنى

الربيعُ الجميلُ فصلُ الطيور ال
عندما تكتسى العرائش بالكر

بيض والزهر والسنا والعطور
م وتشدو طيورها فى البكور

عندما يخرجُ الرعاةُ إلى الوا
عندما يزهر البنفسجُ والخبَّ

دى بأغنامهم وتزهو الضفافُ
أزُ والبرتقالُ والصفصافُ

وتذوبُ الثلوجُ في القمم العُلُ
ويعودُ البطُّ الجميلُ إلى الشا

يا فتجري السيولُ في كل وادٍ
طى بين الأعشابِ والأورادِ

ويعود الفلاحُ يخرجُ للحق
تحت شمسِ الربيعِ يسقى جذورَ الـ

لِ طروبِ الفؤادِ كلَّ صباحٍ
تينِ والبرتقالِ والتفاحِ

وتعود الطيورُ للوطنِ المهـ
في ثنایا الأغصانِ تتخذُ الأعـ

جورِ جَذَلَى مفتونةً بالربيعِ
شاشَ تحتَ النورِ النقيِّ البديعِ

والقمارىُ تستحمُ وتلهو
وتغنى للنهرِ أعذبَ ألحا

بين زهر الخبَّازِ فوق الضفافِ
نِ الأمانى في مسمعِ الصفصافِ

وزهورُ السفوحِ تضحكُ للنحد
وقطيعُ الأغنامِ يَمَسِرُ والرا

لِ وتُحْنى رؤوسها للنسيمِ
عِ يُقْضَى النهارُ تحت الكرومِ

وصبايا القُرى يرحنَ ويغدو
منشداتِ أحلامهنَّ على سمـ

نَ نَشاوى على ضفافِ السواقي
عِ الينابيعِ والورودِ الرقاقِ

وسماء الحياة تزخر بالوح
أى أدونيس آه لو عشت فى الأر

آه لو لم يكن مقامك فى عا
آه لو دمت يا أدونيس للأر

يا ضياع الأحلام فى مسمع المو
ليس يبقى الربيع إلا قليلاً

مثل زهر الصحراء سرعان ما تقد
وتعود الواحات قفراً كما كا

هكذا يرحل الربيع سريعاً
وتموت الأمال فى كل قلب

فكان الحياة لم تبتسم إلا
وكان الزهور لم تنشر الأشد

وكان النضارة الحلوة الجذ
وكان الطيور ترسل لحن الـ

سى ويصحو الشعور والأحلام
ض فعاش السنا ومات الظلام

لنا المكفهر حُلماً قصيراً
ض وأبقيت عطرك المسحوراً

ت وماذا تُفيدنا الأحلام
ثم يخبو الجمال والأوهام

تله الشمس والرياح الهوج
نت ويذوى العشب النضير البهيج

وتعود الحياة للأحزان
وتعيش النفوس للحرمان

لتلقى سوادها فى رؤانا
لذاء إلا لكى تُشير أسانا

لى حذاء بنا لصمت القبور
موت فى سمع كل حى غريب

يا شباب الحياة ما أنت بالخا
ليس تُبقى على نضارتك الأقد

لد إلا خلود زهر الربيع
مدار في حومة الأسى والدموع

أسفاً يا ربيع يا ورد يا عط
أكذا يخفت الضياء ويبقى الصر

رُ أهذا ختام كل جمال
مت والحزن في سكون الليالي

قصّة الحب والجمال أهذا
تصدى لها يد الزمن الما

ما إليه تكون بعد صباها؟
حي فتبلى ضياءها وصداها

هكذا يا ربيع يختتم النس
ويعيش الإنسان عصره الذك

بيان والصمت كل شيء جميل
رى ويبكى على أساء الطويل

فإذا عضت الكآبة قلبى
فعلى مصرع الفراشات أبكى

فى أضاحى الربيع واشتد حزنى
وذبول الوادى الشجير الأغن

يا معانى الزوال والعدم الرا
لا تطللى على من كل شيء

نع رحماك وارفقى بصبايا
فى وجودى فقد سئمت أسايا

اتركينى أر الربيع طيوراً
ولتكن زهرة البنفسج فى عي

ليس ينوى لها الأذى مُغتال
منى خلوداً لا يغتريه زوال

ودعيني أعش مع الذكريات الـ
علّ هذا يجلو أسي الصيف عن قلـ

فلقد جفت الرياض الجميلا
وانطوت فرحة الربيع ومات الـ

لم تعد في العشاش قمرية تشـ
كيف تحيا الطيور في لهب الشمـ

لم يعد للنسيم قلب يحب الذـ
لم يعد للأزهار لون جميل

كل شيء في الصيف ينطق بالقسـ
تشكّي عريشة الكرم لكن

آه ما أكاب الظهيرة في الصيـ
وتلاشي في الجو كل هتاف

وبكاء الحماسة الخافت النا
وأزيز من نخلة تملأ القلـ

بيض في أمسي الجميل الراحـ
سبي ويحى موات حلمي الذابل

تُ فلا زهرة ولا أشـذاء
عُشب في أرضها وجف الماء

دو وتسقى أفراخها في النهار
س وتلهو تحت اللظى والنار

هر والمرج في ظلام الأماسي
يتجلّى لرهفي الإحساس

وة والشمس شعله ولهيب
ليس يجدى توسل ونحيب

ف إذا لاذ جوهها بالسكون
غير صوت الطاحونة المحزون

ئي وصوت الغراب بين الكروم
ب ملاً بصوتها المسووم

ثم ماذا؟ ماذا ترى العينُ في الصيـ
هل سوى منظرِ النخيلِ البعيدا

هل سوى منظرِ الرعاةِ يعودو
بعدَ يومٍ أمضوهُ تحتَ لظىِ الشمـ

هل سوى الصائدين في النهرِ الضحـ
لم يصيدوا وصادَ أرواحهم حرُّ

كلَّ يومٍ يمضى النهارُ ولا صيـ
يا لقلبِ المسكينِ قد سئمَ النهـ

فهو عند الغروبِ يرجعُ بالزو
إن تغنى فبالشكاةِ يُزجـ

كم رأيتُ الصيَّادَ في الشارعِ المُقـ
عكستُ مقلتناهُ أحزانَ قلبِ

لستَ أنتَ المحزونَ وحدك يا صيـ
هو سجنُ الحياةِ قد كُبلتْ أقـ

فإذا أقبل المساءُ الداجي؟
تِ وحزنِ الاشجارِ خلفَ السياجِ

نَ بأغنامهم حيارى بطاءـ
س ملالاً وشقوةً وعناءـ

لِ يعودون في المساءِ الكئيبِ
نهارٍ مؤذٍ وعيشٍ جديبِ

دَ يعزى صيَّادهُ الطوائفـ
رَ وعافَ المياهَ والمجذافـ

رقِ سَأمانَ واجمَ الألمانِ
ها إلى خافقِ الحياةِ الجاني

فمرِ يمشى معذباً مصدوما
سئمَ العيشَ والوجودَ الأليما

أدُ في حومةِ الشقاءِ المخيفِ
يئادهُ السُّودُ كلَّ قلبٍ رهيفِ

ذلك شأنُ الإنسانِ يا أيُّها الصِّـ
فى صراعٍ مع العناصرِ لا يَهـ

أدُ يا شاكيًا ظلامَ الرزايا
أدُ حتى يأوى لوادى المنايا

فى سبيلِ الحياةِ يبدلُ أفرأ
فهو يجرى وراءَ حلمٍ كذوبِ

حَ صِبَاهُ وَيَسْتَطِيبُ أَسَاهُ
رَسْمَتُهُ أَوْهَامُهُ وَرَوَاهُ

وعجيبُ أنا نذوقُ سوادَ الـ
أى عُمُرٍ هذا؟ وأَيَّةُ مأسا

عيشِ واليأسِ والملالِ لنحيا
ةِ بَلَوْنَا سَوَادَهَا الْأَبْدِيَا؟

أبدًا نحنُ فى كفاحٍ مع الأقد
يتحدّى أحلامنا الواقعُ المرّ

مدارِ والحادثاتُ تُبلى وتُفنى
ويقسو زماننا المتجنى

ونخافُ الغدَ الدجى ولا نعد
يا ظلامَ المجهولِ ما أَرهَبَ التفـ

لمُ ماذا يكونُ فيه المصيرُ
كبيرَ لا كانَ سرُّكَ الْمَسْتُورُ

أه لو كان فى الحياةِ مفرُّ
فى شعابِ الهدوءِ يا ليتنا نلـ

من شقاءِ الأوهامِ والأفكارِ
قى بأعباءِ خوفنا الجبارِ

أسطورة نهر النسيان

مخلبُ الخوف والتشاؤم قد جرَّ	حَ أَيَّامنا وأدَمَى صَبابنا
لَيْتَ نَهْرَ النسيانِ لم يكُ وهماً	صورتُهُ أحلامُنا لأَسابنا
لَيْتَهُ كَانَ لَيْتَ أَخْبَارِهِ حَقٌّ	لننسى ما كان أو ما يكونُ
ونعيشُ الأحرارَ من قيدِ بلوا	نا ويعفوا عنا الغدُ المجنونُ
يا ضفافَ النسيانِ قد جاءك الشا	عرُ فلترحمى جراحَ أساه
انضَحِيهِ بِمَائِكَ الْأَسْوَدِ الْبَا	رِدِ وَلْتُشْفِقِ عَلَى بِلَوَاهُ
فهو ذاكَ القلبُ الذي طوَّقْتَهُ	حادثاتُ السنينِ بالأشْوَاكِ
منحَنَّهُ الحسَّ الرهيفَ وَقَالَتْ:	لتكنِ فِي الْحَيَاةِ أَوَّلَ بَاكِ
يا ضفافَ النسيانِ يا لَيْتَ هَذَا الـ	موجَ يَطْفِئِ عَلَى الْوُجُودِ الْحَزِينِ
يَغْسِلُ الْإِثْمَ وَالْدمْعَ وَيَأْسُو	كُلَّ جَرَحٍ فِي قَلْبِهِ الْمُطْعُونِ

ألم العيش يا ضفاف قوى
فى ظلام الحياة اضطرب الآ

وشقاء الممات أقوى وأقسى
نَ ونفنى عما قليل ونُسى

كلُّ عُمر قصيدة كتبتها
وغداً يمحو الكتابُ جميعاً

فى كتاب الحياة كف الزمان
وتذوب الحروف فى الأكفان

أنشودة الأموات

لحظة الموت لحظة ليس من رَهْ وسياتى اليوم الذى نَحْنُ فيه	بجتها فى وجودنا المرَّ حامى ذكريات فى خاطر الأيام
كلُّ رسمٍ قد غيَّرتُه الليالى دفنتُ عُمُرنا السنينُ كأنْ لم	كلُّ قلبٍ قد عادَ صخراً أصمَّ نملاً الأرضَ بالأناشيدِ يوماً
ليسَ إلا صوتُ العواصفِ فوق الد وحفيفُ النخيلِ فى رِيشةِ الريد	مدفنِ الصامتِ الرهيبِ الستورِ حِج ونوحُ الأمواجِ بين الصخورِ
قد سمعنا صوتَ الرياحِ المدوِّى وعَشِقنا صوتَ النخيلِ وهِمنا	حينَ كانَ الوجودُ ملكَ يدينا بخيرِ الأمواجِ قلباً وعَيْنَا
وعبدنا أشعةَ القمرِ الضا وشدونا الأنغامَ تحتَ سناه	حكٍ فى الصيفِ وابتسمنا إليه ورسمنا الأحلامَ بين يديه
وضحكنا مع الزمانِ وسرنا تارةً ساخرين من كلِّ ما نلَّ	فى ظلامِ الحياةِ مُبتسمينا حقى وأخرى تحت الدُّجى باكِينا

وبنينا قصورنا تحت ضوء الشـ
وزرعنا زهورنا وتخذلنا

وضحكنا إذ الطبيعة تبكى
وسخرنا والدهر غضبان جهنم

فإذا غنت العصافير وافتر
وتمشي الأحياء فوق بقايا

فهو ثأر الطبيعة البارد المر
وحقود الحياة لأبد للميـ

يا جموع الأحياء في الأرض هيهـ
فاغنموا ليلكم وغنوا فمن يد

علها الليلة الأخيرة من عمـ
ليس منكم من يضمن الغد فاشدوا

ربما كنتم مساء غد تحـ
يتباكي عليكم اليوم والغـ

مس يوماً إلى جوار القبور
من مساء الموتى غذاء الزهور

بالدجى والرياح والأمطار
ورقصنا على حفاف النار

ت تغور الأزهار فوق ثرانا
نا وداسوا عظامنا ودمانا

وسخرية الزمان العاتى
ت منها فى عالم الأموات

ت يعود الماضى الجميل إليكم
رى؟ لعل الصبح يقضى عليكم

ركم فى الوجود يا أحياء
فقريباً يضيع هذا المساء

ت تراب القبور والأحجار
بان بعد الكؤوس والأوتار

وتعودُ القصورُ والزهرُ ملكاً
ويظلُّ القمرُ يشدو وأنتم

لسواكم من ضاحكى الأحياءِ
فى سكونِ المنيةِ الخرساءِ

وتعود الحقولُ فى الفجرِ خلواً
ويذيبُ النسيانُ ذكرَ أمانيد

من أغانيكم ووقعِ خطاكم
كم ويذوى المماتُ غصنَ صباكم

ويظلُّ الراعى يغردُّ للأشـ
وتنامون أنتم لا حراكُ

جبارِ والنبعِ فى صفاءِ المغانى
لا نشيدُ فى قبضةِ الأكفانِ

لن تنوحَ الحياةُ إن مُتّم أنـ
فهى تلكَ الخُلوبُ تبسمُ للأحـ

تم فغنّوا ولا تنوحوا عليها
يباءُ والسمُّ كامنٌ فى يديها

فانعموا فى ظلالِ أفراحكم فيه
وامرحوا فى الحقولِ واستنشقوا العطـ

ها ورووا الظمأَ قبلَ المماتِ
رَ وصوغوا فواتنَ النغماتِ

ودّعوا هذه الشوارعَ عندَ النـ
ودّعوها فليس فى القبرِ غيرُ الصـ

هر يا أشقياءُ قبلَ الرحيلِ
مِتِ والهَمُّ والظلامُ الطويلِ

وابسموا للنجومِ والقمرِ الحـ
أى غبنٍ أن تفقدوا كلَّ شىء

و غنّوا النسيمَ كلَّ مساءٍ
فى البلى والسكونِ والظلماءِ

مرثية للإنسان

أَيُّ عُبْنٍ أَنْ يَذْبَلَ الْكَائِنُ الْحَيُّ	وَيَذْوَى شَبَابُهُ الْفَيْنَانُ
ثُمَّ يَمْضِي بِهِ مَحَبُّهُ جَثْمًا	نَا جَفَنَتْهُ الْأَمَالُ وَالْأَلْحَانُ
وَيُنِيمُونَهُ عَلَى الشُّوكِ وَالصَّخْرِ	حَرٍّ وَتَحْتَ التَّرَابِ وَالْأَحْجَارِ
وَيَعُودُونَ تَارَكِينَ بَقَايَا	هَـ لِلدُّنْيَا خَفِيَّةَ الْأَسْرَارِ
هُوَ وَالْوَحْدَةُ الْمَرِيرَةُ وَالظُّلُ	مَمَّةٌ فِي قَبْرِهِ الْمَخِيفِ الرَّهِيْبِ
تَحْتَ حَكْمِ الدِّيدَانِ وَالشُّوكِ وَالرَّمَدِ	لِـ وَأَيْدِي الْفَنَاءِ وَالتَّعْذِيبِ
وَهُوَ مَنْ كَانَ أَمْسٍ يَضْحَكُ جَذَلًا	نَ وَيَشْدُو مَعَ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ
يَجْمَعُ الزُّهْرَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَلْهُو	عِنْدَ شَطِّ الْغَدِيرِ بَيْنَ النَّخِيلِ
ذَلِكَ الْمَيِّتُ الَّذِي حَاسَمَلُوهُ	جُثَّةً لَا تُحَسُّ نَحْوَ الْقُبُورِ
كَانَ قَلْبًا بِالْأَمْسِ تَمْلُؤُهُ الرِّغْدُ	بَهْ وَالشُّوقُ بَيْنَ عَطْرِ الزُّهُورِ
كَانَ قَلْبًا لَهُ طَمُوحٌ فَمَاذَا	تَرَكَ الْمَوْتُ مِنْ طَمُوحِ الْحَيَاةِ
يَا لِحُزْنِ الْمُسْكِينِ لَمْ تَبْقَ أَحْلَا	مُ سِوَى ظُلْمَةِ الْبِلَى وَالْمَمَاتِ

آه يا حاملية نحو سكون الـ
اتركوه يودّع العالم الفا

واكشفوا جسمه الغيب لضوء الشـ
لن يرى بعد ذلك الضوء لن يند

لا تنوحوا عليه وليكن الشد
حسبه أنه يودّع دنيا

فاتركوا نعشه على الأرض حيناً
ربما كان خائفاً من دجى القـ

ربما كان راغباً فى وداع الـ
قبل أن تتركوه فى وحشة المو

اتركوه يراكم أنتم يا
وهو من كان أمس ملء أمانـ

هكذا الأدمى يُسلمه أحـ
رب لا كانت الحياة ولا كنـ

قبر لا تسرعوا وسيروا الهوينـ
تن قبل الرحيل ظلماً وغبنـ

مس والعطر فهى آخر مره
شق فى سجن قبره عطر زهره

وختاماً لما وعت أذناه
ه إلى قبره وتفنى مناه

قبل أن تقبروه تحت اللحد
ر حريصاً على جمال الوجود

أرض من قبل أن يسود الظلام
ت وتخيبو العطور والأنغام

من دفعتم به إلى الظلماء
كم فصار الغداة ملء الفناء

بابه للشراب والديدان
لا هبطنا هذا الوجود الفانى

فيمَ جئنا هنا؟ وماذا يعزّيـ
ليت حواءَ لم تذُقْ ثَمَرَ الدو

نا عن العالم الذى قد فقدنا
حة ليت الشيطانَ لم يتجنا

علمتنا ثمارها فكرة الشرِّ
وفهمنا معنى الفناء وأدرك

فكان الحزنُ العميقُ العاصِرُ
نا صراعَ البقاءِ تحتَ الدياجرِ

وهبطنا هذا الوجودَ لنشقى
كلنا نستغيثُ من شجنِ العيـ

منذ فجرِ الحياةِ حتى المغيبِ
ش فيا ليلِ الحزينِ الرهيبِ

يا لظلمِ الأحزانِ ما سلّمِ الأطـ
كم وليدِ يبكى وما تعلمِ الأمـ

قالُ من أسرها ولا الشبانُ
لماذا يبكى وما الأحزانُ

مأساة الأطفال

ودموعُ الأطفال تجرحُ لكن
هؤلاء الذين قد مُنحوا الحسَّ
ليس منها بدُّ فيا للشقاء
وما يملكون غيرَ البُكاءِ

منحتهم كفُّ الطبيعة قلباً
ورمتهم في كفةِ القَدَرِ الغا
بشرياً يستشعرُ الآلاما
شم جسماً لا يستطيع كلاما

فإذا ما بكوا فأدمعُ خُرسٍ
ربما كان خلفها الألمُ القَا
ربما كان خلفها ألفُ معنى
تلُّ أو رغبةٌ مع الريحِ تَفْنَى

ربما ربما ومسا ينفع الظنُّ
وُلِدوا صارخينَ بين يدِ الأقد
ونوحُ الأطفال ملء الحياةِ
مدارٍ فليصرخُوا ليومِ المماتِ

علهم يدركون ما لم نقفْ نحن
ويرون الحياة ليلاً من الشرِّ
نُ عليه من ظُلْمَةِ الأسرارِ
تدلى على حفافِ النارِ

فهمُ يصرخون من ألمِ المُقَدِّ
أو لم يُقبلوا على غَيْهَبِ العا
بلِ أو يندبون ما قد أضاعوا
لم حيثُ المحيا أَسَى وصراعُ

لَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِهِمْ أَثَرُ الْمَا
حِينَ كَانُوا فِي عَالَمِ عِبْقَرِيٍّ

ضَى النَقْيُ الْجَمِيلُ أَوْ ذَكَرَاهُ
كُلُّ حَيٍّ عَلَى ثَرَاهُ إِلَهُ

عَالَمٌ غَيْرُ عَالَمِ الْبَشَرِ الْمَرَّ
لَيْسَ فِيهِ أَسَى عَنِيفٌ وَدَمَعٌ

بَعِيدٌ عَنِ الدُّجَى وَالْفَنَاءِ
وَقُبُورٌ تَلَفَّعَتْ بِالْخَفَاءِ

لَيْسَ فِيهِ طَبِيعَةٌ جَهْمَةٌ الْمَرَّ
لَيْسَ فِيهِ مَعَذِبُونَ حَيَّارِي

أَيُّ تَدْوَسُ الْأَحْيَاءَ وَالْأَيَّامَا
وَتَكَالِي تَحْتَ الدُّجَى وَيَتَنَامِي

لَيْسَ فِيهِ شَرٌّ وَظُلْمٌ وَتَعْذِيبٌ
لَيْسَ فِيهِ هَذَا النَّزَاعُ عَلَى الْخُبِ

بٌ وَلَا فِيهِ مَوْلَدٌ وَمَمَاتٌ
زٍ وَلَا فِي صَفَائِهِ مَأْسَاءٌ

يَا جَمُوعَ الْأَطْفَالِ يَا مُرْهَفِي الْحَسَّ
لَمْ تَزَالُوا فِي أَوَّلِ الْعُمُرِ الْمَرَّ

كُفَّاكُمْ تَفْجَعاً وَبِكَاءَ
وَلَأَيَّاسٍ سَتَعْرِفُونَ الشَّقَاءَ

لَا تَنُوحُوا عَلَى الَّذِي قَدْ فَقَدْتُمْ
وَأَصْبَحُوا لِمَاتِمِ الْقَدَرِ الظَّا

مِنْ جَمَالٍ وَمَتَاعَةٍ وَسَمُوْ
لَمْ فِي عَاصِفِ الْحَيَاةِ الْمُدْوَى

لم تزالوا براعماً لم تُفْتَحْ
فاضحكوا الآنَ قبلما يزأُرُ الهو

ها الليالى على ظلام الحياة
لُ وتستنسرُ الهموم العواتى

قبلما تدلهمُ أعمارُكم تح
وتروُنَ الوجود قفراً فما في

ت غيوم الشباب والاحلام
ه سوى الليلِ والأسى والقَتام

أينما ترسلوا عيونكمُ الظم
وتضيعُ الآمالُ والمثلُ العُد

أى فثمَّ الأهوالُ والأضغانُ
يا وتبقى الآهاتُ والأحزانُ

امرحوا الآنَ فى ظلال أب يش
فغداً تحملون أنتم هموم الـ

قى وأمَّ جنتَ عليها الحياةُ
عيشِ إذ ذاك تُسفرُ المأساةُ

شيدوا فى الرمالِ أبراجَ أحلا
كلُّ طفلٍ غداً فتى ضائعُ الأحـ

مكمُ وابسموا للهو الطفوله
سلام تحتَ المقادرِ المجهوله

وغداً تدركونَ ماذا أضعتم
وترونَ الحياةَ منبعَ شرِّ

من صفاء ومُثعة ونقاء
ليس منه منجىٌ وليلُ شقاء

وَإِذَا مَا بَنَيْتُمْ أُمْسَ زَهْرٌ
وَإِذَا كُلُّ رَغْبَةٍ كَوَكَبٌ خَا

ذَابِلٌ تَحْتَ رَحْمَةِ الْإِعْصَارِ
بِ وَأَنْتُمْ عَلَى شَفَاهِ النَّارِ

تَشْفَى بِكُمْ يَدُ الْقَدَرِ الْقَا
وَتَبِيعَ الشَّبَابَ بِالْأَدْمُعِ الْحَرِّ

سَى وَتُلْقَى عَلَيْكُمْ بِالرِّزَايَا
ي وَتَلْهَوُ عَلَى رُقَاتِ الضُّحَايَا

فَإِذَا كُلُّ ضُحْكَةٍ مِنْ صَبَاكُمْ
وَإِذَا عُمْرُكُمْ مَسَاءٌ حَزِينٌ

بَعْدَهَا فِي شَبَابِكُمْ أَلْفُ عَبْرَةٍ
لَيْسَ تَجْلُو سِوَى الْمَنِيِّ سِرَّهُ

أحزان الشباب ٥

يا هموم الشباب فيم تكوني
أنت يا من يصوغك القدر الظا
من أحرّ الهموم والأحزان؟
لم ليلاً على الوجود الفاني

فيم كان الشباب مرماك يا أح
فيم لاتعصرين إلا صباناً
حزان ماذا ترى الشباب جناه؟
حسبنا يا أحزان ما ذقناه

سوف يطوى شبابنا الزمن المسد
وتُميت الشيخوخة المرة السو
رع والحلم ينطفى ويضيع
داء أحلامنا ويمضي الربيع

فاتركينا رحماك نتعم به الآ
قبل أن تخمد الأمانى ويفنى
ن لننسى ما فى غد سيكون
فى الدياجى شبابنا المغبون

ها أنا فى الشباب تقتلنى الوح
أينما أتجه فثمة أحزا
لدة والصمت والأسى يا هموم
ن أراها ووحشة ووجوم

كل شىء أراه يملؤنى حُز
يا لعمر يمرّ جهماً مخيفاً
نأ ويأساً من مُبهجات الحياة
تحت عبء الأحلام والآهات

ومعاني الفناء ألمحها حو
في دوى الرياح في نغم الطيب

فإذا أنت الرياح الحزينا
ورأيت القبور تحت يد الريد

وإذا غنت الحمامة في الوك
وتذكرت أنها سوف تشوى

وإذا أقبل المساء ولف ال
وحملت العود الكئيب الى الوا

صرخت نفسي الكئيبة لا يخ
كم شعوب غنت له فمحاها

نحن تحت الليل العميق ضيوف
فاحفظي يا أختاه الحانك الظم

أين أمضى يا رب أم كيف أنجو
ضاق بي العالم الفسيح فيا للـ

لى في كل ما تراه عيونى
ر وفي ظلمة المساء الحزين

ت تذكرت خلدها وفنائى
حج وصوت الأمطار والأنواء

ر تبرمت بالنشيد المثير
في غد تحت عشها المهجور

كون بالصمت والدجى والهموم
دى أغنى شعري لضوء النجوم

دعك هذا الظلام يا أختاه
وهو ما زال في ربيع صباه

وقريياً تدوسنا قدماه
سأى فما ترحم الشجأ أذناه

من قيود الفناء والأيام؟
هول أين المفر من آلامى؟

كلَّ يومٍ أرى شَبَابَ حَيَاتِي
وأراني أسيرُ مرغَمَةَ الأقد

في حمى الوَحْدَةِ المريرة يَدْوِي
لدام في عاصفِ الزمانِ المَدْوِي

لستُ ألقى حولي سوى عالمٍ يَشُدُّ
ويبيعُ الحياةَ بالمُتَعِ الحَمْدِ

قَى وَيَلْقَى عِزَاءَهُ فِي الشُّرُورِ
قِواءِ والإثمِ والأذى والغرورِ

ويرى اللهو في الحياة أمانيد
يا لَجْهَلِ الإنسانِ فليبقَ حيرا

ه ويدعو الخيالَ والشعرَ حُمَقًا
نَ إِذْنٍ وَلِيْظَلَّ يَأْسَى وَيَشْثَقِي

ولأعشُ في ظلالٍ وُحْدَتِي الخِرِ
لا فَوَادُ أَبْثَغُهُ أَلْمَى المَرِّ

سَاءَ أَبْكِي وَلَا مُصِيخَ إِلَيَّا
ولا خَافِقُ يَحْنُ عَلَيَّا

وليَقُولُوا إِنِّي فتاةٌ جَنَى الشَّعْدِ
وعبرتُ الحياةَ كالشَّبَحِ الضَلْدِ

رُ عَلَيْهَا فَعِشْتُ لِلأَحْزَانِ
بِلِ فِي غَيْهَبِ الوجودِ الفَانِي

يا ظلالَ الشَّبَابِ فسا بَقَى إِذَا شُدُّ
لستُ أُعْنَى بِظِلِّكَ الشَّاحِبِ المُقْدِ

تِ مَعِي أَوْ فَأَسْرَعِي بِالرَّحِيلِ
لِقَ مَا دَمْتُ فِي خِيَالِي الجَمِيلِ

سوف أبني إذا رحلتِ شَبَاباً
من رحيقِ الخيالِ والشعرِ والأند

لفؤادِي أَعِيشُ تَحْتَ سَمَائِهِ
غَامِ أَسْقِي الزهورَ فِي أَرْجَائِهِ

وجمالُ الحياة يذوى ويُفنى
فليضعُ عُمري الحزينُ كما شا

ه الأسى والدموعُ والآهاتُ
ءَ فعندى من الشعورِ حياةُ

فاذا أدبر الشَّبَابُ وآوَدَ
ظلَّ قلبى الحسَّاسُ ذاك الفتى الفيد

تُ لظلَّ المشيبِ والأسقامِ
نَّانَ بين الخيالِ والأحلامِ

ثم ماذا؟ من قال إنى سأبقى
كيف أدري أنى سألبث فيه

فى الوجودِ الحزينِ يا أمالى
ربَّما متُ فى صباى الحالِ

ربما تنقضى حياتى قريباً
قبلَ أن أسمعَ الحياةَ أناشيد

وتموتُ الألحانُ فى شَفَتَيَا
لدى ويصغى سمعُ الوجودِ إلَيَّا

ربَّما... لستُ أعلمُ الآنَ شيئاً.
ولأحبَّ الحياةَ ما شئتُ من أجـ

فلأعشُ فى انتظارِ ما سيكونُ
لِ نشيدى وان رَمَتْنى المُنونُ

ولتجئْ بعدها المنايا كما تر
لستُ ألقى فيه حياةً أغنـ

جو فما فى الوجودِ ما يُغرينى
ها فيا بؤسَ عُمري المغبونِ

أو لم أترك الحياةَ وما فى
أولم أرضَ عزلتى فى ظلالِ الشـ

ها إلى معبدِ الأسى والشعورِ
عمرِ والعودِ والخيالِ الطهورِ

فإذا ما أتممتُ لحنى كما أه
ليس فى الكونِ بعد شعرى ما يغ

سوف ألقى الموتَ المحبِّبَ روحاً
وفؤاداً يرى المماتَ شباباً

سوف ألقاك غيرَ محزونة يا
وعزائى أنى تركتُ ورائى

لستُ وحدى التى تموتُ وما ز
تَعِسَتْ هذه الحياةُ فكم قد

أذبلتُ عُمرَهم يدُ القَدَرِ الجا
يسكبونَ الشبابَ والحبَّ والأحـ

ويُضيعونَ عُمرَهم وصباهم
وإذا عاصفُ المنايا المَدَوِّى

يا يدَ الموتِ فيمَ كان نصيبُ الشـ
فيم لا تُطفئُئِين إلا مناهُ؟

سوى فماذا أريدُهُ من حياتى؟
سرى فؤادى فمرحباً بالمماتِ

شاعرياً يُحبُّ صَمْتَ الترابِ
للمُنَى والشعورِ أىَّ شبابِ

موتُ فى ميعة الشبابِ الغريدِ
لحنى السرمدى ملء الوجود

لتُ شباباً لم تَسْقَه الأنداءُ
ماتَ فى ميعة الصبِّا شعراءُ

نى وكانوا نشيدَ هذى الحياةِ
سلامَ لحناً مرقرقَ النغماتِ

ليصوغوا الحياةَ لحنَ صفاءِ
يَتَعَالَى على لحنِ الغناءِ

ساعر الفدِّ منك هذا التجنى؟
وهو فى ميعة الشبابِ الأغنُّ؟

ألكى تكتبى الخلودَ لذكرى
أم لكى تُنقذيه من شَجَن العُزْ

ه على الأرض وهو غضُّ يافع؟
له والفكرِ والأسَى والمدامع؟

أم ترى تبخلين بالنعم العَذْ
فتضمين للدُجَى والمنايا

ب على العالم الأثيم الشقى
كلَّ شادٍ فى الأرض أو عبقرى

أم ترى سنّة الوجود ترى ما
فهى تسرى كما تشاء المقادير

ليس يذرى الأحياء أو يذركونا
مر وتُضمى شبابنا المطعون

وسواء على المقادير موتُ الشَّ
فهو جسمٌ على الثرى بشرى

ساعر الفدّ فى الصبَا أو حياته
ضيغته أحلامه وشكاته

فاذا مات فى صبَاه فما اختا
واذا عاش ما يشاء فما لد

رته كف المنون للأكفان
موت فى عُمره الطويل يدان

نبئينى أهكذا الأمر يا أق
أترانا كالزهر يقطفه الفلا

مدار أم قد ضللت فى أفكارى؟
ح فى الفجرِ شاردًا غير دار؟

ليس تعنيه هذه الزهرةُ الحُدْ
وهو يجنى منهنّ ما هو دان

وة ما دام فى يديه سواها
منه ما دمن فى الشذى أشباها

أكذا يا أقدارُ؟ ما أخيب المسد
أكذا تتركين حكمك للصد

معى إذن فى ظلام هذا الوجود
فة؟ يا للشقاء والتكيد

كل حتى منا إذن ليس يدرى
ربما كانت النبئة فى أو

ما سيلقى فى يومه من شقاء
ل ساع النهار أو فى المساء

فهو يحيا على شفا الألم الرا
كل يوم يقول: حان رحيلى

نع منذ الشروق حتى المغيب
يا لهذا العمر الشقى الكئيب

أفليس الممات فى ميعة العم
حين ينجو الحى الشقى من الخو

ر إذن نعمة على الأحياء
ف ويفنى فى داجيات الفناء

تاركاً هذه الحياة وما فيه
بين كف الرياح والقدر العا

ها من الزيف والأسى والظلام
تى ونوح الشيوخ والأيتام

آلام الشيخوخة

يا دموعَ الشيوخِ في الأرضِ هبها
أيُّ شيخٍ لا يَذرفُ الأدمعَ الحرَّ

تَ تجفّين في العيونِ الشقيّةِ
ي على ما مضى ويشكو البليّةِ

فهو ذاكَ المحزونُ قضى صباهُ
ثم ذاقَ الشبابَ كأساً دمعِ

في لهيبِ الهمومِ والأحزانِ
ما لحى على قذاها يدانِ

ثم غابَ الشبابُ في ظلمةِ العُمَدِ
كلَّ عامٍ يرى الأحباءَ يفنَوُ

ر وماتَ الأحبابُ والأنصارُ
نَ وتمحو ذكراهمُ الأقدارُ

يا لركبٍ مشى به القَدَرُ الخا
رامياً في فمِ المنيةِ فرداً

دعُ تحتَ الرياحِ والظلماءِ
منه في كلِّ بُكرةٍ ومَسَاءِ

يا شتاءَ الحياةِ لم يبق في الظلِّ
ذهبوا كلُّهم إلى الموتِ إلّا

مة إلا هذا الشقيُّ الغيبينُ
هُ فدوى نحيبُهُ المحزونُ

وهو ذاكَ المسكينُ أضعفه العُمَدُ
ومضتْ ظُلمةُ الحياةِ بعينيه

رُ وحلَّتْ بجسمِهِ الأدواءُ
ه وغابت عن وعيه الأشياءُ

وهو يدري أنَّ المماتَ قريبٌ
كلَّ يومٍ يكادُ يُلقي على العا

منهُ قُربَ الأحزانِ والأوجاعِ
لم والعُمُرُ أغنياتِ الوداعِ

يا غموضَ الحياة من أسلمَ الإنـ
ذلك البائسُ الضعيفُ الذي يَأْ

سانَ للحادثات والأقـ
تى ويمضى ولم يزلْ غيرَ دارِ

فهو ما زالَ هائماً بهوى العا
يتغنَّى بحبِّه رغمَ ما يَلـ

لم والعيشُ فى ظلالِ الزهورِ
قى من الحُزنِ واحتدامِ الشعورِ

فاذا ما بدتْ له ساعةُ المو
رسمَ الحزنُ فى محيَّاهُ رعباً

ت ولم يبقَ فى الحياة رَجاءُ
ما رأى مثلَ هَوِّهِ الأحياءُ

وأطلتْ عيناهُ تُلقي على الكو
فى ذهولٍ وروعٍ يملآنِ الـ

نِ تحايا الوداعِ والحرمانِ
قلباً حقداً على الوجودِ الفانى

يا معانى الدهولِ فى جبهة الميـ
سأرى فيك بلسماً يُنقذُ الأحـ

ت، لا لن أخافَ هذى المعانى
يَاءَ مما يَلْقَوْنَ من أحزانِ

سأرى فى المماتِ خُلدَ حياتى
وينامُ الجسمُ الوضيعُ على الأرـ

حينَ تعفو عني المني والجروحُ
ضٍ وتختالُ فى السماءِ الروحُ

عندما تخفتُ الأعاصيرُ في سَمَدِ
كلِّ شَيْءٍ في العالمِ الأحمقِ الجا

فإذا أمعنَ النشاوى بكأسِ الـ
لم يجثنى من صوتهم أَىُّ همسٍ

وتمرُّ السنينُ لا أَلَمٌ فـيـ
عالمٍ ليس لى التغلغلُ فيه الـ

ولأعشٍ في هذى الحياة مع الأحـ
أعشقُ الفتنةَ النبيلةَ في الور

وأسلى نفسى وقلبى بمرأى الـ
هؤلاء الذين يقضضون أيا

ليس تعنيهمو الفضيلةُ والنبـ
فإذا ما رأوا حزيناً معنئاً

وضِعافُ الطيور في ظُللِ الأغـ
وزهورُ الخباز في رحبةِ الحق

عى وأنسى الأصواتَ والأشياءَ
هل يخبرو ويستحيلُ هباءَ

إثم في اللهو والصُراخِ الأثيمِ
وتفرّدتُ بالسكونِ المقيمِ

هـا ولا إثم في ظلالِ الخلودِ
آنَ فلأَمْضٍ في غناءِ نشيـدى

لام تحت النهار والظلماتِ
دِ وفي ضجّةِ الرياحِ العواتى

عابثينَ الأشرارِ والواهمينا
مَ صباهُهم في هذرهم سادرينا

لُ وما يحزنون للأشقياءِ
رجموه بالشوك والأقذاءِ

صانٍ تلقى منهمُ صنوفَ النكالِ
لِ يدوسونها فيا للضلالِ

وحياةُ الفنانِ في عالمِ الوَحْدِ
يا لَهْذَى المأساةِ يا رَبِّ ماذا

سِدةِ والفكرِ عندهم كالجَنونِ
كُتِبَتْ للأحياءِ كَفُّ السنينِ؟

ولتسرَّ هذه الحياةُ كما تر
وليظَلَّ الأحياءُ في التيهِ يشقو

جو المقاديرُ والأسى والظلامُ
نَ وتقسو عليهمو الأيامُ

ولأعشُ ما يشاؤه القَدَرُ الظا
هؤلاء الصرعى الظمياءُ الحيارى

لم أبكى على أسى الأحياءِ
بين فكِّ الآثامِ والأدواءِ

بين يدي الله

المساكينُ يا سماءُ فمُدِّي
إن يكونوا جنوا فقلبكِ أسمى
لأساهم كُفِّيكِ يَفْنِ الشقاءُ
أو يكونوا ضلُّوا فأنتِ السماءُ

ليس يُعْيِي كَفَّ الألوهة أن تم
فهي نبعُ الحياةِ والخيرِ والفنِّ
حو حُزنَ المعذَّبينَ الجِيعِ
وبُراءُ الأحزانِ والأوجاعِ

جئتُ يا ربُّ تحتَ ليلي الطويلِ الـ
حينَ ضاقتُ بي الحياةُ وأسلمـ
مرَّ أبكى حزنِي وحزنَ الوجودِ
تُ قيادي لليأسِ والتنكيدِ

جئتُك الآنَ يا إلهي ومالي
أنا من قد رسمتُ مأساة هذا الـ
غيرِ قلبي ونغمتي من شفيعِ
كون شعراً رويتهُ بدموعي

ها أنا قد مددتُ كَفِّي يا ربَّ
وهو لحنِي الأخيرُ يا ربَّ ذوبَّ
وعودي مُلقَى على قَدَميَا
تُ حياتي فيه وحُلْمي النقيَا

فإذا لم تصلِ سماءكُ ألحا
وإذا ما تركتني لشقاء الـ
نِي فعُذري كياني البشريُّ
عيشِ يلهو بي الدُجى الأبدى

فهو حظي من الحياة فضته
كلّ حيٍّ لابدّ أن يقطع العُمْد

شرعةُ الدهرِ والوجودِ الأبدِ
رَ صريعاً على ترابِ الوجودِ

بين فكّ الرّحى يغنى ويبكى
آه لابدّ من أسانا فماذا

ويذوقُ الحياةَ بشراً وحُزناً
نفعُ هذى الشكوى الحزينة منا

فلنلذّ بالإيمان فهو ختامُ الـ
يمسحُ الأعينَ الحزينةَ من أد

يأسٍ والدمعِ والشقاءِ العاتى
معها الهامراتِ فى الظلمات

فاصرخى يا رياحُ فى شُعبِ العا
واصخبى يا بحارُ ما شئت فى سم

لم وامضى تفجّجاً وعويلاً
عى واستصرخى الضُحى والأصيلاً

واطغِ يا ليلُ بالأسى ومعانى الـ
لن تنالَ الآهاتُ منى بعد الـ

يأسٍ فى قلبى الرقيقِ الكئيبِ
آنَ حتى إن عشتُ فوقَ اللهبِ

فوراء الحياة معنى عميقُ
هو معنى الألوهة الخالدُ المر

ليس تفنيه سورة الأحزانِ
جوُّ خلفَ الوجودِ والأزمانِ

الرحيل

فوداعاً يا كلّ ما فى الوجود الـ
كنت فى قلبى الخيالىّ مأسا
عبقريّ العميق من آهاتِ
ة وأنت الغداة سرّ حياتى

سوف أهواك يا دموى وأحزا
فاصحبينى إذا أنا عشتُ فى العا
نى ما عشتُ فى الوجود الجميلِ
لم أو حان عن ثراهُ رحيلى

يا حياتى فى هذه الأرضِ أمّا
انشرى ذلك الشراعَ وسيرى
أنت فامضى كما يشاءُ الزمانُ
وتغنّى ما شاءتِ الألحانُ

وإذا ما هبت رياحُ الردى يـو
فابسمى للأمواج مغمضة العيـ
ماً وهزت كفّ القضاء الشراعا
من وقولى يا أغنيات وداعاً

هكذا تبلغ السفينةُ يا شا
شاطئ الموتِ شاطئ الوحي والأسـ
عسرة الحزن شطّها الأبدى
رار ذاك المحجّب المخفياً

أغنية للإنسان

- ١ -

”نظمت هذه القصيدة عام ١٩٥٠“

فى عميق الظلام زمجرتِ الأمـ
طاش عَصْفُ الرياحِ والتهبُ البر

طارُ فى ثورة وجنَّ الوجودُ
قُ وثارت على السكون الرعودُ

ثورةُ ثورة تمزق قلب الـ
ثورةُ تحت عصفها رقد الكو

ليل والصمت بالصدى بالبريق
نُ عميقَ الأسى كجرح عميقِ

صرخاتُ الإعصار أيقظتِ الرعد
تتلوى الأشجار ضارعةً والـ

بَ بقلب الطبيعة المدلهمُ
مطر البارد الشتائى يهمى

تتلوى فى رعشة، فى جنون
تتلوى كأنها روح إنسا

وفؤادُ الإعصار فى غليانه
ن يريد الخلاص من أحزانه

كل شىء فى ثورة وانفـعال
وأنا مثلُها تمزقنى الشو

كل شىء فى ليلى المحزونِ
رة والحزن، مثلُها فى جنونِ

أنا حيثُ الآلامُ تطبق جُنْحِبِ
أدمع فى محاجرى، ولهيبُ

بها المخيفين فى الدياجير حولى
فى دمي واكتئابهُ فوق ظلى

لم أزل في كآبتي وشرودي
في عيوني آثار حُلْمٍ جميلٍ

في جمود وقفتُ أرقب من نا
ورشاش الأمطار يلطم وجهي

يا أعاصيرُ من دمائي خذي النا
يا دياجيرُ من فؤادي خذي الظل

عصرتني الحياةُ لم يبقَ معنى
كل شيء يلوح لي عَدَمًا مرًّا

كلُّ شيء تلقَّه ظلمة أعد
ظلمة كالممات تخنقني خنق

ظلمة في امتدادها يخبط الأحـ
أين نمشي ما عدتُ أحتمل الجهد

في ضباب الأحلام والشعر مرَّغ
في بحار الخيال تاه شراعي

أرقبُ الليلَ والأعاصيرَ حَيْرِي
كان يوماً وأصبح الآن ذكرى

فدنتي ثورة الدُجَى وجنونهُ
وأنا في خواطري المحزونة

رَومن حزني العميق الشديدِ
حمةً إنني في غيبٍ ممدودِ

لوجودي لأدمعي لحياتي
ولغزاً مكفناً بالشكاة

مقُ من أن يُنيرها قطُّ ضوءٍ
قأ هي اللانتهاء واللاشيءُ

يأء في غفلة عن الأقدارِ
هل متى الفجرُ؟ طال بي انتظاري

تُغرامي ونشوتي وصبايا
فيم؟ ماذا جنيتُ غير أسايا؟

ودفنتُ الشبابَ والحبَّ من أجـ
حرقه الاطلاعُ تصهر أحلا

وشعورى الرقيقُ؟ أوآه من عمـ
كيف أنجو من الأحاسيس من حـ

كيف أنجو من الأسى إن يكن حو
ألفُ جُرح في صدره ثار في عمـ

وأكفَ الحياةَ تجرحنى والـ
تحدى الأحياءَ فهقهةُ المو

أين أين الذين غنوا على الأر
لا صدىً من غنائهم لا لهيبٌ

ليس منهم إلا قبور حزينـ
جفّ نبع الحياة فيهم فلاذوا

المساء الجميل حدثنى عند
شهد الليل أنه مثلما كا

لِ طموحى ولم أزل فى هيامى
مى وإحساس فكرى المترامى

ق شعورى وحسّى المشبوبِ
بى وكرهى؟ من هدأتى ولهيبى؟

لى وجود مقيّدٌ موبوءٌ
ق هدوئى فلم يعد لى هدوءٌ

لغزُ يبقى لغزاً عميقاً خفيـ
تِ وتبقى الحياةُ ليلاً دجياً

ض طويلاً واستبشروا وأحبُّوا؟
من أحاسيسهم يشورُ ويخبو

تُ تبقت على ضفاف الحياة
فى سكون بعالم الأمواتِ

هم أقاصيص كلُّها أحزانُ
ن فأين الذين بالأمس كانوا؟

كيف يا دهر تنطفي بين كفي
كيف تذوى القلوبُ وهي ضياءُ

لك الأمانى وتخمدُ الأحلامُ؟
ويعيش الظلامُ وهو ظلامُ؟

كيف تحيا الأشواكُ، والزهرُ الفا
كيف تمضي إلى الفناء الأناشيـ

تنُ يذوى في قبضة الإعصارِ؟
سدُ وتبقى مرارةُ الأقدارِ؟

وأكفَ الحياة تجرحني فيـ
في ربيع الشباب ما أعمق الجـ

مَ بقائى؟ حسبي أسى وعذابا
حَ إذا كانت الحياةُ شبابا

الشبابُ الذى يسمّونه نُغـ
والشبابُ الذى أسمّيه إحسا

مى شباب الشعورِ والرغبات
سأ عميقاً بكلّ ما فى الحياةِ

الشباب الكئيب حين يفيق الـ
ويرى فى تفجّع جثّة الما

حالمُ القلب شارداً مستطارا
ضى الغريقِ الثاوى وكيف تُوارى

ذكرياتُ الطفولة العذبةُ البيـ
وظلال البساطة الفجّةُ الحـ

ضاء راحته تنهار فى استسلام
وة ذابت فى مُنحني الأيامِ

والفؤاد الرقيق يصدمه الإحـ
واقع لم يحسّه قط من قبـ

ساس بالواقع الغريب الجديد
ل وأفقٌ من عالمٍ مفقودِ

ليس يدري ماذا يُحسُّ لماذا
مُسْتَلٌ في تمزّق واصطِراعٍ

رَغَبَاتٌ كالليل غامضةُ الأصـ
وشعورٌ بفورةٍ في الدم الجا

وانبثاقٌ يريد أن يملك النـ
واندفاع إلى معانٍ وراء الـ

كل هذا يُحسّسه قلبي الدا
ليتني لم أشبَّ بعدُ عن العـ

ليتني لم أزل كما كنتُ قلباً
كلَّ يومٍ أبني حياتي أحـ

فوق تلّ الرمال أصرف أيّـ
لا أحسنّ المأساة حولي ولا أسـ

كالعصافير لم أحير أحاسـ
فوق تلّ الرمال أرسم أشبـ

تبقى أعماقه في انتفاض
وأحاسيسُ ما وعّاها ماضـ

لداً تُرغى فيما وراء الشعـ
رفٍ تبقى كناقمٍ مـ

مَ ويسطو على ذرى الأفـ
حسّ في المستحيل في الأعماقِ

مى بجرح الشباب والإحـ
ر ولم يستفق شعوري الناسـ

ليس فيه إلا السنّ والنقـ
مأً وأنسى إذا أتاني المسـ

مى وأبني مستقبلاً من رمالٍ
معُ في الرمل ألفَ ألفِ سـ

سى يوماً بما تقول الرياحُ
هَ قصورٍ سكّانها أشبـ

وتمرّ الساعاتُ بى وأنا أبـ
أى يوتوبيا فقدتُ وعزّ الآ

نى خفايا مدينة الأحلام
ن إدراكُها على أيامى

تلك يوتوبيا الطفولة لو تر
إيه تلّ الرمال ماذا تُرى أبـ

جع لو لم تكن خيال منام
حقّيت لى من مدينة الأحلام؟

هو ذا أنت، مثلما كنت تلاً
وأنا لم أزل أمرّغ أحلا

شاعرياً مكلاً بالجمال
مى وأبنى... لكن قصور رمال

كنتُ عرشي بالأمس كنت لى الأو
كان فى هذه الرمال وجودٌ

لمبّ والآن لم تعد غير تلّ
شاعرى يلفُّه ألفُ ظلّ

ذهب الأمسُ لم أعد طفلة تر
لم أعد أبصر الحياة كما كا

قبُ عشّ العصفور كل صباح
نتُ رحيقاً يذوب فى أقداحى

لم أعد فى الشتاء أرتقب الأم
لم أعد أتبعُ الحماسة إن غنّ

طار من مهدى الجميل الصغير
تُ وألهو على ضفاف الغدير

لم أعد أستطيع أن أحكم الزه
لم أعد أمزج الوجود بقلبى

ر وأرعى النجوم فى كلّ ليل
وأعدُّ الحياة قصّة طفل

ذَهَبَ الحُلْمُ والطفولة واعتَضَ
كل ما فى الوجود يجر حنى الآ

تُ بحسَى الرهيفِ عن لهُو أَمْسِ
نَ ولون الحياة يطعن نفسى

أين شعر الوجود؟ أسفر عن شيء
كل شيء قد عاد أشبه بالقب

طَوَى سرَّهُ ذبولُ الرماد
ر رهيباً ملفعاً بالسواد

النشيد القديم ضياع صده
كل شيء ينهارُ إلا عنادى

حين مرّت به يد الأعوام
وحنين الجمال فى أحلامى

وحوالى تُطبق الخيبة المرّة
أيها الواقع الثقيلُ حنانى

هُ جُنَحَى نَسْرِ مخيف السكون
لك أهدى عقبى المنى والحنين؟

رعشات الأزهار لم تعد الآ
بعضُ شيءٍ فيها يمرّ على سَمِّ

نَ نشيداً وضحكة استبشار
عى بأقدام قاطفِ الأزهار

وغناء الطيور لم يعد الآ
بعضُ شيءٍ فيه يذكّرنى الأَدِّ

نَ شفاءً لأدمعى وخلصاً
يادَ والصائدين والأقفاصاً

وعبور النسيم لم يعد الآ
بعضُ شيءٍ فيه يذكّرنى الآ

نَ كما كان فرحةً فى كيانى
مواتَ تحت السكون والنسيان

واختلاجُ الأمواجِ فى النهرِ ما عُدَّ
بعضُ شىءٍ فيه يذكّرُنِي جسـ

ومرورِ الأيامِ ما عاد يبدو
بعضُ شىءٍ فيه يذكّرُنِي الأقد

وجمالِ الوجودِ ما عاد يبدو
بعضُ شىءٍ فيه يلخّصُ لِي القصـ

عُذْتُ أخشى الحياةَ، أفرقُ منها
إنها الآنَ قصّةٌ حاكها بالـ

حسبُها أنّا دفعنا إليها
أى ذنبِ جناه آدمَ حـتى

أى ذنبِ جثّه حواءُ؟ ماذا
ليتها لم تمسَّ دوحتهـا قطُّ

ليتها لم تحسّ بالشرِّ والخـيـ
ليتها حافظت على جهلها المط

تُ أراه إلا دُجى مدلهما
سم غريقٍ رأيتُه فيه يوما

لِي ربيعاً ملوّناً سحرِيّاً
مدارِ الموتِ والأسى الأدميـا

لِي مثيراً لنشوةٍ لا تُحدُّ
ة فى لفظتين: مهـد ولحدُّ

وأراها دعابةً لاتطاقُ
مع النارِ ماردٌ عملاقُ

ثمّنَ العيشَ حُرقةً ودموعاً
نتلقى العقابَ نحن جميعاً؟

عرفتُ من ثعبانها المشؤومِ
ولم تصبُ للجنّى المسمومِ

ر ولم تذرِ للتمرّدِ طعماً
بق ما دامت الغباوةُ نُغمى

وليكن آدمٌ وحواءٌ قد ثارا
أو لم يكفِ أن أضاعا جنانَ الـ

وداسا السماءَ في إصرارٍ
مُخلد؟ لم تكف سورة الاحتقار؟

وسدىً يبحثان في عالم يسد
السماء التي أضاعها خلودٌ

كنُ فيه الغموض والأسرارُ
وهنا يحكم الردى الجسَّار

هبطا في تعثرٍ صامت الآ
يسحبان الذكرى الكثيرة في صمـ

هات غرقان في جمود الذهول
تِ ويستحيان جذب الحقولِ

إيه حواءُ! كيف عوقبت بالنفـ
أنتِ يا من بعتِ الخلود بأحزاً

سي ولولاكِ ما عرَفنا النورا
نِ لياليكِ واشتريتِ الشعورا

الخطايا التي اقترفتِ ستبقى
كخطايا الرب سرق النـا

شُعلاً في وجودنا وضياءَ
رَ لعباده ونال الشقاءَ

آهةً في الوجود تُسمع يا حوـ
كيف ألقيتِ رأسك الحلو في يـا

اءُ روحي حديثك المجهولا
سِ على صخرةٍ ونُحتِ طويلا

وعلى بعد خطوتين حنا آ
شعرهُ الأشقرُ الجميلُ تهاوى

دم في صمته الرهيبِ الحزينِ
خُصُلاتٍ على شحوب الجبينِ

إهدأ أيها الكئيبان ما زلنا
بعضُ ذكرى من السماء غداً تُمدُّ

لقلبيكما بقايا هباء
حى بذرة من الأشقياء

فى الجبال التى تموتُ بها الأصـ
وكانى هناك أسمع أصدا

لداً رجع من ماضيات القرون
ء خطى تستثير قلب السكون

شبه أقصوصة يُرجعها الوا
مسحتها الأيام لم تبق منها

دى حديثاً عن سيرة بشرية
غير همس فى الأنفس الشاعرية

حدثنى الوديان عن زمن مر
عندما كان فى الوجود فتى را

ولفته بالضباب الليالى
ع يغنى الرياح فوق الجبال

كان يدعى هابيل كان يسوق الـ
كان فى روحه بقية ذكرى

غنم الظلمات كل صباح
من حياة السماء والأرواح

مقلته حلمان بالشعر والحب
شفتاه ارتعاشتان لما يـ

يدويان فى صفاء المراعى
صبر من فتنة ومن إبداع

يسقط الليل بالندى فوق جفنيـ
ذلك الحلم، ذلك الأبد لنا

ه ويغفو على ظفائر شعره
ثم هابيل فى صفاء وظهره

كان يوماً ينام في ظُلةِ الجو
حالمًا بالآفاق كَفَّاهُ في الما

نشوة ملء روحه، روحه الظم
ليس يصفى إلا إلى همسة الما

لم يشاهد قابيل تفتله الغيد
في يديه سكينه الحاقد المسد

لم تكن غير صرخة، غير تأويد
هدأ الجسم بعدها وثوى الرا

وأنت ظلمة المساء على الحق
ليس إلا قابيل يمشى رهيب ال

عبثاً يطرد الجريمة والمق
كلما قاتل الأسى عاودته

أولم تسمع الحقول صدى أن
أولم يشهد القطيع على الجا

ز على شطّ جدول نعسان
العبيري في سكون المكان

أى إلى كل فاتن مسحور
وخطو القطيع قوى الصخور

رة يمشى في نقمة محمومه
موم في مقلتيه طيف جريمه

هة حزن غير اضطراب قصير
عى النبيل المقتول عند الغدير

ل وعاد القطيع من دون راعى
سخطو نهب الأفكار والأوجاع

تبول عن ذهنه الأثيم المسىء
فى الدجى صرخة القتل البرىء

ة هابيل حين خر قتيلا
نى ألم يصر الدم المطلولا

أَيْنَ هَابِيلُ؟ أَيْنَ وَقَعَ خَطِيءُ أَغْدٍ
لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا ضَرْيَحُ كُئَيْبِ

يَا لِأَحْزَانِ آدَمَ عِنْدَمَا أَبَدَ
أَيُّهَا الْمُسْتَطَارُّ لَنْ تَرْدَعَ الْأَقْدَ

اسْتَرْحِ أَنْتِ، نَمِ دَعِ الْقَاتِلَ الْآ
لَعَنَاتُ الْقَتِيلِ لَنْ تَعْرِفَ الصِّمَ

لَعَنَاتُ تَظَلُّ تَصْرُخُ بِالشَّأِ
وَتَحْمِلُ الْأَيْدِي مَخَالِبَ وَالْأَرِ

سَوْفَ يَأْتِي جِيلٌ مِنَ النَّاسِ مَحْمُو
يَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ لَحْمًا

وَانْبِثَاقُ الدَّمَاءِ يُغْرِيه مَا لَدَ
إِنَّهَا اللَّعْنَةُ الْقَدِيمَةُ أَبْقَتِ

ذَلِكَ النَّبْضُ لَنْ يَنَامَ إِلَى أَنْ
ذَلِكَ النَّبْضُ لَوْ يَحْدُثُ عَمَّا

نَامَهُ فِي الْجِبَالِ وَالْوُودِيَانِ؟
شَادَهُ فِي الْعِصَاءِ أَوَّلُ جَانِ

صَرَ بِابْنِيهِ قَاتِلًا وَقَتِيلًا
سَدَارَ حَسْتِي إِذَا بَكَيْتَ طَوِيلًا

ثُمَّ يَسْكُرُ عَلَى نَشِيشِ الدَّمَاءِ
تَغْدَا تَسْتَبْدُ بِالْأَحْيَاءِ

رَوْتَبَقِي تَحْزُ فِي الْأَعْصَابِ
ضَ قُبُورًا وَالنَّاسَ مُحْضَ ذُنَابِ

مُ يَصِيحُ الْجَنُونُ فِي رَغْبَاتِهِ
لِيَصِيبَ الْمَزِيدَ مِنْ طَعَنَاتِهِ

هُ هَذِي الثَّمَالَةُ الْمَسْمُومَةُ؟
فِي عُرُوقِ الْأَبْنَاءِ نَبْضُ الْجَرِيمَةِ

يَتْرَكَ الْكَوْنَ فِي الْفَضَاءِ شَطَايَا
سَالٌ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَمَاءِ الضَّحَايَا

حدثينا يا فورة الشرّ في أعـ
عن جنون الطموح يقتات من ضوء

عن جمود الرجاء في أعين القنـ
العيون التي تحدّق في اللا

عن عيون كأنّ فيها فتوراً
وعيون كأنها تقذف اللعنة

وعيون ترسّب الصمتُ فيها
وعيون أخرى يضجُّ أساها

والعيون التي تحدّق لا قـ
والعيون التي استحالَت رماداً

والعيون التي تحقّرُ في صـ
والعيون التي يغلفها الحز

والعيون التي يعفّرها الرـ
والعيون التي تحدّق في الأر

حماق هذى السلالة العمياء
المآقَى ويرتوى بالدماء

لى ولون الشرود والنسيان
شيء في غفلة من الأزمان

ساخراً من وجودنا المجنون
والموت في لظى وجنون

وانطوى خلف لونها ألف سرّ
ترمق الموت في ابتهاال وذُعُر

ر لها لا بداية لا نهايه
مطفأ ليس في تلاشيه غايه

ت وتلك التي تلوح ذهولا
ن وتبكي شبابها المقتولا

ل وتمحو ضياءها الظلمات
ض كأن ليس في الوجود حياة

وعيون العدل الصريع مع الأم
من رآها استحال صخرأ أصمأ

أين أين المفرُّ من هاته الأع
إنها لا تنام لا تعرف المو

إنها لا تغضُّ أحداقها السو
إنها في السماء في الأرض في كل

في هدوء العروق تصرخ في اللي
في جمود الضمائر الميتة الشلاء

ليس يقوى على فظاعتها النس
وانعصار في الروح يغلى جنونا

وكوابيس كالسعالى تجوس الد
كلما أخلد الضمير إلى النو

ودعت موكب الخطايا فخفت
موكب قصاد خطوه الندم القا

وات بين الدماء والأشلاء
ميت الحسن خادر الأعضاء

ين من لونها العميق الرهيب
ت وتبقى في حقدتها المشبوب

د وتبقى غضبي تفيض جنونا
مكان يحسن بالميتينا

ل وتعوى في كل قلب أصم
في كل قصاد مدلهم

يان فهي ارتجافة في الشعور
وسياط تنصب فوق الضمير

يل خلف استنامة اللاشعور
م أفاقت من كهفها المسحور

من أقاصى الدجى المخيف الجديب
تل غرقان في جمود رهيب

أين أين المنجى؟ وكيف تنامُ الر
أى نوم يذوق راحتَه الجلاّ

وحُ فى ضجّةِ الضمير المُهانِ؟
دُ؟ هل للذنوبِ من نسيانِ؟

يا حبال الجلاّد لقي على الأع
انسجيتها من رجع أغنية الأم

سناق أفعى الذنوب والآثام
وات من لعنة الجراح الدوامى

اجمعها من كل عمر طوتهُ
القطى لحنها من الموكب الأخ

كفُ (أريس) وهو ما زال غصّا
رس ما بين ثاكليين ومَرْضَى

من شفاه الأطفال تحلم بالما
من عيون الصبيان ترسم فى الظل

وى وبالدفء فى رياح الشتاء
ماء أحلام عودة الآباء

من جنون الرياح تعصف كالآق
حيث كانت تقوم أبراج تلك ال

مدار فوق الخرائب المشوره
مدن العبقرية المسحوره

حيث أمست تمتد مملكة الغر
عالم يحكى التآكل فيه

بان والليل والمنايا السو
ليس فيه غير الصدى من جديد

وأماسيه لا تمر كما كا
إنها الآن مسكن الرُعب تأوى

نت عليها الأوتار والأقداحُ
لذراها الرياح والأشباحُ

القصور البيضاء هبت من الحُد
تتهاوى أحجارها السود فى صم

ذلك الحلم فى عيون الصبايا الـ
حصدته فى الفجر قهقهة المد

والشفاه العذراء أطبقها المو
والجباه التى ذوت قبل أن يلد

والخدود التى تعير مغيب الشم
غار فيها جرحُ التراب عميقاً

والعيون الظمأى التى تشرب الأند
دفن الموت خلف أهدايها أغد

والأكف التى انطوت وهى ما زالا
لم تزل غضة أصابعها اللد

والقلوب التى بنت من صباها
من ضباب الأحلام من ملمس الور

سم على منجل الردى القتال
ت وتنهار فى سكون الليالى

ناعسات الأجفان والأعمار
فع فانهار خامد الأوتار

ت على لحن حبها المبتور
مسها إصبعُ الهوى المسحور

س ألوانها وتسقى الشروفا
وذوت قبل أن تذوق الرحيقا

حجم منها وتستعير سناها
نية اللون وانطوت ذكراها

لت تحوك الطموح والأهواء
نة تستعصر الحصى والهواء

معبدا للجمان والألحان
دومن روعة الدجى الوسنان

فى جنون ظلت تصفق شوقاً
فأفاسقت على مطاردة المند

وأطلت إلهة الفجر أورو
لحظة ثم أطبق الأمس جفني

لحظة ثم نامت الأعين شهلاً
وحشأها التراب صمتاً ويردا

لحظة ثم مرغت مدن الأح
فى تراب القوضى وعادت خيالاً

حيث كان الجمال يفرش ضوء الش
أصبحت ترسل الخرائب صوت الص

حيث تمتد وحشة المدن المي
كل شيء فيها تحول صمتاً

غير معنى مكبل ربما استي
لا تعيه إلا النفوس التى تس

لرحيق المستقبل المجهول
جل فى ميعة الصبا المعسول

را على المشهد المثير الرهيب
ه على الحاضر المقيت الجديب

ء واستسلمت إلى النسيان
بعد دفء الشعور والألوان

لام أبراجها الضخام القباب
مسحت رسمه يد الأحقاب

مس روحاً وفتنة وطيوفا
مت والموت غيبياً مخيفاً

تة صماء فى جمود الصخور
ليس فيه من خلجة أو شعور

قظ فى رقدة الرخام الحزين
مع همس الدجى وصوت السكون

لا تعيه إلا القلوبُ التي تقد
وتُحسّ البغضاء ترجف كأسا

هذه الأنفس العميقة تدرى
وتوارىخ كأمّلات يغنيـ

وتلال الأنقاض تروى الأصابـ
عن مئات الخطى التي عبرت يو

عن أغان مرّت بأعمدة الأبـ
ناعمات تغوص في رجعتها الآ

الأغاني التي تلامس خد الـ
نام فيها لغزُ الجمال وأغفت

جفّ عرق الحياة فيها وعادت
في زوايا الأنقاض تسردها الأعـ

وتلؤلؤ الأنقاض تروى الأصابـ
عن فلول الذين عادوا من الحر

رأ سرّ الذهول في عيينين
وتحسّ الجنون في شفّتين

أن سرّاً يشيع في الأحجار
ها العمود الكابي لحزن الجدار

ص لسمع الظلام والأشباح
مأ وماتت مع الدجى والرياح

هواء غرقى بالدفء والأحلام
هات سكرى الخطوط والأنغام

ليل ملساء صافيات الشفاه
فتنة الحب والشباب اللاهى

ذكريات مظموسة الألمان
مدة الباليات للجُذران

ص لسمع الظلام والأشباح
ب حطاماً وحفنةً من جراح

كيف مرت على وجوههم الرب
كيف عادوا يرتلون نشيد الـ

سدا كف الردى فلم تبقي لونا
موت ملء الفضاء لحناً فلحنا

كيف ألقى الحرمان ظلّ السنين الصـ
ويد الموت كيف أبقت أساها

فرف فوق العيون فوق الشفاه؟
وتراث الدهول فوق الجباه؟

وخطاهم كأن وقع صـداها
منشداً للحياة أغنية الفـو

جرس الموت رن ملء الفضاء
ضى ولحن الجنائز السـوداء

رجعوا في جباههم صفرة الأشـ
هذه الأعين الرمادية الأسـ

باح يمشون في جمود عميق
رار هل خلف صمتها من بريق؟

هل حديث عن الليالي البطيئا
عن جليد الضباب ينهش جسم الـ

ت وعن ثلجها الكثيف الثقيل
صمت في ظلمة المساء الطويل

عن سهاد الأحزان في أعين الحرّ
رسب الليل فوق أهدابهم ثلـ

اس في الخندق الرهيب الدامى
جاء ومات الإحساس في الأقدام

سهروا يرصدون أقبية الليـ
مات في ذكرياتهم وتر الإحـ

ل سكارى بالسهد والانتصار
ساس بالبرد والسكون العارى

يرصدون الحياة في ملل مرّ
كل عينين فيهما قصة تُدّ

والجنود الذين أغفوا مع المو
كل أحلامهم كوابيس من نا

ثم يأتي الصباحُ ثانيةً يصـ
من جديد يمرُّ بحصدٍ لا يُبـ

ويضيعُ المساءُ في ألف فجر
كلُّ شيءٍ يذوى وينهار لا يُبـ

ويطلُّ السلامُ ذاتَ ضحىٍ حطّـ
ملء عينيه نعسة الحلم الخجـ

السلام الحزين هذا الطريد الـ
ذو العيون الزرقاء ينبع منها الشـ

ها هو الآن يستقر على الأرـ
في دماء السنين تتكئ الخبـ

التلوى مسنن الأصفـاد
لى وتروى لليلٍ شهد الرماد

تى وناموا على الثرى الثلجـي
ر وقتلى ووحشةٍ ودوى

حبُّه الموتُ أسودَ الأنـيابِ
قى على الأرض غير صمتِ الخرابِ

ويضيع الصباح في ألف لـيلِ
قى على الأرض غير ذكرى وظلّ

مه الليل والمدى المستحيل
لان والصمت والرجاء الهزيل

تائه الخطو ماله من مَقَرّـ
عمرُ والحبُّ في صفاءٍ وطهر

ض غريباً عمرغ الجنحـين
بة في مقلتيه في الشفتينِ

يعبر الميتين والمدن الصم
باسمها في مرارة ليس يدرى

ساء والجذب والأسى والذهولا
كيف عاد الأس القديم ذبولا؟

اتركوه يهيم في الجذب والفو
اتركوه مضيعاً دون مأوى

ضى ويحصى الجراح والآهات
تائها في مجاهل الظلمات

يتغذى بالذكريات ويأوى
ويغنى له الغراب نشيد الش

لتلال الأنقاص والأشلاء
رّ والموت في اربداد المساء

أى قلب يؤويه؟ كيف يعيش الضـ
كيف يحيا البياض في هذه الأو

وء في رفقهِ الدجى والشرور؟
عية السود في خمود الصدور؟

أى عيين تدر كان صفاه
هل تبقت إلا كهوف شقيا

وتحسان سره المكنونا؟
ت تسمى مآقياً وعيونا

ملؤها اليأس والمرارة حيناً
أين يأوى السلام والحب؟ يا للـ

ملؤها الشر والأذى أحياناً
حرب لم تبق في الثرى إنساناً

ليس إلا قوافل من حيارى
يذرعون الحياة في حيرة الأشـ

نام في ذكرياتهم كل صوت
باج يمشون ميتا إثر ميت

بردت فى عيونهم قصة الحب
وخبث فى جفونهم ومضة المع

الحيارى لا يدركون لماذا
وجنون الحياة من أجل ماذا؟

الحيارى أبقت لهم قصة الحر
وجحوداً يكاد يكفر بالرو

يعبرون الأيام أجنحة شلاء
ريشها فهى فى الثرى تبصر التح

وانطوت فى عيونهم قدرة التلـ
فهم لا يرون ما يختفى خـلـ

ربما أبصروا على الأفق النـ
كل لون يذيع فى خاطر الغـيـ

وهم يسحبون أقدامهم فـ
وماقيهم الرمادية الجـدـ

وأبقت صمتاً عميقاً طويلاً
نى وأبقت غشاوة وذهولاً

يملاؤن الوجود ضحكا وحزنا
أى مغزى وراءها؟ أى معنى؟

ب اضطراباً ممزقاً لا يقرر
ح وشكا فى كل شىء يمر

قصت زوابع الأيام
ليلق فى غطة من الأحلام

وين والخلق واصطياد المعانى
ف جمود الأشياء من ألوان

سان قوس الأمطار يقطر شعرا
م نشيداً يذوب شهداً وعطراً

ق تراب الملل والبغضاء
باء قبر الجمال والإيحاء

اشحبي يا غيوم وانطفئي يا
ولمن يشرق الجمال؟ أللنس

ولمن تضحك النجوم؟ لمن تسـ
ولمن ترقص الفراشات سكرى

ولمن هذه العذوبة فى الأز
فى غناء الجداول العذبة الوسـ

فى ابتسام المروج بعد مساء
فى دموع الندى على زهرة بيـ

ولمن تُرسلُ العصافيرُ لحن الـ
والحفيف المفتون إن لم توسد

أغناءً ولا مسامعَ تؤوى الـ
وجمال ولا عيون تحوك الـ

وينابيعُ تسكب السكر الذا
وورودُ حمراء يحترق العطـ

مقلة الشمس فى الفضاء البعيد
يان؟ للاحتراق؟ للتبديد؟

كبُّ أهدابها كؤوس الضياء
بعيون البنفسج الزرقاء؟

هار؟ فى نعسة الشذى النشوان؟
نخى لأرض عشبية الأحضان

مطر الصمت دافئ الديجور
ضياء نامت على حفاف الغدير

حبُّ والضوء والشذى كل فجر؟
ه رؤانا لمن يذوب ويسرى؟

لحن والحب فى كؤوس الشعور؟
حبُّ منه لُلمها المسحور؟

تبَّ ماءً وليس من عطشان
رُ عليها فى الجذب والنسيان

ومهادُ من الشذى رخصة العشر
وعطور تظل تجرفها الأم

كلُّ هذا العطر المبعثر ملء الأ
لم يعد يوقظ العروق التي أغ

وانطوت فوق ذاتها ترقب الأيد
الشعورُ العميق تدعوه وهماً

هذه الأنفسُ الممزقةُ العم
هدمتها مخالبُ الحربِ وامتصتْ

وتبقت فيها مقابرُ للشر
عكست بعض جذبها وأساها

أين تمضي هذى الملايين في العت
ما معاني الألفاظ في صمتها الـ

إنهم يقطعون أرض الأسي والـ
حيث فكُّ الملal يبتلعُ الألـ

ب تذيب اخضرارها في الفراغ
طارُ في عاصفِ الرياحِ الطاغى

رضِ ملء الحياة والآفاق
فت عن اللونِ والسنا البراق

سام مملوءةُ أسي ومـلـلا
وتسمى حب الجمال خيالا

يـاء، هذى المدافن الجوفاءُ
ت شذاها الدماءُ والأشلاءُ

ولليأس جهمة الآفاق
صرخات الفراغ ملء المآقى

مة؟ ماذا يجرحها للمسير؟
مسكون بالحزن والرجاء الكسير؟

جذب حيث الجمالُ لا يستقرُّ
وان حيث الذكرى ظلام وشرُّ

حيثُ يبنى الفراغُ عشًا رَمَادَ
وطيورًا شوهاً حاقدةً الأند

يأوينمى فيه الأذى والشقاء
غمام مملوءة الصدى بغضاء

اشحبي يا غيومُ وانطفئي يا
ودعينا هنا مع النقم السو

مقلة الشمس فى الفضاء الفسيح
داء نهب السهاد والتبريح

فى دوى الرياح موكبنا يز
عائراً بالأشلاء أشلاء من ما

حفُ نحو الضياء تحت الظلام
توا وأبقوا هياكلاً من عظام

من بعيد خلف الغيوم التى تف
ربما لاح بارق كـشـراعٍ

غرفاها فى دربنا المجهول
أبيض الوعد فى الظلام الثقيل

بعض دفء ناد يسيلُ على الأذ
بعض كأس تنال حافتها البيـ

حق وراء الوهاد والآكام
ضياء إغماءة الشفاهِ الظوامى

ذلك النبعُ بعد هذا السرى العط
لو لمسناهُ لو غسسلنا به كلَّ

شانٍ بعد الصراع بعد الجراح
أسنانا ويأسنا الملتاح

ذلك النبعُ حيث نغمس شكوا
من جديد نعيشُ نعرفُنا الريد

نا ونسقى تعطشَ الأحلام
حُ وتتلو نشيدنا للغمام

من جديد يعودُ يَبْنِي لنا التنا
وتقولُ الحَيَاةُ إن لنا ظلاً

ريخ في ظلُّه الفسيح مكانا
لنا بعضَ قصَّةٍ وكيانا

إننا لم نمرَّ بالعالم الميِّ
إن في ذكرياتنا وتراً يخد

ت صرعى ولم نعش أمواتا
فحقُّ بالضوء إن فيها حياة

ستقولُ الحَيَاةُ إننا مررنا
إن شيئاً منا عميقاً سيبقى

وملأنا الحَيَاةَ شعراً وفناً
في سكونِ الوجودِ لحناً يُغنى

في حفيف الأوراق تسحبها الريد
في بروق الشتاء تفتحهم الريد

حُ على الأرض في وجوم الخريف
ل وفي عاصف الرياح المخيف

في ارتشاف الظلام للقمر الأب
في أغاني فلاحتين تجوبا

يض في الصيف في سكون المساء
ن مع الفجر دولة الأنداء

ستقولُ الحَيَاةُ إننا بحثنا
عن رحيق مغلفٍ بالأساطير

في الدياجير أشهراً وسنيناً
ر جَهِلنا وعاءهُ المكنونا

نحن ندعوه بالسعادة لكن
ذلك اللُّغزُ، ذلك الحلمُ المح

ليس منا من ذاقه أو رآه
جوبٌ خلفَ الضبابِ أين تراه؟

فى أناشيدنا يعيش ضباباً
فى حكاياتنا يَظَلُّ أساطير

نتغنى به ونجهل ما كُنْـدُ
أهو جنيّةٌ مجنّحةٌ الأقد

من حرير السحاب أثوابها النا
من جناح الفراش ملمسٌ خديـ

مقلتاها العميقتان وجودُ
منهما تنبعُ السماءُ ولون الـ

من غبار النجوم جذرانُ مأوا
فى مكانٍ من الوجود على با

وعلى رأسها جدائلُ بيض الـ
أنبتته حدائقُ القمر النا

ويداها المسحورتان تقودا
وتسوقان ركب أحلامنا الحو

تائها فى مدىٍ فسيحٍ عريضٍ
رَ ولُغزاً محجّباً بالغموضِ

هـ شذاهُ وأين يحيا ضياهُ؟
لدام تحيا فى عالم لا نراهُ؟

عمةُ النَّسجِ من خدود الزهور
ها ومن رقة الشذى المسحورِ

أزرقُ اللون ناعمٌ وضياءُ
بـ بحر من نعستيهما الأضواءُ

ها الغريب المشيد فوق الزمانِ
بـ رؤاهُ يضئُ حدُ المكانِ

عطر من زنبقٍ غريبِ الرواءِ
ئى لتلك الجنيّة البيضاءِ

نِ النجومُ الشقراء عبر الفضاءِ
راءِ نحو الضياع والانطفاءِ

تلك جنية السعادة في قصده
عنده تنتهي رغائبنا الولد

رب بعيد يقوم خلف الغيوم
هي وأشتات حلمنا المحطوم

وعلى سوره تصب أماني
في انفعال ندق أبوابه الصمد

سنا وأشواقنا ونار صبا
ء والصمت ساخر من أسانا

وهي تلك الجنية الفضة الوح
ربما اقتات روحها بصدى آ

شية القلب من بنات السعالى
هاتنا في الفراغ ملء الليالي

ربما شيدت أريكتها الفض
ربما لونت ملابسها الفج

يعة النسج من حطام منانا
رية اللون من لهيب دمانا

وصداها ترويه من عطش السا
وتغذى نيران موقدها من

رين في كل قفرة ربداء
كل حلم نصوغه ورجاء

هذه الربة النحاسية الإح
لو أراقت ضياءها فوق هذى الأ

ساس لو لان قلبها الصخرى
رض وافتر وجهها الزنبقى

لو حنا سمعها وأصغى إلى رجا
يتلوى الحنين فيها وينسا

ع الأغاني المسودات الرنين
ب كأمواج جدول مفتون

أرسلتها حناجرٌ نسيت أن
لم تعد تعرف العذوبة فالياً

الأغاني قد لا تكون بكاء
سُ حشاًها خشونة وازدراء

آه اصغى يا ربّة الأفق المف
ربّما لم تزل حناجرنا تم

قعود من سترك الذي لا يُزاح
لكُ لحناً لم تبتلغه الجراح

وانظري من ضباب قصرِكَ من لغد
أرسلني نظرةً كما يعبرُ البر

رك من صمت جوِّك المجهول
قُ إلينا من جَفَنك المعسول

نحن جئنا يئأسنا بأمانيد
الملايين مُرسِلين مع الأحـ

نا بأشلاء أمسنا المدفون
زان حُلْمَ المستقبل الموهون

نداء إلى السعادة

يا ضباباً من الشذى الشفافِ
يا جمالاً بلا حدودِ
يا رفيفاً معطراً في ضفافِ
ليس يدري بها الوجودِ

أين تحين في شفافِ الغيومِ
حيث لا يبلغُ الخيالُ؟
أم تجوين في بحارِ النجومِ
زورقاً يعبدُ الجمالُ؟

أسدلي شغرك الطويل الطرباً
خُصلاتٍ من الحريرِ
وأريقي اشقارها الغيميا
يفرش الكونَ بالعبيرِ

وأزريحي أهداً بك العَبَقَاتِ
عن أساطيرٍ مقلتينِ
ملء لونيهِما اندفاعُ حياةٍ
وائتلاقاتُ كوكبينِ

يا جبيناً ملوناً بالمعاني
حجبت سحره الغيومُ
يا عبيراً نشواناً بالألحانِ
يا خدوداً من النجومِ

من ضبابِ الرؤى إلينا إلينا
قبل أن تُزَمَعَ الرحيلُ
وابسطي ظلكَ الحنونِ علينا
ظلكِ الدافئِ الجميلِ

نحن في مِيعَةِ الصبحِ سنمضي
قبل أن تفرغَ الكؤوسُ
وركابُ الديدانِ في كلِّ أرضٍ
لم تنزل تحفِرُ الرُّمُوسُ

ووراء السياج ينعقُ بومٌ
ملء عينيه أحجياتُ
رنَّ في صوته الصدى المشؤومُ
دون أن تعلم الحياةُ

والسكونُ العميقُ ملء الوجودِ
جامدٌ يرصدُ الحياه
يتغذى بكل لحن سعيدٍ
لمستَ عطرة الشفاءِ

وزهور الحقول تحمل سراً
بذرة الموت والذبولِ
لحظة في الصباح تقطرُ عطراً
ثم يمضي بها الأفول

وكؤوسُ الهوى المعطر تسقى
عسل الحب لحظتينِ
يختفي بعدها الرحيقُ ويبقى
في فم الكأسِ غصتينِ

وارتعاشُ الظلال فوق السواقي
سوف يمضى به الشفقُ
والجمالُ الذي يُظلُّ المآقي
ربّما غاله الأرق

والأغاريدُ قد يرُنُّ صداها
لحظات مع الصبّاحِ
وزهورُ المروجِ عُمُرُ شذاها
ليس أبقى من الرياحِ

نحن نحيا في عالمٍ من ظلالِ
عابرٍ نَسْجِ عنكبوتِ
كالعصافيرِ في ربيعِ الدوالي
نتغنّى لكى نموتِ

فامنحينا رؤياك قبل الرحيلِ
يا ابنة الحبِّ والخيالِ
لحظة عند نبعك المعسولِ
نغسلُ اليأسَ بالجمالِ

علّنا من رحيق عينيك نسقي
عطش الروح والشفاه
وعلى ملتقى سواقيك نلقى
عبء ما شجّت الحياة

علّنا بازرقاق عينيك نبني
من جديد لنا سماء
علّنا باشقرار شعرك نُفني
سطوة الليل والفناء

آه مدّي يدك مدّي يدك
كلُّ شيء هنا يضيع
وانبجاس النعيم من شفّتك
كيف نبقى للربيع؟

وهنا تغربُ النجوم وتذوي
في الدجى رقصة القمر
وكؤوس الأزهار في الحق تهوى
هكذا يحكمُ القدرُ

في شعاب الظلام نبقي نسيرُ
أين أواه تهريين؟
قصرُك الزئبقي أين يغورُ؟
كلّما كاد أن يبينُ

فيم، كالماء في رمال الصحارى،
لحظات وتضيئين؟
كشروق الهلال، كالأزهار
كخيالات حالمين؟

ولماذا، إن جئت بعد العذاب،
يقتفى خطوك القلق؟
فيحسّ الفؤادُ ظلَّ اكتئاب
كغيوم على الأفق؟

وذراعاك فيم بالسّم تهمل
حينما تملأ الكؤوس؟
كلُّ كأس وفيه قطرة همّ
ما زجت نشوة النفوس

كلُّ لونٍ تعيش خلفَ صفائه
ظلمةٌ تأكلُ الجمالَ
كلُّ حبٍّ يضمُّ خلفَ انتشائه
بذرةَ الموتِ والزوالِ

اهبطي يا أنشودةَ الحالمينا
من فضاءك المورِدِ
وامسحي مرةً صدَى الظامئينا
في دُجى ضائعِ الغدِ

وسنبنى هنا معابدَ بيضا
فوق أرضٍ من الرجاءِ
غسلتْ صدرَها الفسيحَ العريضا
أدمعُ اليأسِ والشقاءِ

علنا مرةً نذوقُ شذاك
بعد هذا الصدى الطويلِ
والشفاهُ الظمأى لشهدِ نذاك
تلمسُ الكوثرَ الجميلَ

...

فى غبار الحىاة، فى مزلق الآىـ
رنّ هذا النشىدُ مُختلج التـ

ام فى كل معبرٍ مسكونٍ
درد نشوانٍ بالأسى والحنينِ

وشدتهُ القرونُ منذ رأى الفجـ
منذ رنتُ فؤوسُ آدم فى الصخر

رُبعمينى حواءَ أولَ حزنٍ
ر ولم تبقَ فسحةٌ للتمنى

منذُ مرت قوافلُ البشر الأو
عبروا يبحثون عنها عن الجنـ

لى وعمرُ الوجود بضعُ سنينِ
يئة الزئبقية التكوين

باسمها يحرثون من أجل عينيـ
ثم ماتوا وأورثونا هواها

ها أحبوا حتى أكتئابَ الرحيلِ
وخفايا كيانها المستحيلِ

حدّثونا عنها فقالوا فتاةٌ
ليس تقوى على الحياة إذا جا

غمست فى الحرير شوق صباها
عت إلى رقة القصص ورؤاها

فهى للأغنياء تبسط من أهـ
وعلى شعرها العبرى يقضو

دابها الناعمات ألفَ خميلِ
ن لياليهمو كحلم جميلِ

ثم قالوا جنية تتبع الرهـ
مثلهم تعشقُ السكونَ ويرضيـ

من تراتيلهم تشيّد مأوىً
من بخور الكُهانِ جدرانـ

وسواهم يظنّنها ربةَ الرـ
ليس يروى إحساسها غيرُ جوّـ

من كؤوسِ الأزهارِ حمرةُ خديّـ
وتغنى لها النواعيرُ والشمـ

وسواهم يروى الحكايات عنها
من بكاء الأوتار تنسجُ أرجـ

ويقولون إنّ مسكنها الأعـ
ظَلَلَتْ روحهُ جدائلُها الشُقـ

وقلوب تظنّنها ربةَ الحبّـ
ويقولون إنّهم شهدوها

بيان والزاهدين حيث أفاءوا
ها مكانَ النعيمِ خبزٌ وماءُـ

ظللتنّسهُ سكينهُ ديريـ
ضُ ومن خشعة الشموع النقيـ

ف وبنت الذرى وأخت الوهادِ
أثقلتُ عطرهُ أغاني الحصادِـ

ها وتأوى إلى بيوتِ الفراشِـ
سُ إذا قبلتُ ذرى الأحراشِـ

كيف تحيا في عالم النغماتِ
حتّـها الكوكبيّة الرعشاتِـ

لى خيالاتُ شاعر مسحورِ
رُ وأسرارُ طرفها البلّورىـ

تصبُّ الرحيقَ للعشاقِ
تسكبُ الظلَّ في هَجيرِ الفراقِـ

ورأوها تهشُّ في مقلتي (قـ)
وأحسَّوا كيانها المَرَحَ الرا

س) مع الدمع والضبابِ الثقيلِ
قِصٌّ في حزن (توبة) و (جميل)

ومئاتٌ تُحسُّها في شفاه الـ
في ضبابِ الجنون، في دولة الأجـ

كأسٍ في غمرةٍ من الهذيانِ
سَادٍ في عالمٍ من الأدرانِ

ومئات ترجو العثور عليها
في دروبٍ دكناءٍ يَجْهَدُ ضوءُ الـ

في زوايا النفوس خلف دجاها
قَمَرِ الطفلِ أن يَمَسَّ ثراها

في خفايا مغمورةٍ عنكبوت الـ
وركاب (السيرين) آوت إليها

شر ألقى فيها سريراً مريحاً
والشعابين أثقلتُها فحيحاً

صلاة إلى بلاوتس

(إله الذهب)

من ضفاف الدُّجَى الأَخَرُ نَحْنُ جَسَدُكَ لَاهِيْنُ
واقْتَفَيْنَا خُطَى الْقَمَرِ ففوق أرضِ مَنْ الإِبَرِ
فِي دِيَا جِيِرَ مَنْ أَنِينِ

الصَّحَارَى رَمَتْ بِنَا فِي مَتَاهَاتِهَا الْغِلَظُ
رَمَلُهَا فِي جِلْدِ بِنَا فِي حَنَائِيَا جَفُونِنَا
لَمْ يَزَلْ يَسْكَبُ الشَّوَاظُ

وَالْأَعَاصِيْرُ وَالرِّيَّاحُ تَرَكَّتْ فِي جِبَاهِنَا
مَنْ سَكَكَيْنَهَا جِرَاحُ وَأَرَاقَتْ مَعَ النَّوَّاحُ
مِلْحَهَا فِي شَفَاهِنَا

كَلَّمَا رَقِرَ الْكِلَالُ بَحَّةَ الْمَوْتِ فِي نَشِيدِ
وَحَنَنْتُ أَذْرُعُ الرَّمَالِ ففوق أجسامنا الثَّقَالُ
عَبَّئَهَا السَّاحِقُ الْمَبِيدُ

رَنَّا فِي أَفْقِنَا صَدَى مِنْ رَيْنِ اسْمِكَ الْأَحَبِ
فَمَضَيْنَا إِلَى الْمَدَى فِي صِرَاعٍ مَعَ الرَّدَى
بِاسْمِ مَعْبُودِنَا الذَّهَبِ

هَكَذَا يَمَّمُوا إِلَى الشَّرْقِ آلا
يَقْطَعُونَ الْآكَامَ تَرْسِيهِمُ الصَّحَا
فَا جِياعاً لِلْمَنْبَعِ الْمَزْعُومِ
رَاءُ مَنْ حَيْرَةً لِيَأْسِ الْيَمِ

ضَلَلْتَنَّهُمْ أَسْطُورَةً عَنْ مَكَانٍ
حَيْثُ يَجْرِي نَهْرٌ مِنَ التَّبَرِّ مَسْحُورٍ
خَلْفَ بَعْضِ الْجِبَالِ فِي حَضْنِ وَادٍ
رُطُوتُ سِرِّهِ صَخُورُ الْوَهَادِ

قَطْرَةٌ مِنْهُ تَمْنَحُ الْكَفَّ لِمَسَاءٍ
وَالزَّهْوَرُ الَّتِي تَحْفَ بِشَطِيطِهِ
ذَهَبِيَّ التَّأْثِيرِ فِي الْأَشْيَاءِ
شَظَايَا كَوَاكِبِ بِيضَاءِ

أَيْنَ هَذَا الْوَادِي؟ وَضَجَّ فُضَاءُ الصَّ
أَيْنَ هَذَا الْوَادِي؟ وَسَارُوا يَجْرَوُ
مَتِ وَاللَّيْلِ وَالْمَدَى بِالسُّؤَالِ
نَ قِيوداً مِنَ الرُّغَابِ الثَّقَالِ

فِي سَكُونٍ يَلُودُ كُلُّ بَسْرٍ
حَالِماً فِي الظَّلَامِ بِالْجَدُولِ الْمَوِ
ذَهَبِيَّ الْوَشَّاحِ وَالتَّلْوِينِ
عُودٍ فِي عَاصِفٍ عَمِيقِ الْحَنِينِ

من خيالاته يصوغ على الأفـ
وبلادا وديانها تُنبـُتُ التـبـ

ق قلاعاً فضية الأبوابـ
ر مكان الأشجار والأعشابـ

ومكان الفراش تسرح أطيا
ومكان القطيع تحيا وعول

ر رفاق تبرية الأبدانـ
مترفات فضية السيقانـ

في خفايا هذا المكان الخرافي
من تراث الإغريق شيدها (فلـ

أساطير قلعة مسحوره
كان) سرا في أعصر مظموره

وبناها على رواب من المعـ
ناعمات على مزلقها تصـ

لـدن منحوتة الذرى سوداءـ
قل (فيكا) خدودها الملساءـ

هي برج علت حواليه أشجا
ونمت في أنحائه الكوكبيـا

ر ضخام تمس أفق النجومـ
ت أساطير عن زمان قديمـ

ويقولون إن جدرانها الغـا
جمعتها عرائس الماء من أعـ

مضة اللون من لآلى البحارـ
مماق بحر مطلق الأسرارـ

ويقولون إن أبوابها المقـ
نزعـت من جذران قصر سميرا

قلة الصمت فوق أروع سرـ
ميس في ليل بابل ذات عصرـ

والقِبابُ الضخامُ من خَشَبِ الجِو
من شِعَابِ الهِنْدِ الملقعة الغا

هذه القلعة الضبابية الشك
ليس يدري مكان سَلَمِها العا

ليس يدرون كيف يبلغها سا
ذلك الأعرجُ البطيء الخطى يَسُدُّ

ذلك العاجزُ الكفيفُ الذي يَمُدُّ
ليس يَعْنِيهِ أَنْ يُسَلِّمَها شَيْءٌ

ذلك الشيخ، كيف يصعدُ أين الـ
أترأهُ - كما يقولون - يؤوى

شعرُها - هكذا رَوَوْا - باركتُهُ
فنما كالحياةِ ثِراً غزيراً

ونما كالضيءِ كالبحرِ يمتدُّ
إن أرادتْ شَدَّتْ به القَمَرُ النَّا

ز الشَّذَى المعطرُ الألواحِ
باتِ بالذكرياتِ والأشباحِ

لِإِلِها يَضِيعُ خطوُ الساري
لِي رِوَاةُ الألفاظِ والأخبارِ

كنها الصامتُ الغريبُ الطباعِ
بِقُهِ النملِ - إن مَشَى - والأفاعي

نَحْ من لا يَرَى كنوزاً ضَخَّاماً
نَحْأً بخيلاً أو قاتلاً أو غلاماً

ضباب؟ أين السلالِمُ السحريَّة؟
بين جُذُرانِ قِصرِهِ جَنِّيَّة؟

من قِنانِ (الأولب) أيدِ خَفِيَّة
أَبَدِيَّ المسيلِ كَالْأَبَدِيَّة

سحيقِ السوادِ دونِ انتهاءِ
ثِي إلى الأرضِ أو إلى الجِوزاءِ

ذلك الشَّعْرُ رَبِّمَا أُرْسَلْتُهُ
يَتَخَطَّى عَلَيْهِ مَرْتَعَشَ الْخَطِّ

سَلَمًا لِلضَّرِيرِ كُلِّ مَسَاءٍ
وَمِرَاقِي تَلُكُ الرَّبِّي الْمَلْسَاءِ

أُرْسَلِي يَا طَوِيلَةَ الشَّعْرِ يَا سَمَّ
وَارْفَعِي الْهَائِمِينَ بِالذَّهَبِ الْبَرِّ

رَاءُ إِحْدَى الْجَدَائِلِ الْمَسْحُورَةِ
اقِ مِنْ هَذِهِ الْوَهَادِ الْكَسِيرَةِ

أَوْ أَطْلِي يَوْمًا بِوَجْهِكَ، بِالْفَتِّ
وَأَعِيدِي عَلَى الْجَمُوعِ أَقَاصِي

نَةِ وَالصَّمْتِ فِي مَدَى أَحْدَاكَ
صَ عَنْ الْهَالِكِينَ مِنْ عُشَّاقِكَ

حَدَّثِيهِمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْغَا
أَيْنَ سَاقَتُهُ شَهْوَةُ الذَّهَبِ الْعَمِّ

بِرِّ (مِيدَاس) كَيْفَ كَانَ مُصِيرُهُ؟
يَاءُ مَاذَا جَنَى عَلَيْهِ غُرُورُهُ

جُنَّ بِالتَّبَرِّ لَمْ يَعُدْ يَعِشِقُ الْأَنْدَ
وَأَزْرَقَاقِ الْغَيُومِ وَالْبَحْرِ مَا عَا

جَمَ إِلَّا إِنْ أَذْكُرْتُهُ سَنَاهُ
دَمْثِيرًا لِحَبِّهِ وَرَوَاهُ

وَاخْضَرَّارُ الْجِبَالِ أَصْبَحَ يُوذِي
فَهُوَ عَطْشَانٌ يَدْفَعُ الذَّهَبُ الْوَهْدَ

رُوحَهُ، وَالزَّهْوَرُ لَا تَرْوِيهِ
سَاجُ أَحْلَامِهِ إِلَى أَلْفِ تِيهِ

وَدَّ لَوْ حَوَّلَ الْخُدُودَ وَأَهْدَا
وَاشْقَرَّارَ الْآفَاقِ، وَالشَّفَقَ الْخَجْدَ

بَ الْعَيُونَ الْكَحْلَاءِ تَبْرَأَ نَقِيًّا
لَانِ وَالشُّوقَ نَائِمًا فِي مُحِبًّا

والشفاهُ الحوَاءُ ينضحُ منها الدُّهْبُ
ذهباً تجمدُ الشفاهُ عليه

فءُكم ودُّ لو تحوّلن سراً
قُبلاً كالرخامِ يقطن تبرا

حدثيهم وكيف ذاتَ مساء
يلمسُ الكنزُ في انفعالِ جنونيَّ

كان (ميداسُ) لاهثَ المقلتينِ
وفي كَفِّه لَظَى شفتَيْنِ

وأزاح المساءُ سِتْرَ دجاءه
في استداراتِ وجهه المخمليّ الـ

عن صبيٍّ من عالمِ الأطيافِ
لونِ إبراقٍ منبَعِ شَفَّافِ

وعلى رأسِه جدائلُ شعرٍ
وسماءُ في مقلتيه من الزُّرِّ

ذهبيٌّ يغار منه الفتونُ
قبةً والعُمقُ لم تَلها عيونُ

«عمُ مساءً» وأجفل الملكُ الشيب
غيرَ أصدااءِ بحةٍ حشرجتْ واند

خُ وماتَ البريقُ في عينيه
طلّقتْ صرخةً على شفتيه

أىُّ بابٍ قادتْ خُطى الوافدِ المجدِ
أم تراهُ خيالةً جسَّدتها

سهول؟ هل جاءَ من شقوقِ الجدارِ؟
فتنةُ الكنزِ وائتلاقُ النُّضارِ؟

«عمُ مساءً ميداسُ» مَنْ أنت ماذا
وأجاب الطيفُ الكريمُ: «أنا أم

تبتغيه في قبوى الجهول؟»
لك تحقيقُ كلِّ حلمٍ جميلِ

أنا ربّ التّمنّيات شفاهى
فى ذراعىّ قدرة الخلق لو شئت

تملكُ المستحيلَ والأبعادا
تُحوّلتُ كلَّ حىٍّ جَمَادا

ملء كفىّ الورودُ والذهبُ الوهْدَ
كلَّ ما شئتَ فاقترحْ تهبط الأَفْدَ

ساجُ واللونُ والشَّبَابُ الطرىُّ
سلاكُ والأُفقُ والسَّنا الكوكبىُّ

أرأيتَ الأغصانَ فى قبضة الإِعْدِ
أرأيتَ النعيمَ فى قلبِ رَحَا

صغار تهتزُّ وردةً بعد وردة؟
ل سنينٍ واتاهُ حُلُمُ العودِ؟

هكذا لونُ الحماسِ خدود الـ
وجثا ضارعاً وصاح: «حنانِيـ

ملك الغرِّ وهو يسمعُ هذا
لك ملاكى ماذا سؤالكُ ماذا

أعط هذى اليدَ المشوقةَ لمساً
دع ذراعىّ لا تمسَّسان إلا

ذهبيّاً وقوّةً من سحر
لتعيدا الأشياءَ عالَمَ تبر

إيه ميداسُ، أيّها الملكُ الأحـ
ارقبِ الآنَ مطلعَ الفجرِ وانظر

حقُ ماذا جنيتَ؟ أىُّ غرورِ؟
كيف عُقْبَى خيالكِ المغرورِ

فى غدِ تستحيلُ أشجارُك الحَيـ
وسواقى المياهِ تجمدُ صَفْرا

ةُ تبراً تعافىءُه الأنداءُ
ء كصحراء جفَّ فيها الماءُ

ودموع الندى تعود حصى صل
ورحيق الكروم يجمد كالصخر

بأولين الورود يصبح صلدا
رودفء الأعشاش يصبح بردا

وحرير الستائر اللدن يغدو
و(نهاوند) بتك العذبة الجذ

جامدا لا ليونة لا اثبالا
لى ستغدو فى لحظة تمثالا

هكذا تنتهى خيالاتك التب
فاشرب الآن خمرة الندم البا

رية الصفر للأسى الأبدى
رد واسكر بحلمك الذهبى

أنشودة الرهبان

نحنُ بالأمس تركنا صِيبَانَا
ودفناً كلَّ حبٍّ عَمِيقٍ
ولفّفْنَا في ذَهولٍ أبيضٍ
وأصبرنا للسكونِ نشيداً
ووهبنا للسماءِ هوانا
في مكانٍ لا تعييه رؤانا
كلَّ دربٍ قطعتهُ خطانا
بشراً كان ملءَ متانا

لا تَسَلْنَا عن طرَاوةِ أمسٍ
عن عيونٍ مَرَحَاتِ الأمانِ
عن شفاءٍ في برودةِ فجرٍ
عن خدودٍ دافئَاتِ عذابٍ
عن معاني ألفِ كأسٍ وكأسٍ
نثرت في عمرنا دفءَ شمسٍ
مَطَرِي الصمتِ لمياءَ لُغْسٍ
كخدودِ الوردِ رقةً لمسٍ

نحن ضيّعنا روابيَ حُلوه
ثم تهنا في مسالكِ حُلْمٍ
وشربنا اللونَ والعطرَ حتى
فأتينا الديرَ صرعىَ حَيَارَى
ودفّنا الحبَّ في كلِّ ربوه
وأفقنا عند حافةِ هوةٍ
عادت الكاساتُ تنضحُ شقوقه
علَّ في ديجوره بعضَ سلوه

هذه يا حياةُ مملكةِ الرهد
دفنوها وكاد ينسى رعاياها
بان في عزلة وفي اكفهرارٍ
ها الحَيَارَى حتى ضياءُ النهارِ

شَيِّدوها من كلِّ لَفْتَةٍ شَوْقٍ
وسقوا أرضها الجَدِيَّةَ من برِّ

فى العيون الحبيسة المحرومة
كان تلكَ العواطفِ المكتومة

وَحَمَوْها من أن تغازلها الشم
وأبوا أن يلامسَ القمَرُ المُنْذَ

سُ بألوانها ولينِ شذاها
فعلُ الضوءِ فى المساءِ دجاها

وَتَمَنَّوا ألا تمرَّ بهـــــــــــــــــارٍ
فشفاهُ الرياحُ تكمنُ فيها

حُ عَبيْرِيَّةُ الصَدَى والنشيدِ
قُبْلُ عَذْبَةٍ وذَكَرَى خَدودِ

وَتَمَنَّوا أن يُقفلَ الليلُ عينيه
فعيونُ النجومِ تُغوى بأهدا

وتخبىو نجومُه السحريه
بِ حَريْرِيَّةِ الرُّؤى قَمَرِيَّةِ

وهم يمقتون أن تشرب النح
فرحيق الورود فى شرعهم خم

حَلَّةُ شَهْدِ الأزهار كلَّ صباح
رُ تُريقُ السُّمومَ فى الأرواحِ

والعطورُ السكرى ألم تنبع الأح
إنها كالنبيد تُسكرُ تُذكى

زانُ بعد ارتشافها والجراحُ
من حنين الجمالِ ما لا يُباحُ

وغناءُ القنابرِ الذاهلِ المب
فى ثناياه آهةٌ كَسَّسَ الحبُّ

هورُ - فى عرفهم - نداءُ خطايا
صداها وفيه نجوى صَبَايا

وخذودُ الفجرِ الموردةُ الننا
حرّموها فقد تمرُّ على الزهـ

عمةُ الدفءِ والشذى والرحيقِ
دِ فتُضحيه من سُبَاتٍ عميقِ

وأقاموا سوراً ليمنعَ عنهم
وأرادوه حارساً يطردُ العطـ

كلَّ ذكرى من كلِّ أمسٍ بعيدِ
ر ويخمي من النسيمِ البرودِ

وأباحوا أيامهم ليد الصمـ
وأقاموه حاكماً مخلياً الد

ت الرصاصية العروق الثقيله
حكّم لاذت به المنى المقتوله

إنه الديرُ فيه يتصرُّ المو
في خفأياه، في ممرّاته السو

تُ وفي قبوه يعيش الآه
د الحزينات لا يعيش الله

مسكنُ الصمتِ والكآبة والجذ
وصراعٌ مع العواصفِ تُضحى

ب ومأوى الرغائب المدفونه
ناره أذرع الليالي اللعينة

ذلك العنكبوتُ ذو الأرجلِ الفظـ
إنه من دمائهم يتغذى

ة هل منه مهربٌ أو ملاذ
وهو من قلب أمسِهم أفلاذ

إنه حبّهم يعود إليهم
لا تطيق الأسوارُ ردَّ خطاه

ينسجُ الذكريات والأهواء
فهو قد خالط الرؤى والدماء

وهو حيناً عينا صافيتا اللو
أو شفاه من قعر حلم بعيد

ن كأعماق بركة صيفيه
أو يد لدنة البياض شهيه

ذلك العنكبوت كم عاد وجهاً
إنه وجهها، أينسون؟ هذى

عكسته للراهبين الكؤوس
ربة الدير، هذه تاييس

أغنية تاييس

من خيوط الضوء أرديتي
الهوى المبهور في شفتي
ولهاتُ الورد أغنيتي
ومن الأزهار ألوانى
عصرته كف شيطانٍ
وخفايا عالم ثانٍ

وخدودى مُخملٌ لذنُ
من شذاها ينبعُ اللونُ
وأنا اللذة والأمنُ
بقعته حمرةٌ خجلي
ويرشُ الوردة الجذلى
للرياح العذبة الكسلى

وشفاهى ها هنا اللينُ
إنها إن شئت سكينُ
وذراعى أفرانين
وروى صيفيه لَدنه
وإذا شئت رقى فتنه
فيهما النشوة واللعنه

من قديمٍ عشيقَ الديرُ
ذكرياتُ ما لها غورُ
أنا النقمة والشرُ
ضحكاتى واستطاب اسمى
رسخت فى الدم والعظم
لم يضمنيكم إذن رسمى؟

راهبُ الأَمْسِ أننَسَـاهُ؟
ما حَيَاةُ الدِّيرِ؟ ما اللّهُ؟
وهَوَى في رَكَبٍ من تاهوا

كيف أشعلتُ أحاسيسَه؟
إن أنا أصبَحْتُ تاييسَه
وهبطتُ الخُلْدَ قَدَيِسَه

أغنية للإنسان

- ٢ -

”نظمت هذه القصيدة عام ١٩٦٥ عدا الأبيات المنسوخة

من مأساة الحياة في القسم الأول من القصيدة“

عَبَثًا تَحْلُمِينَ شَاعِرَتِي مَا
عَبَثًا تَسْأَلِينَ لَنْ يُكْشَفَ السِّرُّ

مَنْ صَبَّاحٍ لِلَّيْلِ هَذَا الْوَجُودِ
وَلَنْ تَنْعَمِي بِفِكَ الْقُبُورِ

فِي ظِلَالِ الصَّفْصَافِ قَضَيْتِ سَاعًا
تَسْأَلِينَ الظَّلَالَ وَالظَّلَّ لَا يَعِ

تُكَ حَيْرِي تُمَضِّكِ الْأَسْرَارُ
لَمْ شَيْئًا وَتَعْلَمُ الْأَقْدَارُ

أَبَدًا تَنْظُرِينَ لِلْأَفُقِ الْمَجْـ
أَبَدًا تَسْأَلِينَ وَالْقَدْرُ السَّـ

هَوْلِ حَيْرِي فَهَلْ تَجَلَّى الْخَفَى؟
خَرُصِمْتُ مُسْتَغْلِقُ أَبَدِي

فِيمَ لَا تِيَّاسِينَ؟ مَا أَدْرِكُ الْأَسْـ
أَسْفًا يَا فِتْنَةً! لَنْ تَفْهَمِي الْآيَـ

رَارَ قَلْبٍ مِنْ قَبْلُ كَيْ تُدْرِكِيهَا
لَمْ فَلْتَقْنَعِي بِأَنْ تَجْهَلِيهَا

اتْرَكِي الزُّورَ الْكَلِيلَ تُسَيِّرُ
مَا الَّذِي نَلْتِ مِنْ مِصَارَعَةِ الْمَوِ

هُ أَكْفُ الْأَقْدَارِ كَيْفَ تَشَاءُ
ج؟ وَهَلْ نَامَ عَنْ مَنَاكِ الشَّقَاءِ؟

أَهْ يَا مَنْ ضَاعَتْ حَيَاتُكَ فِي الْأَحْـ
لَمْ يَزَلْ سِرُّهَا دَفِينًا فَيَا ضَيِّـ

لَامِ مَاذَا جَنَيْتِ غَيْرَ الْمَلَالِ؟
عَمَّةٌ عُمُرَ بَدَدَتِهِ فِي السُّؤَالِ

هو سرُّ الحياة دقَّ على الأف
فا يأسى يا فتاة، ما فُهِمَتْ من

هَمَّ حتى ضاقتْ به الحكماءُ
قبلُ أسرارها ففيمَ الرجاءُ؟

جاء من قبلٍ أن تجيئى إلى الدنـ
ليت شعرى ماذا جنَّوا من لياليـ

يا ملايينُ ثم زالوا وبادوا
هَمُّ؟ وأين الأفراحُ والأعيادُ؟

ليس منهم إلا قبورٌ حزينـ
رحلوا عن حمى الوجود ولاذوا

تُ أقيمت على ضفافِ الحياة
فى سكونٍ بعالمِ الأمواتِ

كم أطافَ الليلُ الكئيبُ على الجوّ
شَهِدَ الليلُ أنه مثلما كا

وكم أذعنت له الأكـوانُ
نَ فأين الذين بالأمسِ كانوا؟

كيف يا دهرُ تنطفى بين كَفَيْـ
كيفَ تذوى القلوبُ وهى ضياءُ

لكَ الأمانى وتخمدُ الأحلامُ
ويعيشُ الظلامُ وهو ظلامُ؟

كيف تحيا الأشواكُ والزهرُ الفا
كيف تمضى إلى الفناءِ الأناشيـ

تنُ يذوى فى قبضةِ الإعصارِ
مدُ وتبقى سُخْرِيَةُ الأقدارِ

حدّثى القلبَ أنتِ أيتها المـ
ما الذى تصنعين بى فى الغدِ المجـ

ساةُ يا من قد سُمِّيتَ بالحياة
هولٍ؟ ماذا ترى مصيرُ رفأتى؟

أى قبرٍ أعددتِ لى؟ أهو كهفٌ
أم ترى زورقى سيفرقُ بى يو

ملءٌ أنحائه الظلامُ الداجى؟
مأ فأتوى فى ظلمة الأثباجِ

وغرامى بالسرى يصرخُ من أيدٍ
وأمامى أفقٌ من الصمتِ والألـ

ن؟ إلى أين؟ ما مصيرُ حياتى؟
غازِ ضلّتْ فى نيهه خُطراتى

لهفتى يا حياةُ كم تلعبُ الأو
أبدأ أسألُ الليالى عن المو

هامُ بى كم يؤودنى التفكيرُ
تِ وماذا ترى يكونُ المصيرُ

طالما قد سألتُ ليلى لكن
ليس غير الأوهام تسخر منى

عزّ فى هذه الحياة الجوابُ
ليس إلا تخبطٌ واضطرابُ

هل فهمتُ الحياةَ كى أفهمُ المو
لم يزلْ عالمُ المنيةِ لُغزاً

تَ وللموتِ صمتُ قلبِ ضنينِ
عزّ حلاً على فؤادى الحزينِ

فليكن يا أيامُ لن أسألُ الليـ
امنحيني عُمرَ الزهورِ فلن أبـ

لَ عن السر فاحكُمى كيف شئتِ
لكى ومُدّى الحياة لى إن رَغبتِ

ولماذا أبكى؟ وهل يردع الدّمـ
لن تزيدَ الدموعُ يوماً على عُمـ

عُ المنايا؟ وهل يُحسُّ القضاءُ؟
رى غداً رقدةً غداً انطفاءُ

ولو أننى أحببتُ موتى وناديتُ
هل يُجيبُ المماتُ رغبتيَ الحرَّ

تُ دُجَاهُ بأجملِ الأسماءِ
ي ويأتى ملبّياً لندائى؟

هكذا جئتُ للحياة وما أد
وسأحيا كما يشاءُ لى المجـ

رى إلى أين سوف تمضى الحياةُ
هولُ قلباً حفتْ به الظُّلماتُ

هكذا، ما يُريدهُ القَدَرُ المَحـ
سَيَّرتنى الحياةُ أين ترى مرَّ

تومُ لا ما تُريدهُ آمالى
سى سفينى وعند أىِّ رمالٍ؟

لم أزلَ ملكَ حيرتى وذهولى
لستُ أدري ما غايتى فى مسيرى

بينَ ماضٍ ذوى وعُمُرٍ يمرُّ
آه لو ينجلى لعينى سرُّ

لم أزلَ اقتلُ الليالىَ بحثاً
دون يأسٍ بحثتُ دون كلالٍ

عن ديار السَّعادةِ البشريّةِ
فى قِفارٍ ممتدّةٍ أبديةِ

يا ديارَ الأحلامِ يا شاطئَ الغبـ
لم أعدُ أستطيعُ أن أسكتَ الشوَّ

طة يا من يضمُّك المجهولُ؟
ق فكيف الوصولُ؟ كيف الوصولُ؟

كل شىءٍ حولى يحدثنى عندُ
فاحملينى إليك من قبل أن يهـ

ك ولكن متى يحينُ اللقاءُ؟
وى شرأعى وتصخبُ الأنواءُ

وعِيانٌ وواقعٌ مشهودٌ؟
وضبابٌ مطلسمٌ ممدودٌ؟

ودعيني أعرفك ما أنت؟ حقٌ
أم ترى أنت محضٌ وهمٌ ورؤيا

ياك لكن ما زلت حلم صبيٌّ
وأغنيك للوجود الشقيُّ

طالما حدثوا فؤادي عن لُفٍّ
لم أزل أملاً الليالي حيناً

ذكريات الطفولة

لم يَزَلْ مجلسي على تلّي الرّمز
لم أزل طفلةً سوى أننى قد
لنى يُصنّفى إلى أناشيد أمسى
زدتُ جهلاً بكنه عمري ونفسي

ليتنى لم أزل كما كنتُ قلباً
كل يوم أبني حياتي أحلا
ليس فيه إلا السنّ والنقاء
مأ وأنسى إذا أتانى المساء

فى ظلال النخيل أبني قلاعاً
أسفأ يا حياة أين رمالى
وقصوراً مشيدة فى الرّمال
وقُصورى؟ وكيف ضاعت ظلالى؟

إيه تلّ الرمال ماذا ترى أب
أين أبراجها العليات هل تا
قَيتَ لى من مدينة الأحلام؟
هت وراء الزمان فى أوهامى؟

ذهبَ الأمسُ لم أعد طفلةً ترّ
لم أعد أبصرُ الحياة كما كا
قُبُ عَشِّ العصفور كلّ صباح
نتُ رحيقاً يذوبُ فى أقداحى

لم أعد فى الشتاء أرنو إلى الأم
لم أعد أعشق الحمامة ان غنّ
طار من مَهْدَى الجميل الصغير
ستُ وألهو على ضِفَافِ الغدير

كم زهور جَمَعْتُهَا وعطور
كم تعاليل صُغْتُهَا بدَدْتُهَا

سرقَتْهَا الحياةُ لم تُبقَ شيئاً
وتبقى تذكّارُها في يديّ

كنت عَرُشِي بالأمس ياتلّي الرّمْدُ
كان شدو الطيور رجّع أناشيء

لمى والآن لم تُعدْ غير نلّ
لدى وكان النعيم يتبع ظليّ

كان هذا الوجودُ مملكتي الكبّ
ليت تلّ الرمالِ يسترجع الأس

رى فيها ليتها تعودُ إلّ
راراً والشجرَ والجمالَ الطريّا

لم أعدُ أستطيعُ أن أحكمَ الزهْدَ
هل أنا الآن غير شاعرة تُدّ

رَ وأرعى النجومَ في كلّ ليلٍ
ركُّ سرّ الكونِ الجديبِ المملّ؟

ذهبَ الأمسُ والطفولةُ واعتَضدُ
كل ما في الوجودِ يؤلمني الآ

تُ بحسّي الرهيفِ عن لهو أُمسى
نَ وهذى الحياةُ تجرحُ نفسي

قد تجلّت لي الحقيقةُ طيفاً
وتلاشى حلمُ الطفولة في الما

غيبياً في مقلّتيه جنونُ
ضى ولم يبقَ منه إلا الحنينُ

أَيْنَ لَوْنُ الْأَزْهَارِ؟ لَمْ أَعُدِ الْآ
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيُونِي أَزْهَا

نَ أَرَى فِي الْأَزْهَارِ غَيْرَ الْبَوَارِ
رَأْتُ تَذَكَّرْتُ قَاطِفَ الْأَزْهَارِ

أَيْنَ لَحْنُ الطُّيُورِ؟ لَمْ يَْعُدِ الْآ
فَالْغِنَاءُ اللَّذِيذُ ضَاعَ صَدَاهُ

نَ اشْتِيَاقاً وَفَرْقَةً فِي فَوَادِي
وَانْطَوَى فِي تَذَكُّرِ الصَّيَادِ

أَيْنَ هَمْسُ النَّسِيمِ؟ أَشْوَاقُهُ السَّكَنُ
فَغَدَا يَهْمْسُ النَّسِيمُ بِمَوْتِي

رَى انْطَفَتْ لَمْ تَعُدْ تُثِيرُ خِيَالِي
فِي عَمِيقِ الْهُوَى وَفَوْقِ التَّلَالِ

أَيْنَ مِنِّي مَفَاتِنُ اللَّيْلِ، شِعْرُ
لَمْ أَعُدْ أَعْشَقُ الظَّلَامَ غَدَا أَهْـ

وَعَمُوضٌ فِي غِيْهِبِ مَسْحُورِ
سَوَى عِظَاماً تَحْتَ الظَّلَامِ الْكَبِيرِ

هَـ أَنَا الْآنَ تَحْتَ ظِلٍّ مِنَ الصَّفْـ
أَقْطِفُ الزَّهْرَ إِنْ رَغِبْتُ وَأَجْنِي الـ

صَافٍ وَالتِّينِ مُسْتَطَابِ ظَلِيلِ
شَمَرَ الْحُلُوفِ فِي صَبَاحِ الْجَمِيلِ

وَعَدَا تَرَسَّمُ الظَّلَالُ عَلَى قَبـ
وَعَدَا مِنْ دَمِي غَذَاؤُكَ يَا صَفـ

رَى خُطُوطاً مِنَ الْجَمَالِ الْكُثِيبِ
صَافٍ يَا تَيْنُ أَيُّ ثَأْرٍ رَهِيْبِ

ذاكَ دَابُّ الْحَيَاةِ تَسْلُبُ مَا تُعْذِ
تَتَقَاضَى الْإِحْيَاءُ قِيَمَةَ عَيْشٍ

طِيَهُ بِخُلَا لَا كَانَ مَا تُعْطِيهِ
ضَمَّهِمْ مِنْ شَقَائِهِ أَلْفُ تِيهِ

هِيَ هَذِي الْحَيَاةُ سَاقِيَةُ السُّمِّ
أَوْمَاتٌ لِلْعِطَاشِ فَاعْتَرَفُوا مِنْ

كُؤُوساً يَطْفُو عَلَيْهَا الرِّحِيقُ
هِيَ وَمَنْ ذَاقَهَا فَلَيْسَ يُفَيِّقُ

هِيَ هَذِي الْحَيَاةُ زَارِعَةُ الْأَشْرِ
هِيَ نَبْعُ الْآثَامِ تَسْتَلْهُمُ الشَّرَّ

سَوَاكَ لَا الزَّهْرَ وَالْدُّجَى لَا الضِّيَاءَ
وَتَحْيَا فِي الْأَرْضِ لَا فِي السَّمَاءِ

آدم وفردوسه

حسبُها أننا دَفَعْنَا إليها
أَيَّ ذَنْبٍ جَنَاهُ آدَمُ حَسْبُنِي
ثُمَّنَ الْعَيْشِ حَيْرَةً وَدَمْعَا
نَتَلَقَّى الْعِقَابَ نَحْنُ جَمِيعَا؟

وليكن آدَمُ جَنَى حَسْبُهُ فَقَدْ
أَوَّلَمَ يَكْفٍ أَنَّهُ هَبِطَ الْأَرْضَ
لِدَانُ فَرْدُوسِهِ الْجَمِيلِ عِقَابَا
ضَلَّ لِيُسْقَى آلامَهَا أَكْوَابَا؟

أَوَّلَمَ يَكْفٍ أَنَّهُ هَبِطَ الدُّنْ
أَوَّلَمَ يَكْفٍ أَنَّهُ عَرَفَ الشَّرَّ
يَا طَرِيداً مِنْ خُلْدِهِ الْقَيْنَانِ
وَقَدْ كَانَ طَاهِراً فِي الْجِنَانِ؟

ليت شعري ماذا يَرُوقُ لَعَيْنِي
كَيْفَ يَنْسَى آفَاقَ جَنَّتِهِ مَا
بِهِ هُنَا فِي انْغِلَاقِ هَذَا الْوَجُودِ؟
ذَا يَغْذِي حَنِينَهُ لِلْخُلُودِ؟

كيف ينسى الأَمْسَ الطَّلِيقَ لَيْسَ هُنَا
أَيْنَ ذَاكَ الْحَسَّ الرَّهِيْفُ؟ هُنَا سَجْدُ
بِحَيَاةِ الْقَيُودِ وَالْأَرْسَانِ؟
مِنْ بَلِيدٍ مَغْلَفُ الْجُذُرَانِ

ولماذا يَنْسَى وَهْلَ فِي الثَّرَى شَيْءٌ
كَلِمَا لَآذَ بِالْخَيَالِ تَجَلَّى
يَعِزِّي عَنْ حُلْمِهِ الْمَعْسُورِ؟
لَأَسَاهُ مَا كَانَ مِنْ قَابِلِ

أَوَلَمْ تَسْمَعْ الْحَقُولُ صَدَى صر
أَوَلَمْ يَشْهَدْ الْقَطِيعُ عَلَى الْجَا

خة هَابِيلَ حِينَ خَرَّ قَتِيلًا؟
نَى أَلَمْ يُصِرِّ الدَّمَ الْمَطْلُولَا؟

أَيْنَ هَابِيلُ؟ أَيْنَ وَقَعَ خُطَى أَغْد
لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا ضَرِيحٌ كُنْيبٌ

نَامَهُ فِي الْحَقُولِ وَالْوُدَيَانَ؟
شَادَهُ فِي الْعَرَاءِ أَوَّلُ حَنَانِ

وَأَتَتْ ظِلْمَةُ الْمَسَاءِ عَلَى الْحَقْدِ
لَيْسَ إِلَّا قَابِيلُ يَمْشَى رَهَيْبًا

لِوَعَادِ الْقَطِيعِ مِنْ دُونِ رَاعٍ
يَخْطُو نَهَبَ الْأَفْكَارِ وَالْأَوْجَاعِ

يَا لِأَحْزَانِ آدَمَ عِنْدَمَا أَبْ
أَيْهَا الْمُسْتَطَارَ لَنْ تَرْدَعَ الْأَقْدَ

صَرَ بَابْنِيهِ قَاتِلًا وَقَتِيلًا
سَدَارَ حَتَّى إِذَا بَكَيْتَ طَوِيلًا

مَا الَّذِي تَتَفَعُّ الْمَدَامِعُ يَا آ
إِنْ يَكُنْ مِنْ فَقْدَتْ أَوَّلَ مَقْتُو

دُمُ؟ هَلْ تَدْفَعُ الْقَضَاءَ الْمَرِيرَا؟
لِ عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ لَيْسَ الْأَخِيرَا

إِنَّهَا لَعْنَةٌ تَظَلُّ عَلَى الْعَا
كَلَّمَا ذَاقَ قَطْرَةً مِنْ نَعِيمِ

لَمْ مَسْدُولَةَ الدُّجَى مُكْفَهَرَةً
أَعْقَبَتْهَا مِنَ الْأَسَى أَلْفُ قَطْرَةٍ

كَلَّمَا أَسْدَلَ السُّتَارَ عَلَى حَرِّ
رَحْمَةً يَا حَيَاةُ حَسْبُكَ مَا سَا

بِ أَطْلَتْ حَرْبٌ وَجَاءَتْ رِزَايَا
لِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دِمَاءِ الضُّحَايَا

الحرب العالمية الثانية

انظري، هل ترين غير بقايا
هل تبقى منه سوى دمنٍ جدٍ
ذلك العالم الجميل الخصب
باء في قبضة الدمار الرهيب

يا قصوراً بالأمس كانت هنا يضر
أصبحت مسكن الخراب وجفت
حك من حولها ندى واخضرار
في حماها العطور والأزهار

أين أهلك يا قصور؟ وفي أي
أم ترى مزقتهم قاذفات الـ
قبسور ثووا تحت الثلوج؟
نار في عاصف رهيب الأجيح؟

أسفاً يا قصور أهلك ناموا
رقدوا حاسري العظام فلا قبـ
فوق صدر الثرى عراة الصدور
مر لهم في التراب أو في الشعور

في سفوح الجبال، تحت ذرى الأشـ
ليس غير الموتى عظاماً وأشلاء
جدار خلف الضياء والظلماء
وغير اكتئاب وبكاء

يا نشيد السلام يا ساكناً في
رف فوق الدنيا الحزينة وابعث
قمر أحلامنا وراء منانا
لحن حب في تيهنا ودجانا

طُفْ بِأَنْعَامِكَ النَّشَاوَى عَلَى هَدًى
بِنْدَاكَ الرَّحِيمِ رَطَّبْ شِفَاهَا

لَذَى الْقُرَى الْمُسْتَبَاحَةِ الْمَهْدُومَةِ
ظَامِنَاتٍ أَوْ جِبْهَةً مَحْمُومَةِ

طُفْ بِأَنْقَاضِ عَالَمٍ لَيْسَ يَذَرِي
رَاسِفٌ فِي الدُّجَى، وَيَسْمَعُ بِالْفَجْدِ

أَتَرَى لِلدَّمَاءِ بَعْدُ بَقِيَّةً؟
رِ حَدِيثاً وَقِصَّةً مَرْوِيَّةً

كَانَتْ الْحَرْبُ يَوْمَ أَشْعَلَهَا صَو
غَلَفُوا هَالِكاً بِبُومِضٍ بَرِيقِ

رَةً حُلْمٍ مُضَوّاً الْأَسْتَارِ
مِنْ سَنَا الْمَجْدِ وَالرَّوْى وَالْفَخَارِ

فَإِذَا نَبَعُهَا دَمٌ وَشَذَاها
وَإِذَا مَسَجِدُهَا شَقَاءٌ طَوِيلٌ

لَهَبٌ آكَلُ اللَّظَى وَهَجِيرٌ
لَيْسَ يَنْجِسُ لَيْلُهُ الْمَحْرُورُ

جَفَّ زَهْرُ التَّلَالِ وَالْوَرَقُ النَّضْدُ
أَسْفَا لَمْ تَدَعْ لَنَا الْحَرْبُ شَيْئاً

رُ وَأَوَتْ إِلَى الْجَفَافِ الْحَقُولُ
وَتَلَأَشَى الْحُلْمُ الطَّرُوبُ الْجَمِيلُ

مَنْ تَرَى يَحْرُثُ الْحَقُولَ الْجَدِيَا
أَيْنَ لَهْوُ الْأَطْفَالِ عِنْدَ الْبَحِيرَا

تِ؟ وَأَيْنَ اخْتَفَتْ أَغَانِي الْحَصَادِ
تِ النَّشَاوَى فِي بَهْجَةِ الْأَعْيَادِ؟

يَا قُلُوبَ أَطْفَالٍ لَا تَخْفَقِي الْآ
ذَلِكَ الْحُلْمُ فِي مَآقِيكُمْ الْوَلَدِ

نَ حَنِيناً لَنْ يَرْجِعَ الْآبَاءُ
هِيَ طَوْنُهُ الْمُنِيَّةُ السُّودَاءُ

وبقايا الآباء نهب غُبار الـ
أى معنى فى هذه الأعين الغر

أرض صماء شاخصات العيون
قى، من الصمت والذهول الحزين؟

كل عينين فيهما صورة تب
كل عينين تسخران من العيد

كى وترثى للعالم المغرور
ش وتستهزآن بالمقدور

كل عينين تنظران إلى الأف
آه يا رب، آه لو فـهم الأحـ

ق بعيداً عن كل ما فى الحياة
يأء ماذا فى أعين الأموات

يا فتاة الأحلام حسبك شدوا
سوف يقنى هذا النشيد ويبقى الـ

برثاء القتل وحسبك حزننا
شر فى الأرض خالداً ليس يقنى

هكذا شاءت المقادير للعـا
وهى النفس تحمل الشر والبغضاء

لم إثم ونقمة وحروب
ماذا يفيدها التهذيب؟

وأغاني السلام كم قد وهبنا
فطوأها الفضاء وابتلع النسـ

ها قلوباً وألسناً وشفاها
يان ألعانها وضاع صداها

كيف ينجو الوجود إن كان فى الإنـ
كيف يشفى من الأسى يا مقادير

سان عرق من الشرور عريق
ر؟ متى فجره السنن الوريق؟

ما الذى رَامَهُ الْمَسِيحُ لِكى يُجَدَّ
أَيَّهَا الْعَالَمُ الَّذِى اقْتَرَفَ الذَّنْءَ

رَزَى بِمَا كَانَ؟ مَا الَّذِى كَانَ مِنْهُ؟
بِأَمَّا أَنِ انْ تُكْفِّرْ عَنْهُ؟

أَوْ لَمْ يَشْبِعِ الْوَجُودُ مِنَ الْحُزْنِ
أَوْ مَا فِى كَاسَاتِهِ غَيْرَ مِلْحِ الدِّ

نِ أَمَّا زَالِ ظَامِئاً لِلدَّمَاءِ؟
لِدَمْعِ لِلجَائِعِينَ وَالْأَشْقِيَاءِ؟

أَيُّهَا الْكَوْنُ يَا جَنَاحاً مُدْمِئاً
لِيَكُنْ مِنْ فَقَدْتَ فِى هَذِهِ الْحَرِّ

حَطْمَتُهُ مَقَادِرُ وَمَنَآيَا
بِخَتَامِ الَّذِينَ مَاتُوا ضَحَايَا

نَهَمُ الْقَتْلِ فِى عُرُوقِكَ قَدْ آ
فَالْتَجَى لِلسَّمَاءِ حَيْثُ الْمُنَى وَالِ

نَ لَهُ أَنْ يَنَامَ أَنْ تَنْسَنَاهُ
رَى حَيْثُ الضِّيَاءِ حَيْثُ اللّٰهُ

ذَلِكَ الْمَنْبِعُ الْأَثِيرُ مَا أَعَدَّ
لَمْ يَزَلْ فِى انْتِظَارِ دُنْيَا تَرَامَتْ

لَذِبَ كَاسَاتِهِ لِمَنْ يُسْقَاهَا
فِى دُرُوبِ الدُّجَى فَضَلَّتْ خُطَاهَا

أَيُّهَا التَّائِهُونَ تَحْجِبُ أَبْصَارُ
أَحْمَلُوا نَادِمِينَ أَشْلَاءَ قَتَلَا

رَهُمْ ظُلْمَةٌ وَأَلْفُ سِتَارِ
كُمُ وَغَنُوا لَهَا نَشِيدَ اعْتِذَارِ

ضَمَّخُوهَا بِالْعِطْرِ لِقُوا بَقَايَا
أَحْمَلُوا الْمَيِّتِينَ فِى نَعَشِ مُوسَى

هَا بِزَهْرِ الْيَمُونِ وَالْيَاسْمِينِ
قَى وَحِبُّ عِطْرِ دَمْعِ سَخِينِ

واجمعوا الصبية الصغار ليلقوا
وليكن آخر اللحون التي تُلد

أغنيات فجرية الأنغام
قَيَّ على سَمْعهم نشيدُ السَّلامِ

فيم هذا الصراعُ؟ فيم الدماءُ الـ
والشبابُ البريءُ في زهرة العُم

حُمُرُ تجرى على الثرى العطشانِ
رِ لماذا يُلْقَى إلى النيرانِ

في سبيل الثراءِ هذا؟ أليس الضـ
ولياي السَّلامِ والأمنِ هل في الـ

سوءُ والحبُّ والورودُ ثراءُ
عُمُرُ أغلى منها وأحلى ضياءُ؟

وغداً رحلةٌ إلى الأفقِ المجـ
وغداً رحلةٌ فهل يدفع الأمـ

هول، نحو السكونِ والنسيانِ
سواتُ بالمالِ وخَشَّةُ الأكفانِ؟

إنَّه الموتُ ذلك الواهبُ العا
ومُريقُ الفناء في كلِّ خدِّ

دلُّ مُلقى الهمود في كلِّ قَبـ
وذراعٍ وكلِّ نحرٍ وصدْرِ

فلماذا إذن مَشَى العالمُ المجـ
فيم تحدو الشعوبُ أطماعُ غرِّ

نونُ للموتِ والأذى والدمارِ
يتصبَّبُ عَيْنِيهِ وهجُ النَّارِ

أعن النصرِ يبحثون؟ وهل نصـ
هل فَخارٌ وحولنا عالمٌ يمـ

رُ لمن تستذلُّه الأهواءُ
لؤلؤُ الجائعونَ والأشقياءُ؟

نحنُ أسرى يقودنا القَدْرُ الأعـ
وسنينُ الحياةِ نومٌ ونصحو

وطبولُ النصرِ العظيمِ غداً تَفـ
وتُضِيعُ الرِّيحُ في أفقِ العا

وصحا العالمُ العميقُ الأسى وانـ
شَهِدت هذه القبورُ لها بالـ

ثم ماذا يا ساكني العالَمِ المو
هل وصلنا إلى النجومِ الحوالى

هل غلبنا الشقاءَ والفقرَ فى أر
والصِّغارُ العُراةُ هل وجدوا مأ

والأذى والشرورُ هل دَحَرَتْها الـ
أسفاً لم يَزَلْ على الأرضِ من يَتـ

لم تَزَلْ فى الوجودِ أغنيةٌ تَفـ
فى هُتافاتِ لاجئينِ رمتهم

مى إلى ليلِ عالمٍ مجهولِ
ذاتَ يومٍ على نداءِ الرَّحيلِ

ننى وتغفو فى قبرها المقدورِ
لَمْ ذكّرِ المنصورِ والمدحورِ

تهت الحربُ بانتصارِ المنايا
نصرِ يا رحمتا لتلك الضحايا

جوعٍ ماذا من القتالِ جنينا؟
ولَمَسْنَا أسرارها يَدَيْنَا؟

جاءَ هذا الكونُ الطعينُ الذليلُ؟
وىّ ودفتاً عبرَ الشتاءِ الطويلِ؟

حَرْبُ يا من حملتمونا لظاها؟
تخذُ الكأسَ والمجنونَ إلها

طرَّ حزنًا على شفاهِ جِيعِ
محنةُ الحربِ للضننى والضِّيعِ

كل شيء باق كما كان قبل الـ
غير ظل من الكآبة والحـيـد

حرب غير الأيتام والأموات
مرة يمشى على ضفاف الحياة

هؤلاء الأيتام بالأمس كانوا
تحت ظل الآباء يقضون عيشاً

صورة البشر والمراح الجميل
ما دروا غير صفوه المغسول

وأفاقوا من حلمهم فإذا الآ
يا عيون الأطفال لا تسألي الدنـ

مال حرب والذكريات دُخان
يا فقد مات في القلوب الحنان

في سبيل المجد المزيف هذا الـ
في سبيل النصر المموه عاد الـ

هول لا كان مجدهم لا كانا
عالم الحلو في اللهب دخانا

هؤلاء الصرعى على الشوك والصخـ
كيف كانوا بالأمس؟ أية رؤيا

ر شباباً وصبيةً وكهولا
رسموها فلم تهش طويلاً؟

أيها الأشقياء في الأرض يا من
عَبَثاً تأملون أن يرجع الآ

لم تمسّهم قذائف النيران
ن أعزّأؤكم إلى الأوطان

انظروا ها هم الجنود يعودو
آه لولا بقيّة من حياة

ن فرادى مُهشّمي الأعضاء
لم يُعدّوا في جملة الأحياء

عَبَثًا يَبْحَثُونَ فِي هَذِهِ الْأَنَدِ
عَبَثًا يَسْأَلُونَ مَا يَعْلَمُ الْعَالِمُ

قَاضٍ عَنْ أَهْلِهِمْ وَعَنْ مَأْوَاهُمْ
بِرُّ شَيْئًا فَيَا لِنَارِ أَسَاهُمْ

كَيْفَ ذَاقُوا مَرَارَةَ الْخَيْبَةِ الْمُرَّةِ
أَتَرَاهُمْ نَجَّوْا مِنَ الْمَوْتِ كَيْ يَحْدُ

عِ بَعْدَ الْعَذَابِ وَالْأَوْصَابِ؟
يَبْجُوا بِلَا رَفْقَةٍ وَلَا أَحْبَابِ؟

أَيْنَ تِلْكَ الْبُيُوتُ يُلْمَعُ فِيهَا الضَّرْ
أَيْنَ أَطْفَالُهُمْ وَرَجَعُ أَغَانِيهِ

سَوْءٌ وَالْحَبُّ أَيْنَ مِنْ سَكْنُوهَا؟
هَيْمٌ وَتِلْكَ الْمُنَى الَّتِي صَوَّرُوهَا؟

أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ يَا زُمَرِ الْأَحْدِ
أَنْ أَنْ نَسْتَعِيدَ مَاضِيَّ حَبِّ

يَاءٌ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَصَعِيدِ
هُوَ مِفْتَاحُ حُلْمِنَا الْمَفْقُودِ

مَا الَّذِي بَيْنَنَا مِنَ الْحَقْدِ وَالْبَغْدِ
أَيُّهَا الْأَشْقِيَاءُ نَحْنُ جَمِيعاً

ضَاءٌ؟ مَا كَانَ سِرُّ هَذَا الدَّمَارِ؟
لَعِبَةٌ فِي مَخَالِبِ الْأَقْدَارِ

نَحْنُ نَحْيَا فِي عَالَمٍ لَيْسَ يُذَرَّى
تَطْلَعُ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ فَمَا كُنْ

سِرُّهُ فَهُوَ غَيْبٌ مَجْهُولُ
هُ سَنَاها؟ وَفِيمَ كَانَ الْأَفْوَلُ؟

مَا الَّذِي يُطْلَعُ النُّجُومَ عَلَى الْكُو
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الْفَضَاءُ؟ وَمَا سِرُّ

نِ مَسَاءٍ مَا كُنْتُ هَذَا الْوَجُودِ؟
دَجَاهُ؟ هَلْ خَلْفَهُ مِنْ حُدُودِ؟

يا ضباباً من الجهالة والحيد
كل ما في الوجود يحكمه ما

سرة قد لقبوه بالإنسان
ذا إذن سرُّ ذلك الطغيان؟

فيم نطغى وكيف ننسى قوى الكو
ينخر الدود ما نشيد ولا تب

ن وما في الوجود أضعف منا
حقى البراكين والرياح علينا

فيم نقضى حياتنا في العداوا
كيف ننسى أنا نعيش حياة الـ

ت ونمضى السنين يأساً وحزناً
ورّد سرعان ما يموت ونفنى

لن تدوم الأيام لن تحفظ الدنـ
فلندع هذه الضغائن والأحـ

يا كيّاناً لكائن بشريّ
قباد ولنخيا للوداد النقيّ

البحث عن السعادة

كم بحثنا عن السعادة لكن
أبدأ نسأل الليالي عنها
ما عثرنا بكوخبها المسحور
وهي سر الدنيا ولغز الدهور

طالما حدثوا فؤادي عنها
طالما صوروا لعيني لقيا
في ليالي طفولتي وصبايا
ها وألقوا أنباءها في رؤيا

فهي أنا ربيعة اليسر والثر
ليس تحيا إلا على باب قصر
وة بنت الألوان والأضواء
شيدته أيدي الغنى والرخاء

وهي أنا في الزهد عن متع الدن
ليس تحيا إلا على صخر المغد
يا وعند النساك والرهبان
جد بين الدعاء والإيمان

وهي في شرع بعضهم ملك من يط
ليس تصفو إلا لمن عاش للكأ
للق أهواء قلبه دون قيد
س وللهو بين ثغر وخد

وهي في شرع آخرين لراع
يتغنى مع القطيع إذا شاء
يصرف العمر في سفوح الجبال
ويغفو تحت الشذى والظلال

وهي في شرع غيرهم في حمى العز
ليس تحيا إلا على فم غريـ

لة والفن والجمال الرفيع
د يغنى أو شاعر مطبوع

وسواهم يرى السعادة في الحب
ليس تحيا إلا على شفة العا

وفي أغنيات كل مُحِب
شق لحناً من الوداد العذب

حدثوني عنها كثيراً ولكن
لم أزل أصرف الليالي بحثاً

لم أجدها وقد بحثت طويلاً
وأغنى بها الوجود الجميلاً

مرّ عمرى سدى وما زلت أمشى
لم أجد في الرمال إلا بقايا الشـ

فوق هذى الشواطئ المحزونه
شوك يا للأمنية المغيبونه

أين أصداقك اللوامع يا شط
هاته رحمة بنا هات كنزاً

إذن؟ أين كنزك الموعود؟
هو ما يرتجيه هذا الوجود

هاته حسب رملك البارد القا
يا لحلم نزيد منه اقتراباً

سى خداعاً لنا وحسبك هزءاً
وهو مازال أيها الشط ينأى

طال بحشى يا رب أين ترى ذا
ليس حولى إلا دياجير كون

ك السعيد الجذلان أين تراه؟
مفرق فى نواحيه وأساه

لم أجد فى الرمال إلا بقايا الـ
كل جيل يعيش يحلم حتى

موت من أعصر طوال دفينه
يطفى الموت قلبه وعيونه

عالم ينشد السعادة والأيد
كلما ضج شاكياً أملته

أم تسقيه غصة بعد غصه
مقل عذبة وأيد رخصه

إيه أسطورة السعادة غنيـ
أين القاك؟ أين مسكنك المسـ

نى نشيداً عن أفك المفقود
حور؟ فى المستحيل أم فى الوجود؟

سرت وحدى تحت النجوم عصوراً
أسفاً لم أجدك فى الشاطئ الصخر

أسأل الليل والدياجير عنك
رى حيث المياه تفتأ تبكى

حيث تبقى الأشواك والورد يذوى
حيث يفتنى الضياء والليل يأتى

تحت عين الأيام والأقذار
بوعيد الرياح والأمطار

حيثُ تحيا الأغنامُ جائعةً لا
وغداً في الصباح تنتظرُ السكَّ

عُشبَ لا رىً في المراعى البخيله
بينُ أعناقها العجاف النخيله

حيثُ يحيا الغرابُ والبلبلُ المو
ويغنى اليومُ البليدُ على الدو

هوبُ يَهوى من عُشه المصفور
ح ويشوى القمرى بين الصُخور

حيثُ تبقى الغيومُ مُمطرةً الأهـ
وتظلُّ الرياحُ تصفرُ سُخريـ

مدابٍ رمزاً للمعنا وبُكَانا
تَهها من أهوائنا ومُنانا

أنشودة الرياح

- ١ -

أيهـا السـادرون	ما الذى تَنشُدون؟
ملء هذا المـدى	فى الدجى حـالمون
كم رَسَمْتُم منى	أطفأتها القـرون
وأغـانـيكمـو	كم طواها السـكون

تذرعون الذرى	تقطعون القـفار
تحت سـمع الدجى	وعيون النـهار
تُطعمون الروى	بالدمـوع الغـزار
إن دون المـنى	ألف ألف سـتار

وأما انيكمـو	طيف حب نـفور
أنظنونهمـا	فى زوايا القـصور؟
دونكم فابحثوا	فى حرير السـتور
وأنا للمـدى	كل عـمرى مـرور

بين القصور

سرتُ وحدى بين القصور طويلاً
فإذا بهجةُ القصور ستارُ
أسألُ العابرينَ أين السعيدُ؟
يختفى خلفه الظلامُ المديدُ

إنّ فيها أغانياً ذابلات
وعيوناً مملوءة حيرةً تسدُ
وصلاة حزينه النبرات
تفهم اللغزَ فى ضباب الحياة

شبعوا وارتووا وما شَبِعَت أَرْ
إن جوع النفس المنعمه النشد
واحهم وارتوت وباتوا حيارى
وى إلى حلمها أشد استعاراً

ليس يُنجيهمو الغنى من يد الحزْ
ولهم موتهم ومأساته المغْ
ن وإن طاولوا الذرى بالغرورِ
لمقة السرّ مثل ما للفقيرِ

كم وراء القصور من أغنيات
كم قلوبٍ تودُّ أن تُبدل القصصُ
أخرسناها عواصف المقدورِ
رَ بكوخ على ضفاف الغديرِ

ليس يُنجى الحريرُ من عمق هذا الـ
هل يبيعُ الفضاءُ أسرارهُ بالـ
لغزِ لغزِ المصيرِ لغزِ البدايه
مالٍ هل تُشتري به اللانهاية؟

وعبرنا القُصورَ لم نجدِ المَد
فهي خلوةٌ من المعاني وما فيه

شودٌ في ضوئها ولا في دُجائها
ها سوى المال والحرير إلها

أقفرت من سعادة الروح من مَد
وسرى المَحَلُّ في أزهارها الظَمَد

طَلَّقَ الفكر في مَدَى الأزمانِ
أى إلى اللون والشذى والمعاني

غرقوا في الضياء والعطر لكنْ
وتمرُّ أنهارُ في أرضهم تسد

ليس فيهم قلبٌ يحسُّ الضوء
قى شفاهاً وتتركُ الروحَ ظمأى

تلك إغفاءةُ القصور يموتُ الـ
آه فلنمضِ باحثينَ لعلَّ الـ

حسُّ والشعرُ في حماها الضنينِ
كونَ يُقضى بسرُّه المكنونِ

أنشودة الرياح

- ٢ -

كلُّ عُمَرَى سُرَى	فى الوجودِ الجميلِ
فى الصَّباحِ الندى	والظلامِ الثقيلِ
فوق سَرَوِ الذُرَى	فوق حقلِ النخيلِ
أنا أمضى أنا	كلُّ عُمَرَى رحيلِ

وشهدتُ هنا	ألفَ جيلٍ وجيلِ
ولِدوا وانطَووا	فى التُّرابِ المَهيلِ
ضَحِكوا أو بكوا	فى الضُّحَى والأصيلِ
ما لهم مَهْرَبٌ	من رُقُودٍ طویلِ

وسمعتُ هنا	كلَّ جيلٍ يقولُ:
«فى يدي منبِعٌ	خالِدٌ لا يزولُ»
وأناشيدُهُم	قد طَوَّأها الذبولُ
ومبانيهِم	جَرَفَتْهَا السُّيولُ

أَقْبَلِي أَقْبَلِي
وَابْحَثِي بَيْنَهُم
كُلَّ يَوْمٍ لَنَا
وَأَنَا مَعَنَا

فَتَاةَ النَّشِيدِ
عَنْ فَوَّادِ سَمْعِيذِ
مِنْكَ حُلْمٌ جَدِيدِ
غَيْرِ سَيْرِ أَبِيذِ

وَمَضَى بِحُثْهَها
لَمْ يَزَلْ قَلْبُهَا
الْقَصَصُورُ طَوَتْ
فَانْتَهَى سَيْرُهَا

عَنْ دِيَارِ النِّعَمِ
فِي الْمَرَاقِي يَهْمِ
حُلْمَهَا الْمُسْتَدِيمِ
عَنْ دِيرِ قَسْدِيمِ

فى دنيا الرهبان

سرُّ بنا يا طريقُ نحو حمى الديـ
فلعلَّ الرُّهبانَ قد أدركوا السرَّ

سرِّ فقد نلتقى الرُّضى والأمنـ
المعمى الخافى الذى تتمنى

هؤلاء الزُّهادُ فى القنَّة الخـ
ربما كاشَفَتْهمُ الأنجمُ العـ

سراءِ حيثُ الحياةُ صُمتٌ مديدُ
يا بأسرارها وباحَ الخلودِ

مرحباً يا رهبانُ هل فى حماكم
هل لمستم بريقه وشذاه؟

من حديثٍ عن كنزنا المفقودِ؟
هل نعمتم بظله الممدودِ؟

إن فى أفقكم جلالاً وشِعْراً
وصلاةً لله تقطرُ حَبَّاً

وسكوناً مُطلَسَمَ الأسـ
طهرتها يدُ الدُموعِ الغزارِ

فلمَ الحزنُ والشحوبُ يُطلـ
يلقيانِ الظلالَ فوقَ وجوهِ

نِ لديكم من أعينٍ وشفاهِ؟
صامتاتِ المَرأى خواءِ الجباهِ؟

ووراءَ الأهذابِ أَسْتارُ حزنِ
إن يكنْ دبرُكم عَذاباً وهمـ

وذحول ووحشة لا تنامُ
أيُّها الراهبونَ فيمَ المقامُ؟

لم أجذُ في الصوامع الرثة الحية
إنّ هذا الجَنّاحَ يا ديرُ مقصّو

أثقلته رغائبُ ثرةٍ حرّةٍ
واشتياقُ إلى الطُفولة والحبِّ

أيُّها الراهب الذي يقطعُ العمْدَ
ليس يدري دفءَ المودة في عيب

حدّثوني عنكم فقالوا: قلوبُ
ونفوسٌ صيغت من الضوء والعطْ

وحكّوا لي عنكم فقالوا: ضياءُ
وسُموٌّ إلى الذُرَى الطاهرات الـ

عجباً أين ما سمعتُ؟ هنا شوْ
وهوى قَيّدوه عطشانَ محرو

واسمُ (نايس) لم يَزَلْ في شفاه الـ
رمزَ قلبٍ ممزّقٍ بين صَوْتَيْ

رَى علوّاً ولم أجذُ آفاقاً
صُ فلن يستطيعَ قطُّ انطلاقاً

ي تبقت من أمسه المدفونِ
إلى ضَمّةٍ وصدرِ حنونِ

ر وحيداً في عُرفة منسيّه
نمين في قَرٍّ ليلةٍ شَتّويه

نُسجت من وداعة ونقاء
ر وحامت على شفاه السَّماءِ

وكؤوسٌ من الشدّي روحِيّه
بيض فوق الرغائبِ البشريّه

قٌ ونارٌ وأعينٌ مَفْتُونَة
رأفأين السلامُ؟ أين السكينة؟

ريحٌ يثلى على الوجود اللاهِي
ن: نداء الهوى وصوتِ الله

ما نسينا غَوَايَةَ الرَّاهِبِ الْمَقْدُ
يا له بائساً سما بابنة الإث

تون في حبّها وكيف هدّاها
م إلى قَمّةِ السَّماءِ وتاها

أيّها الديرُ يا جديداً من الحبِّ
يا غريقاً في الضمّتِ والوحشة الصمّة

خسواء من الندى والعنانِ
سء يا مُقْفِرَ الرّؤى والأمانى

حان عن صمتك الكئيب رحيلى
وذراعُ الوجودِ يفرشُ لى درّ

فدروبُ الحياة خضراءُ حيّه
بأ من الخِصْبِ والظلالِ الشرية

وسألقي ربّي هناك بعيداً
وطريقى يمتدُّ حيثُ يدُ الله

عن دياجيك إن ربّى ضياءُ
ه جمالٌ ورحمةٌ وارتواءُ

أنشودة الرياح

-٣-

طال تَجَنُّوا لَهَا	فى الفَجَّاحِ الفِيسَاحُ
فى مُرُورِ الدُّجَى	وانطواءِ الصَّبَبِ
فى تَلَأَشَى النَّدَى	وضياعِ الرِّيحِ
إن أحلامَهَا	ملكتَهَا جَنَاحُ
كَلَمًا ضَيَّعَتْ	فى الدياجى رجاءُ
فَتَّحَتْ قَلْبَهَا	لِلشَّذَى والضَّيَاءِ
إنَّ فى رُوحَهَا	ودمًا نَدَاها نداءُ
لارتقاءِ الذُّرَى	وبُلُوغِ السَّمَاءِ
يا فتاةَ الرُّوى	ما أحبَّ الوَصُولُ
حيث يمضى الأَسَى	والضَّبابُ يزولُ
غَيرَ أَنَّ السُّرَى	فى جَنَدِيبِ طُلُولُ
والمَدَى شاسِعٌ	والديارُ مُحَوَّلُ

مَا وَجَدتِ الْمُنَى
عَالَمٌ مُفْلَقٌ
وَأَطْلَ عَلَي
شَاطِئِ أَخْضَرٌ

فِي حَمَى الرَّهْبَانِ
قَاتِمِ الْجُذْرَانِ
طَرَفِكَ الْحَيَرَانِ
مُبْرِقِ الْفُذْرَانِ

إِنَّهُ شَاطِئٌ
وَأَعْدٌ بِالسَّنَا
وَهَبَطَتْ إِلَى
أَسْفَافِ إِنَّهُ

غَامِضٌ لَا يَبِينُ
كُلَّ قَلْبٍ حَزِينُ
أَرْضِهِ تَبْحَثِينَ
شَاطِئُ الْعَابِثِينَ

فى دنيا الأشرار

عند شطّ الحياة ألقيتُ مَرَسَى
أرقبُ السائرِينَ فى الشاطئِ الصَخْ
زورقِي فى الضبابِ والأوهامِ
سرى بين الوهادِ والآكامِ

أين ألقاك يا سعادة؟ هل من
كلّما قلتُ هذه دارها امتدّ
نبأ عن حماك يَهْدِي الحَيَارَى؟
تُ قفاراً لاتتَهِى وصَحَارَى

فى ديار الأشرارِ نحنُ نزلنا
ربّما كان فى جداولها الفظّ
بين أشواكها وحزّ حصاها
ة كَأْسٌ يَرَوى المُنَى والشِفَاها

ونزلنا فى أرضها ورحلنا
لم يَزَلْ طعمُ مائها المرّ يحيا
عن دُجّاها وحرّها مُسرّعينا
فى رؤانا يَفِيضُ ملحاً وطينا

الطُغْياءُ الملوّثو الروحِ فيها
فَقَدُوا الحبَّ والسَّلامَ وناموا
لم نَجِدْ فى عيونهم من نورِ
فوق شوكٍ من العذابِ المريرِ

فإذا أسكنوا تَظَلَّمْ مَظَلُّو
ذلكَ الراقبُ الإلهى فى النَفْ
مِ فهل يُسَكِّتون صوتَ الضميرِ؟
سِ لسانُ الهدى وصوتُ الشُعُورِ

لم يَزَلْ سَاهراً يُراقِبُ في صَمَدٍ
أبدًا يرقُبُ الحَيَاةَ وفي عِيَدٍ

فإذا حادت القلوبُ عن الخِيَدِ
إنَّهُ الناقمُ النَّبِيلُ على الشرِّ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرُّو
لا ملاذٌ من حاكم يملكُ الرو

ولصوصٌ في هذه الدار عاشوا
يسرقون الجَمالَ والحبَّ والخُبْ

وأكفٌ تمتدُّ تسرقُ قرطاً
وأكفٌ لا ترتوى دون أن تَسُدَّ

ونفوسٌ وضيعةٌ تسلبُ العا
ونفوسٌ أخطُ تؤمنُ بالعَفْ

ت خطاهم فليسَ منه هروبُ
خِيَه سرُّعاتٍ ومعنى رهيبُ

رِعلاً صوتُ ذلكَ الجَبَّارِ
وقاضى الطُغْياةَ والأشْرارِ

ح وسوطُ الضميرِ بالمرْصادِ
ح بما في كَفِّهِ من أَصْفادِ

يسرقون الحَيَاةَ والأشْيَاءَ
زَ جميعاً ويسرقون الضيَاءَ

وسواراً وخائماً لماعاً
سرقَ خدّاً ومعصماً وذراعاً

بر حُلماً أو رغبةً أو قلباً
ة والعِدْلُ ثم تسرقُ شَعْباً

هل يعيشُ الضياءُ في هذه الجُدُ
في عيونِ مزيقاتِ تُغذِّي

رانِ حيثُ الأقباءُ حيثُ الزَوَايا
هنا رِغَابٌ دنيئةٌ ونوايا

عالمٌ مُقفر من الحُبِّ والدَّفءِ
نُزِعَتْ من فضائه لَمَسَةُ اللدِّ

تعيشُ النفوسُ فيه خواءَ
به فابقتُ أذلةً أشقياءَ

يا نشيدَ الرياحِ خذنا مع اللَحْ
كلَّما لامستهُ أقدامنا افترَّ

منِ إلى عالمِ أرقٍّ وأغلى
وفاضتُ أنداءُه واخضلاً

أنشودة الرياح

-٤-

انْبَسَطْ يَا مَدَى
إِنْ أَقْدَامُهَا
كَلَّمَا صَعَّدَتْ
قَابَلَتْهَا ذَرَى
وَاخْتَفَى يَا حَتْدُوذُ
شَرَدْتَ فِي الْوَجُودِ
فِي الذُّرَى وَالنَّجْوُودُ
وَمَضَتْ فِي صَعُودِ

إِنْهَا رَحْلَةُ
بَحَثْتُ عَنْ دُنَى
كَلَّمَا أَبْصُرْتَ
جَدَدَتْ عَزْمَهَا
فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ
تَحْدَى الْمَمَاتِ
رَمَّةً فِي فَلَاةِ
بَنْدَى الْأَغْنِيَاتِ

يَا فَتَاةَ الرُّوَى
خَاطَبْتُكَ الدُّنَى
«أَنْصِتِي تَسْمَعِي
وَانْظُرِي تُبْصِرِي
وَالْفَتَاةُ الرُّهَيْفُ
فِي الظَّلَامِ الْكَثِيفُ
فِي السَّكُونِ حَفِيفُ
أَنْ جَذْبِي وَرَيْفُ»

لَكَ قَلْبٌ غُفَا
لَكَ رُوحٌ ثَوِي
لَا يُحَسُّ النَّدَى
فَاهْبُطِي وَابْحَثِي

عَنْ مَعَانِي الذُّرَى
فِي ضَبَابِ الْكُرَى
فِي جَفَافِ الشَّرَى
عِنْدَ أَهْلِ الْقُرَى

رَبِّمَا حَرَّرُوا
أَغْمَضْتُ لَا تَرَى
رَبِّمَا خَفَّفُوا
إِنَّ دُنْيَاهُمْ

مُقْلَةٌ رَاسِفَةٌ
رُوعَةُ الْعَاصِفَةِ
حُرْقَةٌ لَاهِفَةٌ
جَنَّةٌ وَارِفَةٌ

فى الريف

ما تقول الرياح؟ هذى هى الجبّة
أترى حان أن تراك عيونى
هذه؟ ظلالها الممدودة؟
يا ضفاف السعادة المققودة؟

بعد طول السرى وتيهى فى الآ
بعد بحثى عن التى غلّفت أسد
فاق، والدرب ظلمة وزوال
رارها لم تبّح بهها الأزال

أنا من قد حملت قلبى على كفّ
أسأل العابرين عمّن رآها
سى وسرت الوجود أبحت عنها
وروى قلبه المشوق منها

أتراها هنا؟ أتلک إذن أسد
أترانا إذن وصلنا أخيرا
وارها تملأ المشاعر أمنا؟
ذلك الشاطئ الذى نتمنى؟

إنه الريف فالحياء ربيع
والمراعى النشوى تراقصها الريد
خضيل العطر بارد الأنداء
ح وتغفو على حدود الضياء

والصباح الوضىء قد ذوب الأل
والفراشات يرتشفن ويشمّلن
وان والعطر فى كؤوس الورود
ن من الوهج والرحيق البرود

وفروعُ النخيلِ مَدَّتْ على مجدٍ
سكبتُ عطرَها وخدَّرتِ المرز

وذراعُ الضياءِ تحتَظنُ الأشـ
وورودُ بيضٍ تَنَامُ على يند

كلُّ شَيْءٍ في هذه الجنة العَـذْـ
إنَّ ما في قلوبنا من هوى عَطـ

أنَّ هذى ديارُها، هي جنـ
هي ذاك اللغزُ المحيرُ شوقُ الـ

فلنَقمُها هنا عريشَ أمانـ
ولنَذُقْ حكمةَ النخيلِ ونقبسُ

لنعشُها هنا تعلِّمنا الأشـ
والمروجُ الغنَّاءُ تكشفُ للرو

وغناءُ الرُعَـاةِ تنقلُ الرِّـ
ونشيدُ تديره شَفَتا طفـ

رى السواقي ظلالها السَّـمراءَ
جَ وفاضتُ خصوبةَ ونماءَ

جَارَ والواديَ التضييرَ الثريـ
جوعِ ماءِ يسيلُ شهداً نقيـ

بةِ يوحى بأننا قد وصلنا
شأنَ قد نال حلمه أَلْتَمَنِي

ةَ حلمي الخافي وسرَّ رحيلي
أَمْسِ واليوم والغد المجهولِ

نا من الورد والشذى الروحي
بعضَ أسرارِ صبره الأبدى

جَارُ سرِّ الدنيا وموسيقاها
حِ معاني اخضرارِها وشذاها

حُ بعيداً إلى قناتِ الجبالِ
لِ يغنى على تلالِ الرِّمالِ

إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَجَالِي كَوْوَساً
إِنَّ فِيهَا نَبْعاً يَفِيءُ إِلَيْهِ الـ

هِيَ رِيُّ الْمُنَى وَرِيُّ الشَّفَاهِ
مُتَعَبُونَ الْعَطَاشُ بَعْدَ الْمَتَاهِ

وَهَنَا تَمْنَحُ الطَّبِيعَةُ دَفْئاً
وَيَدَاهَا تَمَسُّ فِي رَوْحِنَا جُرُ

وَسَكُوناً عَذْباً وَيَنْبُوعَ ضَوْءٍ
حَ الرَّدَى وَالذَّبُولِ وَاللَّاشِيءِ

إِنَّ هَذَا الْجَمَالَ أَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ
هَلْ خَلَّتْ هَذِهِ الْمَجَالِي مِنَ الْأَغْدِ

تِ فِيهِ عُمُقٌ وَفِيهِ خُلُودٌ
نَامَ يَوْمًا؟ وَهَلْ تَلَاشَى النُّشِيدُ؟

وَزَهْرٌ تَذْوِي وَتَوْلَدُ آلا
تَمْنَحُ الْعِطْرَ وَالْجَمَالَ غِذَاءً

فُ سَوَاهَا سَحَرِيَّةُ الْأَلْوَانِ
لِلنَّسِيمِ الْمَعْطَرِ النَّعْسَانِ

وَطَيُورٌ تَسْقِي الْوُجُودَ كَوْوَساً
لَا صَدَاهَا يَمُوتُ، لَا نَبْعُهَا يَنْدُ

مِنْ أَنْشِيدِهَا الْعَذَابِ النَّقِيَّةِ
ضَبُّ فِي مَسْمَعِ الرَّوَابِي الشَّدِيَّةِ

وَمَجِئُ الْمَسَاءِ - عِنْدَ نَضُوبِ الـ
أَوَّلَا يَنْشُرُ النُّجُومَ الْكَحِيلَا

ضَوْءٍ فِي حَافَةِ الْفَضَاءِ الْبَعِيدِ
تِ عَلَى جِبْهَةِ الْمَسَاءِ الْوَلِيدِ؟

هَاهُنَا يَوْلَدُ الْخُلُودُ كَمَا يُولَدُ
مِثْلَمَا يَنْبُتُ الضِّيَاءُ أَثِيرِ

لَدُ قَطْرِ النَّدَى وَعِطْرِ الرِّيَّاحِ
أَ ظُهُورَ الْأَهْدَابِ كُلِّ صَبَاحِ

ويموتُ الفناء، يضحكُ من فك
ونجومُ المساءِ تُبصرُ في الآ

إنَّه الرِّيفُ من ثَرَاهُ العَبيريِّ
موطنُ الحبِّ والأغاني وأرضُ

سرتُ فيه فجراً وسرتُ مساءً
وارتوتُ من شَدَى النخيل وعِطر الـ

سرتُ فيه وحدي، سعادةُ قلبي
إن هذا الفردوسَ يَنْقُضُهُ إلاذ

تلك أكوأخهم حصيرُ وأحجا
تخجلُ الشمسُ أن تمرَّ عليها

غُرَفُ رثَّةُ المداخل وألجذ
في دجاها يعيشُ قومُ جِياعُ

ويغنى القُمرى تجرى السواقي
ويراق الجمالُ في الفجر أكوأ

سرتَه الظلُّ والنَّدى والوردُ
فأق ما لا يرى وما لا يُحدُّ

المندى تُسْتَنْبِتُ الأشعمارُ
غلَّفتُ رملها الندى أسرارُ

وعرَفتُ الظهيرةَ العنبريةَ
قمحِ رُوحِ الطليقةِ الفَجْريه

غمرتني وحدي، وغنيتُ وحدي
سانُ: يُصْحى ضياءه ويندى

رُوبؤسُ مَخيم لا يزاحُ
ويَحِيدُ الضُّحى ويكبو الصَّبَاحُ

رانِ سودُ تجولُ فيها الرِّياحُ
نَضَّبتُ في أيديهم الأقداحُ

ويلاقى الضياءُ تلةَ زنبقُ
بأ ولا قلب في القُرى يتذوقُ

شَغَلَتْهُمْ أَحْزَانُهُمْ عَنْ مَعَانِيهِ
عَنْ مِذَاقِ الْجَمَالِ فِي وَرْدَةِ خَبَرِ

كَيْفَ يَرْقَى الْجِياعُ فِي عَالَمِ الرُّو
يَعْصِرُونَ الصَّخُورَ بَحْثًا وَلَا قُطْ

يَحْرِثُونَ الْمِيَاهَ، يَسْتَنْبِتُونَ الدَّ
يَا ضِياعَ الْإِنْسَانِ يَخْدَعُهُ التَّيْبُ

هَوْلَاءَ الْجِياعُ فِي عُرْزَةِ الْحَرِّ
لَفَّ أَرْوَاحَهُمْ حِجَابٌ كَثِيفٌ

خَلْفَ بَابِ الْكُوخِ الْكُثِيبَةِ قَمَرُ
لَا هُمْ يَسْمَعُونَهُ لَا وَلَا الْقُمْ

لَيْسَ يَدْرِي الْقَمَرُ مَا يَفْعَلُ الْجَوُ
حِينَما تَغْمُرُ الثَّلُوجُ تُرَى الْمَرُ

حِينَما يَجْمَدُ الْقَطِيعُ مِنَ الْبَرِّ
حِينَما تُذْبِلُ الْعَوَاصِفُ زَهْرَ الدَّ

ظِلٌّ وَالضُّمُوءُ وَالنَّدَى الْأَلَقُ
لَمَّى عَلَى شَطِّ جَدُولِ رَقَرِاقِ

حِوَاهِمُ فِي حِبَالَةِ الْجِسْمِ أُسْرَى
رَمَّةُ مَاءٍ تَبِلُ وَالرُّوحُ حَرَّى

نَارَ وَالْمَوْتَ يَعْزِلُونَ الرِّيَّاحَا
هُ وَيَسْرِي وَلَا يُلَاقِي صَبَاحَا

مَنْ تَمْتَدُّ حَوْلَهُمْ أَسْوَارُ
وَانْطَوَتْ فِي عَيُونِهِمْ أَسْرَارُ

يُغْنِي الْخِطَابُ عَنْهُ وَمُنَاهُ
يَرَى يَدْرِي ذَهُولُهُمْ عَنْ غِنَاهُ

عُ بَأَهْلِ الْأَكْوَاحِ كُلِّ شَتَاءِ
جُ وَتَطْوِيهِ عَنْ عَيُونِ الضِّيَاءِ

دَعَى الْمَرْجُ فِي شَتَاءِ حَزِينِ
لُوزٍ وَالْبَرْتَقَالِ وَالْيَاسْمِينِ

حينما تدفنُ الثلوجُ حقولَ الـ
وجياع في ظلمة الكوخ لم تدُ

قمح والرزّ تحت سوط الرياح
ربأحزانهم عيونُ الصبحِ

ليس يدرى القمرىُّ لا ليس يدرى
يا دياراً سكّانها الجوع والحمّ

ما وراء الأكواخ من حرمانٍ
فى خواءٍ من الندى والحنانِ

أيها الصادحُ المغنى على قمـ
دع أساهُ يا طيرُلى، لمسيرى

ة هذا الدوح الندى البليل
فى لياليه، إنّ قلبى دليلى

ضاع فى هذه القرى حلمى المضـ
عطش اللحنُ فى شفاهى إلى الرىّ

فبور بالضوء والندى والبرودة
إلى جنة الرؤى المفقودة

حملتنى الأوهامُ أوهامى العطـ
سقط الريشُ عن جناح خيالى

شى بعيداً ولم أجد لى ارتواء
وفقدتُ الرؤى فقدتُ الضياءَ

يا سفينى ارحلى، دعى شاطئ القرـ
وغصونُ الصفصاف عارية السـ

ية إنّ المرسى ضنين بعبيدُ
قنّ والليلُ فى الحقول أبيضُ

أقلعى أقلعى بنا قد سئمنا
قد رأينا الدموع فى كل جفنٍ

صرخات الجياع فى كل شغبٍ
ولسنا العويل فى كل قلب

ووداعاً يا زيفُ جئناك مملو
إنّ في الأفق لمحسةً من ديارٍ

ثمين رؤيا فلم تَطُلْ رؤيانا
هي أحنى على جراح مُنانا

أنشودة الرياح

-٥-

حُلُمٌ وانطوى	فى الفضضاء المديدُ
كَلَمًا أخفقتُ	فى رجاء فريد
شَيِّدتُ فى الذُرَى	حُلَمَها من جديدُ
لا تبـالى اللظى	لا تبـالى الجليدُ
خَيَّبَتْها البُقَرَى	ودجـاها الحـزِينُ
إِنَّ فى أرضـها	بشَراً جـائعين
لم تجـد عندهم	غـير دمع سخـينُ
ومَضَّتْ فى السُّرى	لا تنى لا تـلين
ثم أرسـت هـنا	عند أهل اللـحـونُ
شـعراءُ مَشَّـوا	فى ظلال الغـصـون
علَّ فى نـايـهم	بعضَ لـحـنٍ حـنونُ
ليس فـيـه أسى	ليس فـيـه مَنُونُ

حــدقــى هـا هـنـا
إنّ فى كـونهم
انظرى تلمسى
نشوة غلفت

يا فتاة القصيدة
رجعَ لحنِ سعيد
فى الظلام المديد
قلبَ هذا النشيد

فى عالم الشعراء

إنه شاطئ القصائد والأل
فى حناياه كلُّ ذرّة رملٍ
حان يمتدّ غامضَ الكُثبانِ
رِيشةً وانبثاقاً وأغانٍ

علّنا واجدون فيه الرحيقَ الـ
نحن سرنا مرّنين من الجهدِ
مُشْتَهَى علّ فى ثناياه نجما
بدِ وكان المسيرُ صُلداً أصمّا

فى ضباب الآفاق نسأل ماذا؟
عبثاً نلمس المدى فالمدى مُسـ
أسرّابٌ ما حولنا أم تلالُ
تغلقُ السرّ مبهم لا يُنالُ

وتجلى الدجى ولاح لنا فجـ
مرهفُ الضوء لأمست شفتاه الـ
رُطرى لذنّ النسيم بليـ
مرجَ فاستيقظت قُرى وسهولُ

إنها رِيشة الحياة وميـ
إنها العالم الذى ظلّ الشـ
دُ الأغاني المغرورقات الشجـ
عرّ حتى الصخورُ فيه نديـ

عالم كله انفعالٌ وحسٌ
واحتشادُ الشعور بحرّ سحيقٌ
شاسع الغور لا يمسُّ مداهُ
غاصّ فى لا نهاية شاطئاه

عالم الشاعر الثرى الرؤى العذ
كل نبض فى قلبه لحن حب

عالم صيغ من شعور رهيف
والأغبار يد منيع لأساه

تلك مأساته بيت الليالى
كلما أن فى الدياجير مظلوا

أبدأ يرقب المدى ويناجى الـ
فى حياة يرى الخلى ضحاها

يرقب الأشقياء أناتهم تج
دمعة فى جفونيه وصلاة

يسهر الليل يقبع الحارس المك
وقع أقدامه على شاطئ الصم

أطفئ الضوء أيها الشاعر المت
كاد يخبو ضوء السراج وتأتى

ب الأغانى المرقق الألوان
للمدى للوجود للإنسان

وأحاسيس طلقة لا تنام
فهى فى صمت روحه آلام

ساهد اللحن راثياً للحيارى
م بكى الشاعر الرهيف وثارا

ليل روحاً وجبهة وشفاهها
ويعيش الفنان تحت دجاها

مرح إحساسه تعز عليه
من حنان تذوب فى شفتيه

لدود فى خطوه الرتيب الكليل
ت أسى الشاعر الحنون النبيل

عب وارحم فؤادك الموجوعا
ظلمات الدجى عليه جميعا

أنا قد جئتُ كَوْنَكَ العابق الضو
علَّ في كَأْسِكَ الرحيقية الول

قلتُ، دنياءُ فرحه وضياءُ
وصلاةُ سحريةُ الرجوع يتثال

إنه الشاعر الطليق الذي يغد
إنه دفقة القصائد والأند

فلماذا أراه كالطيف ذبلا
مقلته مأوى الكآبة في أه

إنه كالضياء في طهره يط
أولا تذبل الورود إذا ما

قلبه للجسمال كرس نجوا
لا يطيق الأذى ويحلم بالكو

هو والخير يبقيان صديق
وهو الحبُّ لحنه الأبدى الط

تبي بحثاً عن حلمي المفقود
هبي شعاعاً من الضياء البرود

وعطاءُ خصب وروح ولون
لُ عليها عطر وضوء لذن

زل همس الرياح لحناً ثرياً
غمام ما زال روحه ضوئياً

ن طوته انطفاءً وسكون
مدابها يكمن الضياء الحزين

فئته الشر والمعاني الدنيئة
لامستها يد الجفاف البطيئة

ه وللون والشدى والنقاء
ن طهوراً مضاء الأنداء

من محبين ليس يفترقان
سلق يندى من رقعة وحنان

سَلَّتِ الْأَرْضُ ذَابَ رَوْحاً وَقَلْباً
لَتَ عَلَي رَوْحِهِ الْكَآبَةُ سُحْباً

فَإِذَا مَا رَأَى الشَّرُورَ وَقَدْ كَبِ
وَذَوَى حُلْمُهُ الْإِلَهِيَّ وَانْثَا

نَ يُذِيعُ الشَّنْذَى ظِلَالاً نَدِيَه
فِي مَنَاهِ أُسْطُورَةُ الْأَبْدِيَه

وَيَرَى الزَّهَرَ ذَابِلًا بَعْدَ أَنْ كَا
فَيَرَى قِصَّةَ الذَّبُولِ وَتَذَوَى

(١٩٦٥)

عاشقة الليل
الطبعة الأولى ١٩٤٧

«أعْبُرْ عَمَّا تَحْسُ حَيَاتِي
وَأَرْسِمِ إِحْسَاسَ رُوحِي الْغَرِيبِ
فَأَبْكِي إِذَا صَدَمْتَنِي السَّنِينِ
بِخَنْجَرِهَا الْأَبْدِي الرَّهِيبِ
وَأَضْحَكِ مِمَّا قَضَاهُ الزَّمَانُ
عَلَى الْهَيْكَلِ الْآدَمِيِّ الْعَجِيبِ
وَأَغْضِبِ حِينَ يَدَاسُ الشَّعُورِ
وَيُسْخِرُ مِنْ فُورَانِ الْلَهْيِيبِ

نازك

ذكريات محوّة

وجهك أخفاه ضبابُ السنينُ
وضمّته الماضي إلى صدره
ألقي عليه من شبّابي الحزين
أحزان قلب تاه في دُغره

وصوتك الخافي خبأ عنه
وأوحشت سَمْعِي أصداؤه
فلست أدري الآن ما لونه،
ما رجعه الصافي، وإيحاؤه

ولون عينيكَ، وأسرارها،
وشغرك الداجي، وأمواجُه
غابت جميعاً، أين تذكّارها
في ليلٍ قلب طال إدلاجُه؟

كم، فى سكونِ الليلِ، تحتَ الظلامِ
رَجَعْتُ لِلْمَاضِي وَأَيَّامِهِ
أَبْحَثُ عَنْ حَبِيبِي بَيْنَ الرُّكَّامِ
فَلَمْ تَصِدْنِي غَيْرُ آلامِهِ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ حَزْنِي الْمَرِيرِ
بَقِيَّةً مِنْ حَبِيبِي الذَّاهِبِ
وَذَكْرِيَّاتٍ مِنْ صَبَابِ الْغَرِيرِ
سَاخِرَةً مِنْ وَجْهِ الشَّاحِبِ

وَأَصْبَحْتَ ذَكَرَاكَ وَهَمًا يَلُوحُ
يَشْتَاقُهُ قَلْبِي الْكَثِيبُ الْغَرِيرُ
يَا جَسَدًا، كَالْقَبْرِ، مَا فِيهِ رُوحُ
سَمِّيَنَّهُ قَلْبًا، فَيَا لِلْغُرُورِ!

وَأَيُّ قَلْبٍ جَسَامِدٌ بَارِدُ
أَيُّ حَيَاةٍ تَحْتَ ظِلِّ الْخُمُودِ
لَوْلَا صُورَاخُ الزَّمَنِ الْحَاقِدِ
لَضِيقْتُ بِالْعِيشِ وَعِثْتُ الْوَجُودَ

لَمْ يَعُدِ الْحُبُّ أَسَىً مُخْشِرًا
يُشْنَعِلُ أَيَّامِي بِأَحْزَانِهِ
وَلَمْ يَعُدْ جَفَنِي مُفْزِعًا
يَخْرِقُ بِهِ الدَّمْعُ بَنِيَانَهُ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا ثَوْرَةٌ وَاحِدَةٌ قَارُ
مَلَأَ حَيَاتِي الْمُرَّةَ الْحَالِمَةَ
النَّارُ ذَابَتْ وَتَبَقَّى الشَّرَارُ
تَشْرِبُهُ أَحْلَامِي الْوَاهِمَةُ

وَطَيْفُكَ الْخَابِي هَوَى نَجْمُهُ
وَغَابَ فِي الْمَاضِي الرَّهِيْبُ الْأَبِيدُ
وَوَجْهُكَ الْقَاسِي ذَوَى رَسْمِهِ
فِي مُقْلَتِي فَهُوَ خِيَالُ بَعِيدُ

مَضَى زَمَانٌ كُنْتُ فِيهِ الَّتِي
تَفْتِنُهَا أَنْغَامُكَ الصَّافِيَةُ
وَرُوحُ أَشْمَعَارِكَ فِي وَخْدَتِي
وَحَسْبِي الْإِلَهِيُّ وَأَشْمَعَارِيهِ

مَضَى وَأَبْقَى لِي فِرْءَاداً يَرَى
فِيكَ جِمْءَاداً مِنْ تَرَابٍ وَطِينٍ
أَسْكَنْتُهُ يَوْمَماً أَعَالَى الذُّرَى
وَأَرْجَعْتُهُ لِلْحَضِيضِ السَّنِينِ

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ الْآنَ شَيْءٌ جَمِيلٌ
غَيْرَ اسْمِكَ الْعَذْبِ وَأَصْدَائِهِ
ذَكَرَى لِقَلْبٍ كَانَ يَوْمَماً نَبِيلٌ
فَبَبَاتٍ فِي حَمْمَةِ أَهْوَائِهِ

مَلَامَحُ الْهَيْكَلِ عِنْدِي أَمَحَتْ
الْوَجْهَ، وَالْبَسْمَةَ، وَالْمُقْلَتَانِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمٌ، وَرُوحٌ خَسُوتٌ
وَذَكَرِيَّاتٌ قَدْ مَحَاها الزَّمَانُ

مَدَدْتُ كَفِّي إِلَى جِسْوَهَا
بَاحْثَةً عَنْ سَخَرِهَا السَّابِقِ
فَلَمْ أَجِدْ ثُمَّ سَوَى شِلْوَهَا
يَسْخَرُ مِنْ مَدْمَعِي الدَّافِقِ

وعساد قلبي للأسى والعذابُ
مستوحشاً حتى من الذكرياتُ
من يُرجعُ الماضي إذا ما الضبابُ
ألقى دُجاءُ فوقَ ليلِ الحياة؟

وما مَحَاهُ الزَّمنُ القَّادرُ
أى يد تكتُبه من جديد؟
فليمِ إذن يلتفتُ الشاعرُ
إلى دُجى الماضي الرهيبِ الأبيد؟

١٩٤٦-٨-٢٠

ذكرى مولدى

مهداة إلى «كاملة» صديقة طفولتى التى
لم أعد أعرف عنها إلا اسمها.

هـ حيارى فى موكب الأيام
وحولى جنازة الأحلام
ضى وقلبي ما عاد غير حطام
وح فى غيبوب الوجود الدامى

رى وما أروع الرجاء الفقيدا
كل يوم يبنى رجاء جديدا
من يعيش الحياة جذلاً سعيدا
تناض عنه حجارة أو حديدا

بة نفسى أى التقاء مرير
نى ويخى ذكرى صباى الغرير
وعلى فيك آهة من زفيرى
وتجاهلت نشوتى وحُبورى

جئت يا ذكرياتُ شاحبة الوجـ
جئتنى والشبابُ باك بعينى
رغباتى دفتُها فى ثرى الما
ودموعى رمزُ لما لقيته الر

جئت يا ذكرياتُ ما أظع الذكـ
ليت قلبى قد كان صخرأ أصمأ
ليته كان جامد الحس كالطيب
ليته لم يكن ويا ليتنى أعد

والتقينا مع الصباح فيا خيـ
وجهك الشاحب المروع يُكيـ
وبعسينك قطرة من دموعى
أسفاً قد حفظت أحزان قلبى

شَهِدَ الْفَجْرُ كَيْفَ يَا ذَكَرَاتِي
عَانَقْتَنِي أَشْبَاكَ الْبَاكِيَاتِ الـ
وَوَقَفْنَا تَحْتَ الصَّبِيحِ ثَمَائِدِ
وَانْحَنَتْ فَوْقَنَا الشُّجَيْرَاتُ حَزْناً

أَسْفَا ضَاعَتِ الطَّفُولَةُ فِي الْمَا
وَهِيَ لَوْ تَعْلَمِينَ أَجْمَلُ مَا يَمِ
حِينَمَا كُنْتُ طِفْلاً أَجْهَلُ السَّرِّ
كَالْعَصَافِيرِ أَمَلًا الدَّارَ لِهَوَاً

مَاتَ أَمْسَى الضَّحُوكُ وَاعْتَضَتْ عَنْهُ
وَحَبَّتْ ذَكَرِيَّاتُهُ الْبَيْضُ فِي بَحْ
أَيْنَ تِلْكَ الْوُجُوهُ؟ كَيْفَ نَسِيتُ الْآ
كُلُّ وَجْهِ عَفَاهُ مَرُّ اللَّيَالِي

أَعْبُرُ الْعُمُرَ كُلَّهُ نَحْوَ أَمْسَى
مَجْلِسِي فَوْقَ تَلَى الْحُلُوِّ وَحْدِي
وَمَعِيَ الطِّفْلَةُ الصَّدِيقَةُ نَبْنِي
عُمُرُنَا قِصَّةٌ وَلَحْنٌ نَغْنَبُ

كَانَ هَذَا اللَّقَاءُ أَشْجَى لِقَاءِ
خُرْسٍ بِالْيَأْسِ وَالشَّجَا وَالْبَكَاءِ
لَحَى حَيَارَى كَأَنْفَسِ الشُّعْرَاءِ
تَسْبَاكِي بِأَدْمَعِ خُرْسَاءِ

ضَيَّ وَغَابَتْ أَفْرَاحُهَا عَنْ جَفُونِي
مَلَكَ قَلْبِي وَمَا رَأَتْهُ عَيْنُونِي
وَأَحْيَا فِي غَفْلَةٍ مِنْ شَجُونِي
وَعَنَاءٍ وَأَسْتَحَبُّ جُنُونِي

بِشَبَابٍ مُرٍّ وَدَمْعٍ وَيَأْسٍ
رِ شَعُورِي وَلَيْلِ قَلْبِي وَنَفْسِي
نَ؟ مَنْ ذَا يُعِيدُنِي فَجْرَ أَمْسَى؟
فَهُوَ طَيْفٌ وَرَاءَ وَعْيِي وَحَسِّي

وَيَعُودُ الشُّعُورُ بِي لِلتَّلَالِ
أَوْ شُرُودِي بَيْنَ الشَّدَى وَالظَّلَالِ
فَوْقَ وَجْهِ الرَّمَالِ عَرْشَ الْخِيَالِ
بِهِ وَقَلْبَانِ فِي نَقَاءِ الرَّمَالِ

أين أصبحت يا رفيقة أمسى؟
أترى تذكرين مثلي أيا
أم ترى قد نسيتي ونسيت الأ
أبدأ لست لست أنسى وإن كنـ

أترى أبصرت عيونك في الأر
أرأيت الأحزان في كل قلب
أسمعت الصراخ يرسله الأحـ
حدثيني صديقة أمس هاتي

ربما كنت يا رفيقة مثلي
الرفيقات غبن عنك وآذ
فكتمت الشعور في قلبك الصا
وقضيت الحياة في الوحدة الخـ

أنصتي من مكانك الغامض المجـ
أو تدريين ما الذي صنعته
إنه يوم مولدي، يوم أحزا
حينما أوقفت سفيتي الأقد

ما الذي قد شهدت فوق الوجود؟
م صباننا وحلمنا المفقودا؟
مس في فرحة الشباب الرغيد؟
ت تهاويت في الزمان البعيد

ض كما أبصرت عيوني شقاها؟
ورأيت النفوس في بلواها؟
بلاء والأرض أغرقتها دماها؟
عن لياليك بشرها وأساها

زورقا في البحار عاد حطاما
رن عليك الشرور والآثاما
في وصنت الأحزان والآلاما
ساء تستلهمينها الأحلاما؟

هول أصغى الى نشيدي الصافي
سنوات العمر الرهيب الحافي؟
نى وذكرى الرؤى عند الضفاف
مدار بين الأمواج، تحت السوافي

إنَّه يَوْمُ مَوْلَدِي أَيْنَ أَفْرَا
كَيْفَ مَرَّ الْعَامُ الْحَزِينُ بِقَلْبِي الْـ
كَيْفَ مَرَّتْ هَذِي السَّنِينُ وَلَمْ أَذْ
لَمْ أَتْلُ مِنْ ظِلَامِهِ الْمَرَّ إِلَّا

حُ شَبَابِي أَعِيدُهَا لِلْسَّنِينَا
جَهَنَّمُ؟ أَيْنَ الثَّلَاثُ وَالْعَشْرُونَ؟
ر؟ وَمَالِي ذَوَّبْتُ عَمْرِي أَنِينَا؟
أَمَلًا ذَاهِبًا وَرُوحًا حَزِينًا

إنَّه يَوْمُ مَوْلَدِي وَلَقَدْ مَرَّ
عَشْتُهُ فِي قِصَائِدِي وَدُمُوعِي
لَا فَوَادٍ مَعِي يُشَارِكُنِي حُزْ
لَا رَفِيقٌ فِي غُرْبَتِي وَوَجُومِي

بِعُمْرِي الدَّاجِي كَظَلَّ شَقِيٌّ
بَيْنَ جُذُرَانِ مَعْبِدِي الشَّاعِرِي
نِي وَيَكِي عَلَى شَبَابِي الدَّجِي
غَيْرَ قَلْبِي الشَّجِي وَدَمْعِي النَّقِي

١٩٤٦-٨-٢٣

الحياة المحترقة

« كتبت الشاعرة هذه القصيدة عندما

ألفت بمذكراتها إلى النار ».

هذه يا نارُ أفراحي وشوقي وشجونى
جئتُ ألقِيها إلى فكِّك فى فجرِ الحزينِ
كلُّ ما مرَّ بقلبي من شقاء وحنين
إلْقفيه الآن لا تبقي ولا تستمهليني

هذه الأسطرُ قد ضمتُ بقايا سنواتي
منذُ أن أَلقتُ بى الأقدارُ فى تيه الحياةِ
طفلةُ ترنو الى الشاطئِ عبْرَ النظراتِ
وترى العالمَ بحرًا مُغرقًا فى الظُّلماتِ

سنّواتي كلُّها يا نارُ فى هذى السُّطورِ
أغاريدى، وأشواقُ حياتي، وحُبوري
وبقايا من حنيني، وشظايا من شعوري
وأبديدُ من الأحلامِ والحُزنِ المريرِ

إنَّهَا أَيْتُهَا النَّارُ، أَزَاهِيرُ شَبَابِي
صُغْتُهَا ذِكْرِي لِأَحْزَانِي، وَرَمَزْتُ لِعَذَابِي
وَمَحَا أَسْطَرَّهَا دَمْعِي وَأَبْلَاهَا اكْتِنَابِي
خُذِيهَا، وَأَعْيِدِيهَا رُكَّاماً مِنْ تُرَابِ

أَحْرِقِيهَا، لَمْ أَعُدْ أَعْبَاءً، لَنْ أَبْكِي شَذَاهَا
إِنَّهَا، يَا نَارُ، ذِكْرِي لِلَّيَالِ لَنْ أَرَاهَا
دَفَنْ الْمَاضِي خَفَايَاهَا الْحَوَالِي وَمَحَاهَا
وَطَوْتَهَا لُجَّةُ النِّسيَانِ فِي عُمُقِ دُجَاهَا

ذَهَبَتْ تِلْكَ اللَّيَالِي وَطَوَى الذَّهْرُ صَبَابِي
أَيُّ نَفْعٍ بَعْدُ يَا نَارُ لِدَمْعِي وَأَسَايَا؟
أَيُّ مَعْنَى لِادِّكَارَاتِي، وَشَوْقِي وَمُنَايَا؟
لَنْ يَعُودَ الْأَمْسُ، لَنْ تَلْقَى سَنَاهُ مُقْلَتَايَا

أَيْهَا الْحَاضِرُ لَا تُسْرِعْ إِلَى الْمَاضِي الْبَعِيدِ
وَلتَقِفْ مَرْكَبَةَ الشَّمْسِ عَلَى الْأَفْقِ الْمَدِيدِ
لِيَكُنْ بَعْدَ صَبَابِنَا تَحْتَ أَفْيَاءِ الْخُلُودِ
آهَ وَلِيَمَّحْ لَفْظُ الْأَمْسِ، مِنْ سِفْرِ الْوُجُودِ

أو أبذ ما تركَ الماضي من الأحزانِ فينا
وامسحِ الذكرى ولا تُبقِ لنا الشوقَ الدفينا
حسبنا الحاضرُ آلاماً ودمعاً وشُجُوناً
رحمةً فلتَمسحِ الماضي وآثارَ السنينِ

فيمَ تبقى ذكرياتي حيةً بعدى وأنسى؟
كلَّ يومٍ أسرعُ الخطو عن العالمِ يأساً
وهي مازالت شباباً ناضراً، جسماً ونفساً
آه ما أعنفَ أحقادى على الذكرى، وأقسى!

أيُّها النارُ الهبى فى الموقدِ الداوى الرهيبِ
وخذى من فتنةِ الذكرى غذاءاً للهبِ
إنَّارى منها، أعيدِها رماداً، وأذيبى
ودعيني مرةً أضحكُ من قلبى الكئيبِ

١٩٤٦-٦-٧

فى وادى العبيد

ضَاعُ عُمْرِي فِي دِيَا جِيرِ الْحَيَاةِ
وَحَبَبْتُ أَحْلَامُ قَلْبِي الْمُنْفَرِقِ
هَآ أَنَا وَحَدَى عَلَى شَطْءِ الْمَمَاتِ
وَالْأَعْيَاصِيْرُ تُنَادِي زُورَقِي
لَيْسَ فِي عَيْنِي غَيْرُ الْعَبَرَاتِ
الظَّلَالُ السُّودُ تَحْمِي مَفْرَقِي
لَيْسَ فِي سَمْعِي غَيْرُ الصَّرَخَاتِ
أَسْفًا لِلْعُمْرِ، مَاذَا قَدْ بَقِيَ؟

سَنَوَاتُ الْعُمْرِ مَرَّتْ بِي سِرَاعًا
وَتَوَارَتْ فِي دُجَى الْمَاضِي الْبَعِيدِ
وَتَبَقَّيْتُ عَلَى الْبَحْرِ شِرَاعًا
مُغْرَقًا فِي الدَّمْعِ وَالْحَزَنِ الْمُبِيدِ
وَحَدَتْنِي تَقْتُلْنِي وَالْعُمْرُ ضَاعًا
وَالْأَسَى لَمْ يَبْقَ لِي حُلْمًا جَدِيدِ
وِظْلَامُ الْعَيْشِ لَمْ يَبْقَ شُعَاعًا
الشَّبَابُ الْغَضُّ يَذْوِي وَيَبِيدُ

أَيُّ مَأْسَاةٍ حَيَاتِي وَصَبَابَا
أَيُّ نَارٍ خَلْفَ صَمْمَتِي وَشَكَاتِي
كَتَمْتُ رَوْحِي وَبَاحْتُ مُقَلَّتَابَا
لَيْتَهَا ضَمَنْتُ بِأَسْرَارِ حَيَاتِي
وَلِمَنْ أَشْكُو عَذَابِي وَأَسَابَا؟
وَلِمَنْ أَرْسَلُ هَذِي الْأَغْنِيَّاتِ؟
وَحَوَالِيَّ عَبِيدُ وَضَحَابَا
وَوَجُودُ مُفْرَقٌ فِي الظُّلُمَاتِ

أَيُّ مَعْنَى لَطْمِ رَوْحِي وَرَجَائِي
شَهِدَ الْمَوْتُ بَضْعَ فَيِّ الْبَشَرِيَّ
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ لِحُزْنِي مِنْ عِزَاءِ
فَاحْتَدَامُ الشَّرِّ طَبْعُ الْآدَمِيَّ
مُثْلِي الْعُلْيَا وَحَلْمِي وَسَمَائِي
كُلُّهَا أَوْهَامٌ قَلْبٍ شَاعَرِيَّ
هَكَذَا قَالُوا... فَمَا مَعْنَى بَقَائِي؟
رَحْمَةً الْأَقْدَارِ بِالْقَلْبِ الشَّقِيَّ

لا أريدُ العيشَ في وادي العبيدِ
بين أمـسـوات... وإن لم يُدقَّنوا...
جُثَّتْ ترسُفٌ في أسْرِ القُيودِ
وتماثيلُ اجتـنـوتـها الأعينُ
آدميَّونَ ولكن كالقُرودِ
وضِباعُ شـرـسـةٍ لا تُؤمِنُ
أبدًا أسمعُهم عذبَ نشيـدِ
وهمُ نومٌ عميقٌ مُخـزِنُ

قلبي الحُرُّ الذي لم يفهموه
سوف يلقى في أغانيه العزاءَ
لا يظنُّوا أنَّهم قد سحـقـوه
فهو ما زالَ جَمالاً ونَقاءً
سوف تمضي في التسابيحِ سنوه
وهمُ في الشرِّ فجراً ومساءً
في حـضـيـضٍ من أذاهم ألفوه
مُظلمٍ لا حُسْنٍ فيه، لا ضياءَ

إن أكنْ عاشقَ الليل فكأسى
مُشرقُ بالضوء والحُبُّ الوريقِ
وجمَّالُ الليلِ قد طهرَ نفسى
بالدُجى والهمس والصمتِ العميقِ
أبدأ يملؤ أوهامى وحسسى
بمعانى الروح والشعرِ الرقيقِ
فدعوا لى ليلَ أحلامى ويأسى
ولكم أنتم تباشيرُ الشروقِ

١٩٤٦/٨/٨

ثورة على الشمس

هدية إلى المتمردين

وَقَفْتُ أَمَامَ الشَّمْسِ صَارِخَةً بِهَا
يَا شَمْسُ، مِثْلُكَ قَلْبِي الْمْتَمَرُّ
قَلْبِي الَّذِي جَرَفَ الْحَيَاةَ شِبَابَهُ
وَسَقَى النُّجُومَ ضِيَاؤُهُ الْمَتَجَدِّدُ
مَهْلًا، وَلَا يَخْدَعُكَ حُزْنٌ حَائِرٌ
فِي مَقْلَتِي، وَدَمْعَةٌ تَتَّهَدُ
فَالْحُزْنَ صُورَةً تُورَتِي وَتَمُرْدِي
تَحْتَ اللَّيَالِي؛ وَالْأُلُوهةُ تَشْهَدُ

مَهْلًا وَلَا يَخْدَعُكَ حُزْنٌ مَلَامِحِي
وَشُحُوبٌ لَوْنِي وَارْتِعَاشٌ عَوَاطِفِي
وَإِذَا لَمَحْتَ عَلَيَّ جَبِينِي حَيْرَتِي
وَسُطُورَ حُزْنِي الشَّاعِرِي الْجَارِفِ
فَهُوَ الشُّعُورُ يُشِيرُ فِي نَفْسِي الْأَسَى
وَالدَّمْعُ فِي هَوْلِ الْحَيَاةِ الْعَاصِفِ
وَهِيَ النَّبْوَةُ لَمْ تَطْرُقْ فَنَمَرَدَتِ
الْحُزْنَ، فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ الْكَاسِفِ

شَفَتَايَ مُطَبَقَتَانِ فَوْقَ أُسَاهِمَا
عَيْنَايَ ظَامَتَانِ لِلْأَنْدَاءِ
تَرَكَ الْمَسَاءُ عَلَيَّ جَبَسَيْنِ ظِلَّهُ
وَقَضَى الصَّبَاحُ عَلَيَّ جَدِيدَ رَجَائِي
فَأَتَيْتُ أُسْكُبُ فِي الطَّبِيعَةِ حَيْرَتِي
بَيْنَ الشَّذَى وَالْوَرْدِ وَالْأَفْسَاءِ
فَسَخِرْتُ مِنْ حُزْنِي الْعَمِيقِ وَأَدْمَعِي
وَضَحِكْتِ فَوْقَ مِرَارَتِي وَشَقَائِي

يَا شَمْسُ حَتَّى أَنْتِ؟ يَا لَكَايَتِي!
وَأَنْتِ الَّتِي تَرْنُو لَهَا أَحْلَامِي
أَنْتِ الَّتِي غَنَّى شَبَابِي بِأَسْمِهَا
وَشَدَا بِفَيْضِ ضِيَائِهَا الْبَسَامِ
أَنْتِ الَّتِي قَدَسْتُهَا وَتَخَذْتَهَا
صَنَمًا أَلُوذُ بِهِ مِنَ الْآلَامِ
يَا خَيْبَةَ الْأَحْلَامِ، مَا أَبْقَيْتِ لِي
إِلَّا ظِلَالًا كَلَابَتِي وَظِلَامِي

سَأَحْطُمُ الصَّنَمَ الَّذِي شَبَّهْتُ
لَكَ مِنْ هَوَايَ لِكُلِّ ضَوْءٍ سَاطِعٍ
وَأَدِيرُ عَيْنِي عَنْ سَنَّاكَ مُشِيحَةً
مَا أَنْتَ إِلَّا طَيْفُ ضَوْءٍ خَسَادٍ
وَأَصْوَغُ مِنْ أَحْلَامِ قَلْبِي جَنَّةً
تُغْنِي حَيَاتِي عَنْ سَنَّاكَ اللَّامِعِ
نَحْنُ، الْخَيَالِيَّيْنَ، فِي أَرْوَاحِنَا
سِرُّ الْأُلُوهَةِ وَالْخُلُودِ الضَّمَائِعِ

لَا تَنْشُرِي الْأَضْوَاءَ فَوْقَ خَمِيلَتِي
إِنْ تُشْرِقِي، فَلْغَيِّرِ قَلْبِي الشَّاعِرِ
مَا عَادَ ضَوْؤُكَ يَسْتَثِيرُ خَوَالِجِي
حَسْبِي نَجْمُ اللَّيْلِ تُلْهِمُ خَاطِرِي
هَنَ الصَّدِيقَاتُ السَّوَاهِرُ فِي الدُّجَى
يَفْهَمْنَ رُوحِي وَانْفِجَارَ مَشَاعِرِي
وَيُرْقِنُ فِي جَفْنِي خُيُوطَ أَشْعَةٍ
فِضِّيَّةٍ، تَحْتَ الْمَسَاءِ السَّاحِرِ

الليلُ الحانُ الحياءِ وشِفْرِها
ومَطَافُ آلهةِ الجمالِ المُلهِمِ
تهفو عليه النفسُ غيرُ حبيسة
وتخلِّقُ الأرواحُ فـ_____ فوقَ الأنجمِ
كم سِرتُ تحتَ ظلامه ونجومه
نسيتُ أحزانَ الوجودِ المظلمِ
وعلى فمى نغمُ إلهي الصَّدى
تلقيه قافلةُ النجومِ على فمى

كم رُحتُ أرقبُ كلَّ نجمٍ عابِرٍ
وأصوغُ في غَسَقِ الظلامِ ملاحنى
أو أرقبُ القَمَرِ المودَّعَ فى الدُّجى
وأهيمُ فى وادى الخيالِ الفاتنِ
الصميتُ يبعثُ فى فؤادى رغبةً
تحت المساءِ المدلهمِ الساكنِ
والضوءُ يرقصُ فى جفونى راسماً
فى عُمقِها أحلامَ قلبِ آمنِ

يا شمسُ، أما أنتِ.. ماذا؟ ما الذى
تلقاهُ فيك عواطفى وخواطرى؟
لا تعجبنى إن كنتُ عاشقةَ الدُجى
يا ربةَ اللهب المذيب الصاهر
يا من تُمزقُ كلَّ حلمٍ مُشرقٍ
للحالمين وكلَّ طيفٍ ساحرٍ
يا من تُهدمُ ما يشيدُه الدُجى
والصمتُ فى أعماق قلب الشاعرِ

أضواؤك المتراقصاتُ جميعُها
يا شمسُ أضعفُ من لهيبِ تمردى
وجنونُ ناركِ لن يمزقَ نغمتى
مادام قيثارى المغرّدُ فى يدي
فإذا غمرتِ الأرضَ فلتتذكري
أنى سأخلي من ضيائك مغبدي
وسأدفنُ الماضى الذى جَلَلْتَه
ليخيمَ الليلُ الجميلُ على غدى

١٩٤٦-٧-٨

بين فكى الموت

«كانت الشاعرة مصابة بحمى شديدة فنظمت هذه القصيدة الحزينة تودع الحياة وتستقبل العالم المظلم».

يا مساء الصيف الحزين خبا حجب
وتبرمت بالسكون وبالأش
لم يعد فى قلبى هوىً للدياجي
رحمة يا ظلام يا صمت يا أسد
سى لما فىك من أسى وخشوع
باح واعتضت عنهما بدموعى
لك فىا رحمة بقلبي الوجيع
رار بالخافق الشقى المروع

ها أنا تحت دجية الليل روح
صرخات الحمى تحطم أحلا
يا عيون النجوم لا ترمقيني
وامددى يا رياح كفىك لطفاً
مستطار فى هيكل موهون
مى وأحلام قلبى المحزون
لم يعد فى سنك أى فتون
وحناناً على فمى وجبيني

ها أنا بين فكى الموت قلباً
وعيوناً ظمأى إلى متع الكو
لم أزل برعماً على غصن الده
فحرام أن تدفن الآن يا مو
لم يزل راعشاً بحب الحياة
ن تناجى مفاتن الأمسيات
ر جديد الأحلام والأمنيات
ت شبابى فى عالم الأموات

ها أنا عند هُوَّة الزَّمنِ المظ-
من ورائي صِباي بين الأناشيد
وأمامي وادي المنايا قبورُ
أفق راعب رهيبُ المعاني

أيها الموتُ وقفةً قبل أن تُغ-
آه دَعْنِي أَمْلاً عِوَنِي مِنَ الآنِ
آه دَعْنِي أودِعِ العودَ يا مو-
وأرْنَم لحنَ الوداعِ لدنيا

رحمةً بي، يا أيها الموتُ، وأرفق
أغفني الآنَ من مفارقة الدن-
لا أحبُّ الظلامَ فليكن موتي
حينما تضحك الطبيعةُ في الوا

يا سكونَ الليلِ العميقِ وداعاً
لم يَعُدْ في الجسمِ الوهونِ سوى بقْد
لم يَعُدْ في السَّراجِ إلا وميضُ
وانتهى يا ظلامُ تحتك تجسروا

لم بين الأمواتِ والأحياءِ
يدٍ ولهو الطُّفولةِ الحسناءِ
في ظلالِ المنيةِ الخرساءِ
ضمُّ أرجاءه الدُّجى اللانهائي

رى بجسمي سكونك الأبدية
سوارٍ وارحم فؤادي الشاعرية
تُ فقد كان لي الصديقَ الوفيّاً
يَ لأمضى للموتِ قلباً شقيّاً

بفؤاد نالت هَوَاهُ الحياةُ
يا ودَعْنِي إلى غدٍ يا مَمَاتُ
ي غدٍ حينَ تغربُ الظُّلُماتُ
دي الأغنَّ الحالى وتشدو الرُّعاةُ

إنها يا سكونُ آخرُ ليله
يا حياة ونسمة مُضمحلة
شاحبٌ مدَّ حوله الموتُ ظلةً
لي وشغري وأغنياتى المملة

وستمحو الأيامُ ذكرَ فتاةٍ
فقضتْ أمسياتها تتبعُ الأطرَ
يا جناحَ الخيالِ لم يبقَ ريشُ
ليسَ إلا جنسُ تَضَعُضُهُ الحِمَّ

أيها الليلُ، أيها العالمُ الغا
فارحم الآنَ تحتَ دُجيتك السَّو
لَهفتنا يا ظلامُ لن يطلعَ الفجرُ
لهفتنا يا ظلامُ لهفةَ روحٍ

يا فؤادى الشريدَ ودَّعْ أمانيدَ
أنتَ يا من قضيتَ عُمرَكَ مفتو
واسترحَ أيها الخفوقُ كَفَى حُزْ
لا يرُعَكَ الردى وحسبك أنْ تُدَّ

فيمَ تبكى على مُفارقةِ الدُّنْ
إنَّها أيها المَعْدَبُ مأسا
تخدعُ الجاهلينَ أوهاُمُها السو
فاحتقرها وسِرَّ إلى عالمِ الأم

شَغَفَتْهَا إلهةُ الشعرِ حُبًّا
يافَ والعاصفاتِ شرقاً وغرباً
يا ظلامَ الفناءِ لم تَبْقِ قَلْبِسا
سى وطرفِ يطوى الدياجيرَ رُعباً

مضُ قد أسدلَ الستارُ المخيفُ
داءَ قلباً غامتْ عليه الخُتُوفُ
رُولنَ يبسمُ الفؤادُ اللهيفُ
لم يُمتَعْ شِبابُهُ المشغوفُ

كَ فلنَ نلمحَ الصباحَ الجميلاً
نأُتَناجى الربى وتشدو الحقولا
نأُكفِنا تضرُّعاً وذُهولاً
ركَ يا قلبُ سرَّهُ المجهولاً

يا وقد عشتَ فى حماها غريباً؟
هُ تُشيرُ الأسى وتبكي القلوبا
دُولا تخدعُ الذكى الأريبا
سواتِ يا قلبى الرقيقَ طروباً

يا عيونَ النجومِ يا ورقَ الصَّف
لن أغنَّيكِ بعدَ ليلَى هذا
عبثاً يا حياةُ دُفَعَى للمو
وغداً سوفَ يطمُرُ اللُّجُّ أشلا

صافِ يا فتنةَ السكونِ وداعاً!
آنَ أنَ ينشُرَ الزَّمانُ الشُّراعا
جِ فلنَ أَسْتَطِيعَ بعدُ دفاعاً
ئى وتمضى بها الرِّياحُ سِراعا

يا بحارَ الفناءِ فى العالمِ المج
واحشدى حوله عرائسك الحو
فأنا يا بحارُ شاعرةُ الأح
وتغنيتُ بالحياةِ ولكنْ

هولِ رفقاً بزورقى المكدودِ
رَلَعلى أسلو جمالَ الوجودِ
لامِ ضمَّختُ بالفتونِ نشيدى
لم تَبِرَ الحياةُ لى بالوعودِ

أيها الليلُ آنَ أنَ يُطفئَ المو
لن تنالَ الآهاتُ من خافقِ المو
فوداعاً من قلبِ عاشقةِ اللب
هكذا تذبلُ الحياةُ ويخبو

تُ شُعاعَ الطُموحِ فى مقلتيَّ
تِ ولن تُصغى الحياةُ إلَّيا
لِ وداعاً وأنتِ يا موتُ هيَّيا
لحنُ أحزانها على شفتيَّيا

١٩٤٥-٦-١٥

السفر

أنا وحدي فوق صدر البحر يا زورقُ فارجعْ
عَبْثاً أنتظرُ الآنَ فنجمي ليس يطلعْ
هَبَّتِ الرِّيحُ على البحرِ الجنونيَّ المُرَّوعْ
لَتَعُدْ للشاطئِ الساجي بقلبي المتضرِّعْ

عُدْ إلى الشاطئِ، عدْ ما عاد يحلو لي البقاء
ذهبَ البحرُ بأصحابي إلى حيثُ الضياء
أنا وحدي، أيها الملاحُ، حُزنٌ وبُكاءُ
يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاءَ المساءُ

ذهبوا للشاطئِ المسحورِ إذ عُدْتُ لوحدي
ذهبوا إلا أنا، عُدْتُ بأحزاني وسُهدي
لم أصبْ في رحلتِي إلا صَبَابَاتِي وجُهدي
فليكنْ، يا بحرُ، هذا، بالمُنَى، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ تواري الركبُ خلفَ الجزرِ؟
كيف يذوي في فؤادي الصَّبُّ حلْمُ السَّفَرِ؟
عزَّ يا بحرُ على موجك بُرءَ الصدرِ
فلأعدْ، لا رحمةَ الآنَ بقلبِ القَدَرِ

فلأعدْ للساحلِ المظلمِ قلباً مُستطاراً
أدفنُ الحلمَ وأحيا زهرةَ وسطِ الصَّحارى
أبدأ أروى أناشيدى بأحزانِ الحيارى
أبدأ أحلُمُ بالفَجْرِ فلا ألقى النُّهارا

أيها الزَّورقُ عد بي، لم يعدْ ثَمَّةَ حلْمُ
قد مضى الركبُ ولن يُشرقَ في أفقى نَجْمُ
ما الذى أرجو ومن حولى المساءُ المُدْهَمُ
والأعاصيرُ، وأشباحُ الدِّياجى، والخِضَمُ؟

أيها الشَّاطِئُ، يا منبَعَ أحلامى، وداعاً
سئمَ المجدافُ فى كفىّ دَفْعاً وصِراعاً
كيف ألقاك وقد مَزَقَتْ الرِّيحُ الشَّراعاً
ورجائى فيك بينَ الموجِ يا شاطِئُ ضاعاً

فلأعدن، لا سَفَرَ اليومَ إلى الأفقِ الجميلِ
لن أرى الشاطئَ، لن أحلُمَ في ظلِّ النخيلِ
وغداً رحلتى الكبرى إلى وادى الأفولِ
آه فلأرحلْ إليه، فلقد حان رحيلى

فوداعاً أيها الركبُ وداعاً يا حياة
آن أن يُطفئَ أفراحى وأحزاني المماتُ
آن أن تهجرَ قيثارى وعودى النغماتُ
فسلامُ أيها الموتُ، سلامُ يا رفاتُ

١٩٤٥-٧-٣٠

مرثية غريق

أَيُّهَا النَّهْرُ لَقَدْ جَاءَ الْمَسَاءُ
وَمَشَى الصَّمْتُ عَلَى الْمَوْجِ الْوَدِيعِ
وخبيا في الأفقِ الحالِ الضَّيَاءُ
وتَلاشى وقعُ أَقْدَامِ الْقَطِيعِ

سَكَنَ الْكَوْنُ سَوَى الْمَوْجِ الْمُدَوَّى
أَسَاطِيرِ الْعُصُورِ الْخَالِيَاتِ
لَمْ يَزَلْ يَشْكُو الْمَقْسَادِيرَ وَيَرْوَى
أَبْدًا لِلْكَوْنِ أَسْرَارَ الْحَيَاةِ

إِيهِ يَا ضِفَّةُ مَا ذَاكَ الْخِيَالُ؟
فَوْقَ صَدْرِ الْمَوْجِ، تَحْتَ الظُّلُمَاتِ
أَإِلَهُ قَدْ تَصَبَّأَ الْجَمَالَ؟
أَمْ غَرِيقُ عِزَّةٍ حَبْلُ النِّجَاةِ؟

حدّثيني، ما أرى خلف السّياج؟
فهو يا ضيفّة في الليلِ مريبُ
ما الذي أُلح في هذى الدياجى؟
ما تراه ذلك الشّىءُ الغريبُ؟

هيكَلُ يغطُّسُ حيناً ثمَّ يطفو
تائهّاً تحت دُجى الليلِ الحزينِ
بشّـرٌ هذا ترى؟ أم هو طيفُ؟
ليت شِعْرى، يا دياجى، ما يكونُ؟

آه يا شاعرتى، هذا غريق
فاحزنى للجسدِ البالى الممزّق
راقداً، تحت الدياجى، لا يُفسيقُ
والسّنا من حوله جفنٌ مؤرّق

يا لميت لم يودّعْهُ قَريبُ
فهو في النّهر وحيدٌ مُتعبُ
ما بكى مَصْرَعَهُ إلا غريبُ
هو قلبى، ذلك المكتنّبُ

يا رياحَ الليلِ رَفِقاً بِالرُّفَاتِ
واهدئي، لا تُقْلِقِي جِسْمَ الغَسْرِيقِ
حَسْبُهُ مَا مَزَقَتْ أَيْدِي الحَيَاةِ
فليكنْ مِنْكَ لَهُ قَلْبٌ صَدِيقِ

ولتكنْ، يا نَهْرُ، أَمْسِواجُكَ حَضُنَا
يتلقَّاهُ وَقَلْباً مُشْفِفاً
ولتكنْ، يا نَجْمُ، أَضْوَاءُكَ عَيْنَا
تسْكُبُ الذَّمْعَ عَلَى مَنْ غَرِقَا

آه يا قَيْثَارَتِي، أَيُّ المَآسِي!
قَدْ كَرِهْتُ اللَّيْلَ أَضْوَاءَ وَظِلًّا
أَيُّهَا الصَّبِيَّادُ، قَفْ! أَلْقِ المَرَّاسِي
إِنَّ تَحْتَ اللَّيْلِ جِسْماً مُضْمَحِلاً

هوذا، يا أَيُّهَا الصَّبِيَّادُ، جِسْماً
خَامِداً الأَنْفَاسَ فِي حَضْنِ المِياهِ
وعُيُوناً مُلِئَتْ رُغْباً وَهَسّاً
لَمْ يَزَلْ يَمْلؤها حُبُّ الحَيَاةِ

أَيُّهَا الصَّيَّادُ، قَفْ بِالزُّورِقِ
وَانْتَشِلْ هَذَا الْغَرِيقَ الْبَائِسَا
خُذْهُ لِلشَّاطِئِ وَادْفِنْ مَا بَقِيَ
مِنْهُ فِي الْقَرْيَةِ وَارْجِعْ يَائِسَا

مَا الَّذِي تَصْطَادُ فِي بَخْرِ الزَّمَنِ
وَعَدَاً يَصْطَادُكَ الدَّهْرُ الْعَمَتِي
نَحْنُ يَا صَيَّادُ أَبْنَاءُ الشَّجَنِ
حَفَّ مَخْيَانَا الشَّقَاءُ الْأَبْدِي

كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِينَا غَرِيقُ
وَعَدَاً نَحْنُ جَمِيعاً مُفْرَقُونَ
عَالَمٌ حَفَّ بِهِ الْمَوْتُ الْمُحَقِّقُ
وَتَبَاكَى فِي حِمَاهُ الْبَائِسُونَ

ضَاقَ يَا صَيَّادُ فِي عَيْنِي الْوَجُودُ
يَا لَكُونِ سِرَّةً لَا يَنْجَلِي
كُلُّ مَا فَتِيهِ إِلَى الْقَبْرِ يَقُودُ
مَا الَّذِي يَبْقَى لَنَا مِنْ أَمَلٍ؟

١٠-٧-١٩٤٥

على حافة الهوة

جئْتُكَ، يا هوة، تحت الدُّجَى
لعلنى ألقى لَدَيْكَ الْخِـلَاصَ
لم يبقَ لى فى الأرضِ ما يُرتجى
ولم يَعُدْ لى من رحيلى مَنَاصُ

جئْتُكَ حَسِيرَى فى ظلام الدُّجَى
يدفعُ أقسى دامى جُنونِ الأَلَمِ
جئتُ وروحى فَزَعٌ صَارخٌ
باسمِ إله الصِّمْتِ، باسمِ العَدَمِ

إليكِ جَسَمى، كَفَنى بالشَّذَى
أشلاءُ الغَضَّةِ واسْقِيهِ
ألقى عليه باقِيةَ حُلوةِ
من زَهْرِ أَكْتُوبِر، ضُمِّمِـهِ

وإن يكن تحت الدُّجى بلبلٌ
فاستحلفيه أن يصوغَ الرِّثاءَ
وإن تَسَاقَى الزَّهرُ عطرَ النَّدَى
فقطرةٌ منه لجسـمى ارتواء

الليلُ يدري، ها أنا لم أزلُ
بينَ جنونين، ونفسي انفجارُ
أريد أن أحييَا... ولكنني
أحسُّ بالثورة والإحتقارُ

هيا إلى الموت، إلى صمته
فيم أخافُ الآن؟ فيم الألم!
عَمَّا قليلٍ تنتهي قَسْوَتِي
على حَيَاتِي، ويضجُ النَّدَمُ

عَمَّا قليلٍ يتصَّبى الدُّجى
قلبي، بما في صمته من حياة
عَمَّا قليلٍ يَحْتَسُوْنِي الأسي
على وداعِ الحبِّ والذِّكْرِياتِ

ها أنا في جُبنِي، في موقفي
يخفقُ قلبي بالشَّذَى باللهبِ
ترددي يصرخُ بي ارجعي
للشَّعرِ، للأحلامِ، فيمَ الهربِ؟

وخلفَ نفسي همسةٌ كالصَّدى
يكادُ يُفنيها النَّداءُ الجديدُ
تهتفُ بي: هيَّا فكفُ الردى
أحنى على جرحِ الحياةِ المبيدُ

وبين صَوْتِي قلبي المزدري
وروحى العاشقِ ضاعَ القرارُ
ومرَّت السَّاعاتُ ثم انطوتُ
ولم أزلُ في حَيْرَةٍ وانتظارُ

وعُدْتُ للمَّغْبَدِ، لا جُنَّةُ
محمولةٌ بل جَسَدًا ماشيًا
أسخَّرُ من نفسي مما جرى
وأزدرى إحساسى الباقيًا

١٩٤٥-٧-٣٠

سياط وأصداء

«كان على أرض الشارع المبللة جسد حصان، وكانت
السياط ترتفع ثم تهوى فلا تسقط إلا على جرح».

ما زلتُ أذكرُ كلَّ شيءٍ من صباحي الضائعِ
الراقِدُ الدامي المجرَّحُ فوق أرضِ الشارعِ
وَصَدَى السِّياطِ المرهقاتِ على الجبين الضارعِ

يا ثورةَ الإحساسِ في نفسي علامَ تَمَزَّقُني
ألمى على الجسدِ الممزَّقِ بعضُ ضَعْفَى الأحمقِ
وغداً سأدفنُ ما تبقى من حنانى المرهقِ

يا ليتنى عمياءُ لا أدري بما تَجَنَّى الشرورُ
صمَّاءُ لا أصغى إلى وقع السياط على الظهورُ
يا ليتَ قلبى كان صخراً لا يعذِّبهُ الشعورُ

يا ليتنى، ماذا تُفِيدُك، يا حياتى، ليتنى؟
أحلامك النَّصِراتُ باتت في قنوطٍ مُحْزَنٍ
لن يسمعَ القَدَرُ المدمرُ فاصرُخى أو أدعنى

يا نارَ عاطفتي الرقيقة، يا غريبةً في البشرِ
وَقَعُ السِّياطِ على الظهورِ أشدُّ من وقعِ القَدَرِ
والحسَّ في هذا الوجودِ جريمةٌ لا تُغْتَفَرُ

لن تقتلى الشيطانَ في الإنسان أو تُحْيى الملاكَ
وغداً ستطويك الليالي في دياجيرِ الهلاكِ
وغداً سيأسرُكَ الترابُ فلا شعورَ ولا حَرَكَ

ما كان أثقلَ عبءِ أحلامي وآلامي وأقسى!
فامشي بنا نحو القنَّاء لعلَّنا ننسى ونُنسى
وليُسَدِّلِ السِّترُ المقدَّسُ، حَسْبُنَا غَمًّا وَيَأْسًا

٢٤-١٠-١٩٤٦

نغمات مرتعشة

عُدْ، لم يَزَلْ قلبي نشيداً حالماً
يشدو بحبك لحنه المفتونُ
عُدْ فالكآبةُ أغرقتْ بظلامها
روحي، فليلى أدمعُ وشُجُونُ
عُدْ، لا تدعْ نفسي يعذبها الأسى
ويعضُ فيها خافقُ محزونُ
عُدْ فالحياةُ - إذا رجعتْ - أشعةُ
ومشاعرٌ سحريةٌ وفُتُونُ

خطواتك اللاتي تباعدَ رَجْعُها
في مسمعى، تحت الظلام الشاحبِ
كلماتك اللاتي تلاشى وقْعُها
وخَبَّتْ بعيداً، في السكونِ الرابعِ
بَسَمَاتك اللاتي خَبَّتْ وَمَضَاتُها
في مُقْلتي، مع النهارِ الذاهبِ
ذابت جميعاً، والستائرُ أُسْدِلَتْ
في مَسْرَحِ الأملِ الجميلِ الغاربِ

ذهبَ النهارُ بشاعري، بنشيدِهِ
وبَقِيتُ في غَسَقِ الظلامِ القاتمِ
أرنبو ولا شيءُ يروقُ لناظري
وأصيحُ، أين مَلاحني ومَلاحمي؟
عُدْ، عُدْ إلى رُوحِي الغريبِ، فأدْمي
عصفت بأفراحي وقلبي الساهمِ
عُدْ يا نشيدِي الشاعري لمسمعي
ماذا يعوِّضُ عن صدَاكَ الحالِمِ؟

حبِّي الإلهيُّ النقيُّ ظلمتُهُ
ووفاءُ رُوحِي الشاعريُّ العابدِ
قلبي الرقيقُ أسأتَ فهِمَ حنينه
ونشيدُ أحلامي وروحُ قصائدي
لم أذِرْ ماذا كان، إلا رَغَشَةً
في رُوحِي الولهي وقلبي الشاردِ
وخلا المكانُ وعُذتُ أسألُ وحشتي
عن طيفِكَ الناسي وحُبِّي الخالدِ

ما زلتُ منذُ ذَهَبَتْ حَيْرَى في الدُّجَى
شَهِدَ الأَسَى أَنِّي لَزِمْتُ مَكَائِيا
ما زالَ رُوحِي راعِشاً مَتمزِقا
يَسْتَنطِقُ السِّرَّ الغَرِيبَ الخافِيا
وَهَمِي يَصوِّرُ لِي خُطَاكَ ووقَعَهَا
فإذا أَصَخْتُ صَحَوْتُ من أحلامِيا
لا شَيْءَ غَيرُ الرِّيحِ تَغْصِفُ في الدُّجَى
لا شَيْءَ غَيرُ تَنهُدِي وبِكَائِيا

١٩٤٦-١١-١

المقبرة الغريقة

«من ذكريات الفيضان المخيف الذي ألم ببغداد
سنة ١٩٤٦، هذه القصيدة تسجل فيها الشاعرة أثر
سماعها بقصة مقبرة غمرتها مياه النهر المتوحش في
ماء عاصف».

فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْمُخِيفِ الرَّهيبِ
وَتَحْتَ هَوْلِ الْعَاصِفِ الْأَهْوَجِ
قَبْرٌ عَلَى التَّلِّ وَحِيدٌ غَرِيبٌ
رَأَتْ عَلَيْهِ ظِلَّةُ الْعَوَسِجِ

قَبْرٌ وَحِيدٌ لَمْ تَنْلُهُ الْمِيَاهُ
مُغْتَصِمٌ بِالْقِمَّةِ السَّاخِرَةِ
كَأَنَّهُ يَرْمُقُ أَفْقَ الْحَيَاةِ
مُسْتَهْزِئًا بِاللُّجَّةِ الدَّائِرَةِ

بِالْأَمْسِ قَدْ كَانَ هُنَا عَالَمٌ
يَغْمُرُهُ الْمَوْتُ بِأَسْتَارِهِ
يَهْفُو عَلَيْهِ الْعَدَمُ الْقَاتِمُ
فِي وَجْهِ الصَّمْتِ وَأَسْرَارِهِ

مقبرة أودعها البائسون
أشلاء أمواتهم الفانين
يا جثثاً ما كفنتها المنون
بغير أطباق الثرى العاربه

هذى الوجوه الشاحبات الجباه
وهذه الأشلاء والأعيين
طفئت حيارى فوق وجه المياه
وعض فيهما العدم المحزن

يا نهراً لا تقس على الميتين
حسبك ما سببته من شقاء
حسبك ما شردت من بائسين
وارفق بسكان الثرى الأبرياء

روغت صمت الأنفس الراقدة
فى وجمة الموت وصمت القبور
يا رحمة بالجثث الباردة
وليك فى موجك بعض الشعور

فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ دُجَى الْمُقْبِرِ
تَسْبِيحُ أَجْسَادٍ وَتَطْفُو عِظَامُ
وَالرَّيْحُ فِي صَنِيعَاتِهَا الْمُتَكْرِرِ
وَاللَّيْلُ مِمَّا زَالَ رَهَيْبُ الظَّلَامِ

يَا لِّلْمَسَاكِينِ، أَحْتَى الْمَمَاتِ
تَلَحُّقُهُمْ لَعْنَةُ أَيَّامِهِمْ؟
مَاذَا جَنُّوا مِنْ مُبْهَجَاتِ الْحَيَاةِ
تَرَى وَمَا أَلْوَانُ أَحْلَامِهِمْ؟

حَتَّى الرَّقَادُ الْهَادِي الْأَمْنُ
يَأْبَاهُمُ إِيَّاهُ قَلْبُ السَّنِينِ
يَشْهَدُ هَذَا الْمَنْظَرُ السَّاكِنُ
أَيُّ سُهَادٍ، أَيُّ لَيْلٍ حَزِينِ

يَا ضَجَّةَ الْإِعْصَارِ لَا تَمْلئِي
أَفَاقَ هَذَا الْعَسَالِ الْمُشْتَكِي
وَأَنْتِ يَا أَمْوَاجُ لَا تَهْزئِي
بِذَلِكَ الطَّافِي عَلَى وَجْهِهِكَ

لم يُبقَ منه الدودُ شيئاً يُرى
ولم يَذرْ منه الردىَ باقياً
هذا الرُفُياتُ الكالِحُ المُزْدَرى
قد كان بالأمس فتىً لاهياً

يَنسُجُ تحتَ الليلِ ثوبَ الضياءِ
وينثُرُ الحبَّ على العالمِ
جدلانَ لا يعرفُ معنىَ الفناءِ
مُسْتَغْرِقاً فى نشوةِ الحالمِ

أهكذا تَفَنَّى أغــــــــــــــــاريدُنَا
ويهِــــــــــــــــزأ الموتُ بأزهارها
وتملأُ الدنْيَا أناشيــــــــــــــــيدُنَا
يوماً، ونثوى تحتَ أحجارها

ما أفضَحَ المبدأُ والمُنْتَهَى
ما أعمقَ الحزنَ الذى نحملُ
ترفعُنَا الأحلامُ فوقَ السُّهَى
وتهدمُ الأيامُ ما نأملُ

وهذه المقبرة المظلمة
نهاية المسعى، فيا للشقاء
أبعد هذى الجنة الملهمة
نسقط، فوق الشوك، صرعى الفناء

بكيتُ للأصوات طول المساء
وصفتُ من دمعى التشيد الحزين
وفى غدا أرقى تحت السماء
قبراً سيبكى عنده العابرون

قبرٌ، على التلّ، وحيدٌ غريبٌ
رانتُ عليه ظُلة العوسج
فى ظُلمة الليل العميق الرهيب
وتحت هول العاصف الأهوج

١٣-٥-١٩٤٦

عودة الغريب

قلبي الذابلُ الحزينُ الذي ما
قلبي الشاردُ المعذبُ بالأحـ
ماله الآن خافقاً بندى الحبِّ
ويصوغُ المنى ويرجعُ للشا
تَ وذابتُ أفراحهُ ومناهُ
لام ما بين دمعته وأساهُ
يغنى تحت النجوم هَوَاهُ
طى جَذلانَ مُرسلاً نجواهُ

في غمار الماضي دفتُ دموعي
ظمأى لم يعدَّ يعذبُ روحي
ذهبَ البحر لم يعدَّ ماؤه المـ
ها أنا عندَ منبعٍ شاعريِّ الـ
وتبسَّمتُ للغدِ المراحِ
وشرودى تحت الدُجى والرياحِ
حُ يدوى على مسيلِ جراحي
ماءِ صافٍ هامتُ به أقداحي

ها أنا الآن زورقُ حالمٍ المجـ
قلبي الشاعريُّ ملاحهُ البـ
شدَّ ما عذبتُ أغانيه الغـ
أبدأ في عُرضِ المياهِ ينادى الـ
سدافِ يرسو على رمالِ الضفافِ
سمُ يشدو سرَّ الوجود الخافى
به واشتاقَ فتنة الصَفْصافِ
سبحرَ يا بحرُ طالَ فيك طوافى

أيُّها الطائفُ الغريبُ لقد عُدَّ
هي ذى الضفَّة الحبيبة يا ملاً
إنَّها جنةُ الحياة تلاقَتْ
فاهبط الآن وأنسَ أشباحك السُّو

يا غريبَ الأحلامِ إمْسَحْ بقايا الأ
أصبحَ الأملُ صرخةً في حمى الما
كلُّ أحزانه العميقات عادتْ
أطفأتها الأيامُ فهي ظلامُ

لا تُثَرِّدْ دغفه يَنَمُ أيدَ الدهرِ
أيُّها الميتُ الذى نبضتْ فيه
أيُّها الظامئُ الذى أبصرَ النب
املا الكأسَ آن للظمأ المُخ

ذلك الماردُ الحقيقيرُ ثوى فى
لن تراهُ الأمواجُ فى البحرِ بعدَ الآ
لن يُحيلَ الأحلامَ فيكَ دموعاً
إنَّه الآنَ مُغرَقٌ فى حمى المو

تُ وهذى مفاتنُ الآجامِ
حُ هذى شواهِقُ الأكمامِ
عندَها الذكرياتُ بالأحلامِ
دَ وذكرى الماضى الحزينِ الدامى

مسِ والذكرياتِ والأحزانِ
ضى طوتها ستائرُ النسيانِ
لفظةٌ ضمَّها سكونُ الزَّمانِ
ولهيبُ خابٍ وطيفُ فانِ

رِ وعش أنتَ ضاحكُ الأهواءِ
ه معانى الحياة بعدَ الفناءِ
عَ قريباً بعدَ الصَّدَى والشقاءِ
رقِ أن يرتوى بشهدِ الرجاءِ

ظُلُماتِ الأملِ البعيدِ وغارا
نَ لن يملأَ النجومَ احتقاراً
ويعسِّدُ الأنغامَ هولا ونارا
ج فلا تخشَ حِقْدَهُ الجبارا

والحياةُ التي تلقَّستك بالزهـ
هَبْ لها يا ملاحُ قلباً من النو
هَبْ لها ما ملكت شوقاً وأشعا
صُغْ لها البحرَ كُلَّهُ في نشيدٍ

عادَ ذاكَ الغريبُ يا معبدَ الحبِّ
إن يكنْ ضلَّ قلبُهُ أَمْسَ في البحرِ
علَّمَتْهُ عواصِفُ الليلِ حبَّ الـ
ولتضعْ في الماضي البعيدِ المجاذيبَ

أنسه حَبُّه الذي ماتَ وامنح
حسبه ما أشقىته أَمْسَ بالذك
بمعانيك قَرَّبَ النجم والسُّحُـ
يا شبابَ الحياةِ يا فرحةَ الدُّنـ

رِ ترنمَ بها تلالاً وعُشبا
رِ وروحاً كالشعر والحبَّ عَذبا
رأ وعش للجمال روحاً وقلبا
أرضعتهُ النجومُ ضوءاً وحبّاً

فمُدَّ الجناحَ فوقَ أساهُ
رِ فقد كَفَرَتْ دموعُ صباهُ
فَجَرَّ فلتلمح السَّنا عيناها
فُ وتلك الرياحُ والأمـواهُ

قلبه الشاعرى حُلماً جديدا
رى فهبه الحياةَ ظلاً رغيـدا
بَ لعَيْنِيهِ والصُّبَا والخلودا
يا ويا بابَ نُبلها المفقودا

١٩٤٦-١١-١٤

الغروب

هبط الليلُ ومــــا زالَ مكاني
عند شطِّ النهرِ، في الصمتِ العميقِ
شردتُ رُوحِي، وغابتُ عن عياني
صُورُ الحاضرِ والماضي السحيقِ
وامسحَى في خاطري ذكرُ الزمانِ
وتلاشتُ ذكْرُ الدهرِ المُحيقِ
ليسَ إلا الحُزنُ يمشي في كياني
وأنا في ظُلمة الليلِ الصديقِ

غَرِقَ الضوؤُ وراءَ الأفقِ
وخلَا العالَمُ من لون الضياءِ
ليسَ إلا رَمَقٌ في الشَّـفَقِ
حائلٌ قد كادَ يمسحُوهُ الفناءُ
وأنا تمثالُ حُزنٍ مُحْرقِ
وشَقَاءٌ مُطبقٌ فوقَ شَقَاءِ
أرْمَقُ الأفقِ بطَرْفِ مُغْفَرِ
تائه يَطْوِي دِجَاجَ الفُضَاءِ

رفَّ حولى الليلُ والصمتُ الكئيبُ
وتمشَّتْ فى كيانى الرعَشاتُ
أى معنى هاجَ فى نفسى الغروبُ؟
أجفَلتُ فى جَسَدى منه الحياةُ
وسرى فى مسمعى همسٌ غريبُ
كلُّه هولٌ ورُعبٌ وشكَاةُ
واعترانى خاطرٌ مُشجٍ رهيبُ
وتجَلَّى لخيالاتى المماتُ

ها أنا وحدى تتاجينى همومى
وكآباتى وأشباحُ الفناءِ
كلُّ ما حولى مُثيرٌ للوجومِ
مَصْرَعُ الشمسِ وأحزانُ المساءِ
عبثاً أطرُدُ عن نفسى همومى
عبثاً أرجو شعاعاً من رجاءِ
غَرِقْتُ أحلامُ قلبى فى الغيومِ
وتلاشت مثل أحلام الضياءِ

أَقْفَرُ الْعَالَمِ حَوْلِي لَا نَشِيدُ
مِنْ صَبِيٍّ أَوْ هُتَافٍ أَوْ حَفِيفٍ
وَحَلَا شَاطِئِي السَّاجِي الْمَدِيدُ
وَمَشَتْ فِي الْجَوِّ أَحْزَانُ الْخَرِيفِ
أَنَا وَالْأَمْوَاجُ وَالْيَأْسُ الشَّدِيدُ
وَانْحَادُ الشُّطِّ وَالظِّلُّ الْوَرِيفُ
وَحَالِي ظِلَامٌ وَرَكْبُودُ
أَلْقِيَا الْحَزْنَ عَلَى حِسِّي الرَّهِيفِ

مِنْ بَعِيدٍ أَبْصَرُ الرَّاعِي الْحَزِينَ
يَرْجِعُ الْأَغْنَامُ فِي صَمْتِ الْغُرُوبِ
مُطَرِّقاً أَتَعَبَهُ رُكْبُ السَّنِينِ
فَقَضَاهَا فِي نَحُولٍ وَشُحُوبِ
هُوَ وَالْأَغْنَامُ حُزْنٌ وَسُكُونُ
وُخْطَى فِي مَسْمَعِ اللَّيْلِ الرَّهِيْبِ
وَأَنَا أَرْمُقُهُمْ غَرَقَى الْجُفُونِ
تَحْتَ أَحْلَامِ شَبَابِي وَكُرُوبِي

وبعيداً في الفضاء المذلهم
خَفَقَةُ من جُنْح طَيْرٍ عَابِرٍ
فاجأته ظُلْمَةُ اللَّيْلِ الْمُلِمِّ
وجبالٌ من سحابٍ ماطرٍ
فسرى بين دجاجيرٍ وغيمٍ
كخيالٍ في فؤادِ الشاعرِ
لحظةً، ثم توارى في الخضمِّ
بين أمواجِ الظلامِ الغامرِ

أهـ ما أُرهِبُهُ الْآنَ سَكُونَا
لا أَعْيَ فِيهِ سَوَى دَقَّاتِ قَلْبِي
صَمَمَتِ الْكُونُ وَنَامَ الْمُتَعَبُونَ
وهو ما زال صَدَى حُزْنٍ وَحُبٍّ
نَظَرَاتِي لَمْ تَزَلْ حُلُمًا حَزِينًا
وخيالاتٌ مَسَائِي لَمْ تَعُدْ بِي
طفقت تصعدُ بِي أَفْقَ السَّيْنِ
وترودُ الْكُونُ مِنْ شَرْقٍ لَغَرْبٍ

وَنُبَّاحُ الْكَلْبِ فِي الْحَقْلِ الْبَعِيدِ
رَفَّ فِي سَمْعِي ضَيْلًا مُجْهَدًا
مُوحِشًا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْوَلِيدِ
غَامِضَ الْوَقْعِ، غَرِيبًا كَالصَّادِ
كُلُّ صَوْتٍ فِي الدُّجَى رُغْبٌ جَدِيدُ
عِنْدَ مَنْ قَدْ كَانَ مِثْلِي مُفْرَدًا
ذَا فَوَادٍ مُرْهَفِ الْحَسِّ شَرِيدُ
دَفَنَ الْأَمْسَ وَلَمْ يَرْجُ الْغَدَا

وَمِيَاهُ النَّهْرِ تَجْرِي فِي شُحُوبِ
تَحْتَ أَكْدَاسِ الْغُيُومِ الْجَائِمَاتِ
وَصَدَى طَاحُونَةِ الْقَسَمِ الْغَرِيبِ
يُكْشِبُ النَّفْسَ بِأَشْجَى النَّفَمَاتِ
هَكَذَا مَرَّ عَلَى رُوحِي الْغُرُوبِ
غَامِضَ الظِّلِّ حَزِينَ الْخَطُواتِ
فَوَدَّاعًا أَيُّهَا الْجُرْفُ الْكُتَيْبُ
وَوَدَّاعًا يَا غِمَارَ الظُّلُمَاتِ

١٩٤٦-١٢-١

عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاوِي أَحْزَانِ القُلُوبِ
انْظُرِ الآنَ فِهَذَا شَبَحٌ بَادِي الشُّحُوبِ
جاءَ يَسْعَى، تَحْتَ أَسْتَارِكَ، كالطيفِ الغريبِ
حامِلاً في كَفِّهِ العودَ يُغْنِي للغُيُوبِ
ليس يَغْنِيهِ سُكُونُ الليلِ في الوادِي الكَثِيبِ

هو، يا ليلُ، فتاةٌ شَهِدَ الوادِي سُرَاها
أَقْبَلَ الليلُ عَلَيْهَا فَأَفَاقَتْ مُقْلَتَاهَا
وَمَضَتْ تَسْتَقْبِلُ الوادِي بِالْحَنَانِ أَسَاها
لَيْتَ أَفَاقَكَ تَدْرِي مَا تُغْنِي شَفَتَاهَا
أَهْ يا ليلُ ويا لَيْسَتِكَ تَدْرِي مَا مَنَّاها

جَنَّها الليلُ فَأَغْرَتَهَا الدِّيَاجِي والسُّكُونُ
وَتَصَبَّأَهَا جَمالُ الصَّمْتِ، والصَّمْتُ فُتُونُ
فَنَضَّتْ بُرْدَ نَهَارٍ لَفٍّ مَسْرَاهُ الحَنِينُ
وَسَرَتْ طِيفاً حَزِيناً فَإِذَا الكُونُ حَزِينُ
فَمَنْ العودِ نَشِيجُ وَمَنْ الليلِ أَنْينُ

إيه يا عاشقة الليلِ وواديه الأغنِّ
هوذا الليلُ صَدَى وحيِ ورؤيا مُتَمَنِّ
تَضْحَكُ الدُّنْيَا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْنٍ
فخُذِي العودَ عن العُشْبِ وَضَمِيهِ وَغَنِّي
وصِفِي ما فى المساءِ الحلوِ من سِحْرِ وفنِّ

• ما الذى، شاعرة الحيرة، يُغْرِى بالمساء؟
أهى أحلامُ الصَّبَايا أم خيالُ الشعراء؟
أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاء؟
أم ترى الآفاقُ تَسْتَهْوِيكَ أم سِحْرُ الضياء؟
عجباً شاعرة الصمتِ وقيثارَ المساء

طيفُك السارى شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ
لم يَزَلْ يَسْرِى خيالاً لَفَّه الليلُ العريضُ
فهو يا عاشقة الظُّلْمَةِ أسرارُ تَفِيضُ
آه يا شاعرتى لن يُرَحِّمَ القلبُ المهْيُضُ
فارجعى لا تَسْأَلِى البرقَ فما يدرى الوميضُ

عَجَبًا، شاعرة الحيرة، ما سرُّ الذُّهول؟
ما الذى ساقك طيفاً حالمًا تحت النخيل؟
مُسْنَدَ الرأسِ إلى الكفَّينِ فى الظلِّ الظليلِ
مُفْرَقاً فى الفكر والأحزان والصمت الطويلِ
ذاهلاً عن فتنة الظُّلْمَةِ فى الحقلِ الجميلِ

أنصتى هذا صُراخُ الرعد، هذى العاصفاتُ
فارجمى لن تُذركى سرّاً طوته الكائناتُ
قد جَهِلناه وضنتُ بخفاياهُ الحياةُ
ليس يذرى العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ
فارحمى قلبك، لن تتنطق هذى الظُّلُماتُ

١٩٤٥-٤-٤

فى وادى الحياة

فلن نرى الشاطئ الجميلا
سئمتُ يا زورقى الرحىلا
وما شفى البحر لى غليلا
نرجو إلى الشاطئ الوصولا؟
سدت على خطونا السيلا
لا نجم فيه لنا دليلا
ولم يزل سادراً جهولاً
وحسب أيامنا ذهبولاً

لن يُخدع القلب بالسراب
قد حلك الجو بالسحاب
تقلب الموج والمباب
خلف الدياجير والضباب
وفستنة الأيك والروابي
قد حان، يا زورقى، إيابى
ولا جلا عنى اكتئابى
وأين، يا زورقى، رغابى؟

عذبى يا زورقى الكليلا
عذبى إلى مَعْبِدَى فإتنى
وضيقتُ بالموج أى ضيق
إلام يا زورقى المَعْنَى
والموج من حولنا جبال
والأفق من حولنا غيسوم
كم زورق قبلنا تولى
فعد إلى مَعْبِدَى بقلبى

حسبك يا زورقى مسيراً
وارجع، كما جئت، غير دار
وملّ مجدافك المعنى
ولم يزل مَعْبِدَى بعيداً
يشوقنى الصمتُ فى حمأه
عذبى يا زورقى إليه
ما كفكف البحر من دموعى
ففيم فى موجه اضطرابى

تائهة، والحياة بخسر
تائهة والظلام داج
يا زورقي آه لو رجعنا
انظر حواليك، أي نوء
البحر، يا زورقي جنون
وكل يوم له صريع
وأنت في الموج والدياجي
فعد إلى أمس، عد إليه

شاطئه مبعد سحيق
والصمت تحت الدجى عميق
من قبل أن يخبى البريق
تجمد من هوله العسروق
وموجهه ثائر دقوق
في هجعة الموت لا يفيق
يا زورقي في غد غريق
قد شاقني أمسى الوريق

ماذا وراء الحياة؟ ماذا؟
وفيم جئنا؟ وكيف نمضي؟
يدفحك الموج كل يوم
يا زورقي طال بي ذهولي
أسرى كما ترسم المقادير
شريدة في دجى حياتي
فخافق شاعر، وروح
وناطها بالذرى تغنى

أي غموض؟ وأي سر؟
يا زورقي، بل، لأي بحر؟
أين ترى آخر المقر؟
وأغرق الوهم جو عمري
لى إلى حيث لست أدري
سادرة في غموض دهرى
قال لها الدهر لا تقري
وتنظم الكون بيت شفر

١٢-٦-١٩٤٥

أشواق وأحزان

أين متى حرارةُ الأمسِ، والحا
أسفاً للماضي الإلهيُّ هل ما
آه يا شاعري لماذا تهاوَيْ
وأنا لم أزلْ صلاةً لمَينِيْ
ضربُ يمشي بين الأسى والحمدِ؟
تت أغانيه في فؤادي الوحيدِ؟
تَ بعيداً وراءَ أمسى البعيدِ؟
لك وإعصار لهفةٍ وشُرودِ

آه هل غابَ عن ظلام حياتي
كيف ضاع الحبُّ الإلهيُّ يا طا
وأنا لم أزلْ فؤاداً على الشو
ليتنى كنتُ بُحْتُ يا حلْمَ الرو
كلُّ ما كان لهفةً وفُتُوناً؟
ثرى الحرَّ فانفجرتَ ظُنُوناً؟
قِ يداري غرامه المدفوناً
ح وأعلنتُ حبِّي المكنوناً

كيف مرّت أيامنا كيف مرّت
ملء قلبي وقلبكُ الحبُّ والشو
كلّما حدثتْكَ عيناى بالحبِّ
كيف يا شاعري كتمنا ولم يَعْ
بين فكَّ الأشواقِ والأحزانِ؟
قُ ولكن نلوذ بالكتَمِمانِ
أعاقبُ عينيَّ بالحرِّمانِ
صِ كيويّد قبلنا عاشقانِ؟

كيف ضاعت عواطفى؟ كيف أنسو
ملئوا قلبك النبيل أباطيل
وقضيت الأيام أذرف إحسا
لا لقاء غير الظنون ولا فر

أنت أنت الذى احتفظت بذكرا
كيف غابت عن ذكرياتك أحلا
شهد العود كيف علمته حب
شهد المعبد الكئيب لحبى

يا نشيدى متى ستأتيك ألحا
فيم أقضى الأيام أكتم أشوا
أبدأ نلتقى فأعرض حيرى
إنها الكبرياء تملك الرو

ضاع عمري الحزين فى معبد الحزن
لم يزل حبى العميق عميقاً
لم أزل تضحك النجوم وتبكي
لم أزل فى الحياة ورقاءك الحي

ك غرامى وحيرتى ووفائى؟
ل وصاغوا كواذب الأنباء
سى دموعاً وأستلذ شقائى
حة غير الخيال والأصداء

ه فلم ينسها فؤادى الوفى
مى وشوقى وحبى الروحى
ك مثلى فهو المحب الشقى
أن حبنى مخلص أبدي

نى فتصغى إلى هتافات حبى؟
فى وقد ضاق بالعواطف قلبى؟
ولقلبي الكئيب أشواق صب
ح فيبدو المحب غير محب

ن وأذوته لهفتى وشكاتى
لم تزد السنين غير ثبات
وتغنى على صدى أهاتى
رى وما زلت أنت حلم حياتى

١٥-٣-١٩٤٥

مدينة الحب

فى عُمق صحراء الحياة، هناك فوق لظى الرمال
حيثُ الرياحُ الداوياتُ، مدينةٌ بين التلالِ

فى قلبها نهرٌ تُحيط به المفاوزُ والصخورُ
وشواطئُ لا ظلٌ فيها، لا خمائلُ، لا عطورُ

الماءُ يبدو وادعاً ووراءَ الألمِ العميقِ
أمواجهُ السُّمِّ الزُّعَافُ وإن بدا حُلُوَ البريقِ

كم زورقٍ خدعته جنَّياته ورسومهُ
كم حالٍ أودت به أمواجهُ وسمومهُ

والشاطئُ الثانى يلوحُ بالجمالِ وبالفنونِ
حتى إذا قاربتَه أبصرتِ إعصارَ المنونِ

لا شيءَ غيرُ الشوكِ والأشلاءِ فوق صُخوره
لا صوتٌ يسمعُ غيرُ ضجَّةِ دوده ونسوره

الليلُ فيه مخاوفٌ ووساسٌ لا تخمدُ
أبدًا يزلزله صُراخُ غامضٍ وتنهدُ

يا طارقَ البابِ المروعِ عُدْ ولا تهبطْ هنا
هذا الجمالُ سيستحيلُ دماً وماءً آسناً

هذي الشواطئُ، كلُّ ما فيها أسيٌ وتحسّرُ
فحذارِ منها فالسُّمومُ مُعدَّةٌ والخنجرُ

عيناك لا تسكُبْ بريقَهما على ظلماتِها
وصباك لا تدفنِ مُناه في شقاءِ حياتها

وفؤادك الخفاقُ صنُّهُ من قذَى آثامِها
ماذا رأيتَ من الحياةِ لتحتُمى بظلامِها؟

عُدْ، عُدْ إلى لهبِ الصحارى وانجُ من حممِ المدينة
لا تلقِ قلبك في اللظى وأصيحْ لشاعرةٍ حزينه

١٩٤٦-٧-١٩

إلى عيني الحزینتین

عَیْنِی، أَىْ أَسَىْ یَرِینُ عَلَیْکُمَا
وِیْثِیرُ فِی غَسَقِ الدُّجَى دَمْعِیْکُمَا؟

إِنِّی أَرِیْ خَلْفَ الْجَفُونِ ضَرَاعَةً
تَسْتَنْطِقُ الْکَوْنَ الْعَرِیْضَ الْمُبْهَمَا

أَفْقَانِ تَحْتَ اللَّیْلِ أَلْمَحُ فِیْهِمَا
قَطَرَاتِ ضَوْءٍ یَرْتَشِفْنَ الْأَنْجَمَا

الْکَوْنُ مَبْتَسِمٌ فَأَیَّةُ لَوْعَةٍ
یَا مَقْلَتِی تَلُوحُ فِی جَفْنِیْکُمَا؟

مَسْکِیْتَانِ، رَأِیْتُمَا مَا لَا یَرِیْ
جَیْلٌ أَقَامَ عَلَى الضَّلَالِ وَحَوِّمَا

جَهْلَ الْحَقَائِقِ فِی الْحَیَاةِ، فَلَمْ یُطَقْ
عَنْ زِیْفِهَا هَرَبًا وَعَاشَ مَسْهُومًا

مسكيتان كتمتُما حُمَمَ الأَسَى
فأبى تأوهُ خافقى أن تكتما

فإذا الدموعُ غشاوةٌ رَفَّتْ على
جَفْنَيْكُمَا، سَيْلاً سَخِيناً مُفْعَماً

ورأيتُما، خَلَلَ الدُمُوعُ، مَفَاتِنَ الـ
مَاضَى وطاف الشوقُ فى أفقيكما

عبثاً تصوغان التوسلَ فى الدُجَى،
قلبُ القضاءِ قَضَى بألا تَنَعَمَا

عبثاً، فيا عينيَّ لا تضرِّعا،
لا شىءَ يَرْجِعُ بالجِمالِ إليكما

حسبى وحسبُكما الرُضوخُ لما قَضَى
قلبُ الليالى فارضخا واستسلما

كم حالٍ من قَبْلِنَا فَقَسَدَ المَنَى
فَقَضَى الحِياةَ لوحدِهِ متجهَّما

يرعى الليالى مانحاً ظلماتها
روحاً مجنحةً وقلباً ملهماً

عيني، يا سرَّ الطبيعة، حدثنا
ماذا وراء الكائنات رأيتُما؟

رفعت دياجير الحياة ستورها
لكما وأبدت سرَّها المُستبهما

هاتا حديث الموت، هاتا سرُّه
قد آن، يا عيني، أن تتكلما

ما شاطئ الأعراف؟ ما ألوانه؟
ما سرُّ الخافى؟ صفاه وترجما

فى صدرى الخفاق قلبٌ راعشٌ
ما زال صَبّاً بالمفاتن مُغرماً

لولاه، يا عيني، ما غيتُما
بهوى الحياة ولا أصابكما الظما

عُذْراً إِذَا حُمِّلْتُمَا حُزْنَ الدُّنَا
لَوْلَايَ، يَا عَيْنِيَّ، مَا حُمِّلْتُمَا

وَكُفَى فِؤَادِي، فِي الْحَيَاةِ، شَقَاوَةً
أَتَى جَنِيَّتُ، مَعَ الْحَيَاةِ، عَلَيْكُمَا

١٩٤٥-٦-٢٥

خواطر مسائية

إذا زحفَ الليلُ فوق السُّهُوبِ
ومرَّتْ على الأفقِ كفُّ الغيومِ
ولم يبقَ غيرُ السكونِ الرهيبِ
ونام الدُّجى تحت جُنحِ الوجومِ

ولم يبقَ إلا نواحُ اليمامِ
وهمسُ السواقي وأناتُها
ووقعُ خُطى عساكرِ فى الظلامِ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها

جلستُ أناجى سكونَ المساءِ
وأرْمُقُ لونَ الظلامِ الحزينِ
وأرسلُ أغنيتى فى الفضاءِ
وأبكى على كلِّ قلبٍ غبينِ

أَصْبِيحُ إِلَى هَمَسَاتِ الْيَمَامِ
وَأَسْمَعُ فِي اللَّيْلِ وَقَعَ الْمَطَرِ
وَأَنَاتُ قُمْرِيَّةٍ فِي الظَّلَامِ
تُغْنِي عَنِّي الْبُعْدَ بَيْنَ الشَّجَرِ

وَأَهَاتُ طَاحُونَةً، مِنْ بَعِيدِ
تَنُوحُ الْمَسَاءُ وَتَشْكُو الْكَلَالُ
تَمُرُّ عَلَيَّ مَسْمَعِي بِالنَّشِيدِ
وَتَفْتَأُ تَصْدَحُ خَلْفَ التَّلَالِ

أَصْبِيحُ وَلَا صَوْتَ غَيْرِ الْأَنِينِ
وَأَرْنُو وَلَا لَوْنَ غَيْرِ الدُّجَى
غَيُومٌ وَصُمْتُ وَلَيْلُ حَزِينِ
فَلَا عَجَبُ أَنْ أَحْسَّ الشَّجَا

رَأَيْتُ الْحَيَاةَ كَهَذَا الْمَسَاءِ
ظِلَامٌ وَوَحْشَةٌ جَوْ كَثِيبِ
وَيَحْلُمُ أَبْنَاؤُهَا بِالضُّيَاءِ
وَهُمْ تَحْتَ لَيْلٍ عَمِيقٍ رَهِيبِ

طَبِيعَتُهَا أَبَدًا بَاكِيةُ
فَصَصَمْتُ الدُّجَى وَأَنِينُ الرِّيحِ
وَتَنَهِيْدَةُ النَّسَمِ السَّارِيَةِ
وَدَمْعُ النَّدَى فِي عَيُونِ الصَّبَاحِ

وَأَبْصَرْتُ عِنْدَ ضَفَافِ الشَّقَاءِ
جَمْعَ الْحَزَانِي وَرَكْبَ الْجِياعِ
تُشَرِّدُهُمْ صَرَخَاتُ الْقَضَاءِ
وَمَا أَرْسَلُوا هَمَّسَاتِ الْوَدَاعِ

وَأَصْغَيْتُ لَكِنْ سَمِعْتُ النُّشَيْجُ
يُدَوِّي صَوْدَاهُ عَلَى مَسْمَعِي
وَرَاءَ الْقَسْصُورِ وَفَوْقَ الْمَرْوَجِ
فَمَنْ يَا تَرَى يَتَغَنَّى مَعِي؟

سَأَحْمِلُ قِيْثَارَتِي فِي غَدِ
وَأَبْكِي عَلَى شَجَنِ الْعَالَمِ
وَأُرْثِي لَطَالِمْهُ الْآنْكَدِ
عَلَى مَسْمَعِ الزَّمَنِ الظَّالِمِ

١٩٤٥-١١-٢٤

التمثيل

«هدية إلى قائمة الأسماء الغامضة المنطفئة التي
جاءت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم».

جى وألقيتُ بالكتابِ الحبيبِ
لى بغيرِ الحزنِ العميقِ المذيبِ
ضى الى قلبى الشجى المشبوبِ
عَدَمَ المرِّ والفناءِ الكئيبِ

ماءُ؟ ماذا قد كان من أجليها؟
أترى أدركوا السعادةَ فيها؟
غيرَ كأسٍ من سُمَّها رَشَفوها؟
ثم ألقوا أعباءها ونسوها

حمة تلك القلوبِ دونَ رجاءِ
تبقِ منهم شيئاً سوى الأسماءِ
ريخُ رفقا بأنفسِ الأحياءِ
مار؟ يا للأحزانِ يا للشقاءِ

قد سئمتُ التفكيرِ يا ليلى السا
لم تعدْ هذه الصحائفُ توحى
فهى صوتُ الآبادِ يحمله الما
فيُدَوِّى فى عمقِ نفسى صوتُ الـ

أسفاً يا حياةُ ما هذه الأسـ
كيف مرّت أيامهم ليت شعرى؟
أم ترى لم يكن لهم من جناها
وطووا لُجَّةَ الحياةِ سراعاً

أسلموا للترابِ والموتِ والظُلـ
وطوتهم يدُ الزمانِ ولم تسـ
آه يا مسوتُ يا مقادرُ يا تا
أكذا يُسدَلُ السُّتارُ على الأعـ

لَيْتَ كَفَّ النِّسيانَ قَدْ مَحَتِ الأَسَدُ
لَيْتَهَا لَمْ تَدْعُ عَلَى صَفَحَاتِ الدِّ
تَرَكَتْهَا سُخْرِيَّةً فِي فَمِ الدَّهْرِ
يَا حَيَاةَ هِمْنَا بِهَا وَهِيَ لَيْلٌ

أُيْهِذِي الأَسْمَاءُ يَا مَنْ تَبَقَّيَ
أَنْتِ يَا مَنْ بِالْأَمْسِ كُنْتَ شُعُوراً
كُلُّ لَفْظٍ وَرَاءَ أَحْرَفِهِ مَعْدُ
كُلُّ لَفْظٍ قَلْبٌ مَشَى تَحْتَ ضَوْءِ الدِّ

وَاسْتَحَالَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ رَمَاداً
كُلَّ حَيٍّ مَشَى بِهِ الأَهْلُ والأَصْدُ
وَتَصَدَّى لِلذِّكْرِيَّاتِ الْحَزِينَاتِ
فَشَدَّاهَا أَغْنِيَهُ ظَنُّهَا تُبْ

أَهْ يَا لِلْمَخْدُوعِ قَدْ بَقِيَ اللَّحْدُ
أَيْنَ الْحَنَانُ هُمْ؟ وَأَيْنَ أُمَانِي
أَيْنَ مَا حَدَّثُوا بِهِ اللَّيْلَ وَالْفَجْدَ
أَسْفَافاً شَاعِرِي! لَقَدْ بَادَ مَوْتَا

مَاءَ مَنْ قَبْلُ لَيْتَهَا لَمْ تَصْنُهَا
كُتِبَ ظَلاً مِنْهَا بِحَدِّثُ عَنْهَا
رَوْهَزَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ وَمِنْهَا
يَأْمُرُ الْمَوْتُ فِي دُجَاهُ وَيَنْهَى

تِ تَمَائِيلَ لَيْسَ فِيهَا حَيَاةُ
وَقُلُوباً تَشُوقُهَا النِّغَمَاتُ
نَحْنُ حَيَاةُ أَتَى عَلَيْهَا الْمَمَاتُ
شَمْسٍ يَوْمًا وَمِلْؤُهُ الرِّغَبَاتُ

وَاسْتَحَالَتْ أَعْمَارُهَا أَلْحَانَا
حَبَابُ لِلْقَبْرِ يَائِسِينَ حَزَانِي
تِ فَتَى شَاعِرٍ يَذُوبُ حَنَانَا
قَى حَيَاةَ الْمَوْتَى وَتَعْدُو الزَّمَانَا

نُ وَلَكِنْ أَيْنَ الَّذِينَ شَدَّاهُمْ؟
عَمْرُهُمْ؟ أَوْ حَقُولُهُمْ وَقُرَاهُمْ؟
رَ؟ وَأَيْنَ ابْتِهَاجُهُمْ وَأَسَاهُمْ؟
كَ وَأَبْقَيْتَ فِي الْوَرَى ذَكَرَاهُمْ

ما تُفِيدُ الذكري وقد خَبَتِ الأَلْـ
واستحال الأحياءُ في الكُتُبِ أسما
لست أدري ماذا حوى كلُّ لفظ
لست أدري إلا أساى وُحزنى

وأنا يا حياةُ ماذا سألقى؟
هل ستطوينى الليالى وتلقى
وغداً يطفى الزَّمانُ سراجى
ثم أغدو بين التماثيلِ تمثا

آه لا لا أريدُ فلتـرحمِ الآيا
وليكن من لحنى الحزينِ صدىً با
رحمةً لا تكن دموعى الدفوقا
وليُسَجِّلْ على ضريحى ما يـد

هكذا ينتهى شعورى بحرما
وأعزى بأن فى الكون من قلد
ويقولون: ذلك اسمُ فتاة
فسلامٌ على أساها وذكرأ

سحانُ واستسلمتُ لأيدى السكون؟
ء تُشيرُ الأسى لقلبى الحزينِ
من معان غابت وراء السنينِ
لضحايا الماضى وصرعى المنونِ

هل سأغدو لفظاً جَفَتْهُ المعانى؟
فوق عُمرى دياجر النسيان؟
ويضيعُ الردى صدى الحانى؟
لا؟ وأُنحى من الوجودِ الفانى؟

مُ دمعى وشقوتى واكتئابى
ق بسَمْعِ السنينِ والأحقابِ
تُ رثاءً مبكراً لشبابى
بقى شبابى وإن أكن فى الترابِ

نى وأنسى مأساة عُمرى الخادغ
بى بقايا من الأسى والمدامغ
طالما غنت النجوم اللوامغ
ها سلامٌ على صباها الضائع

١٩٤٦-٦-٣

ذات مساء

ثورة من ألم، من ذكـريـاتِ
خلفَ نفسي، ملء إحساسى العنيفِ
وجُمُوحٌ فى دمي، فى خَلَجَاتِي
فى ابتساماتي، فى قلبى اللهيفِ

إن أكنُ أبسمُ كالطفلِ السعيدِ
فابتساماتي وهمٌ وخِداغُ
إن أكنُ هادئةً، بين الورودِ
ففؤادى فى جنونٍ وصِراغُ

أىُ مأساةٍ تراها مُقلتايَا!
أىُ حُزنٍ عاصِرٍ فى نظراتي!
جَمَدَتُ فوق شقائى شَفَتايَا
وانحنتُ كَفَّايَ تحت الرَعَشَاتِ

لَا تَسَلَّنِي عَنْ خِيَالَاتِي وَلَحْنِي
فَالدَجَى الْآنَ بَغِيضٌ فِي عَيُونِي
أَيْنَ أَلْقَى بَصَرِي الْبَاكِي وَحُزْنِي
إِنْ أَنَا حَوَّلْتُ عَنْ كَفِّي عَيُونِي؟

أَيْنَ أَرْنُو؟ كُلَّمَا حَوَّلْتُ عَيْنِي
طَالَعْتَنِي صُورَةُ الْوَجْهِ اللَّهِيْفِ
ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي أَلْهَبَ فَنِّي
بِمَعَانِي الشِّغْرِ وَالْحَبِّ الْعَنِيْفِ

أَيُّهَا الْغَادِرُ، لَا تَنْظُرْ إِلَيَّ
قَدْ سَنِمْتُ الْأَمَلَ الْمُرَّ الْكَذُوبَا
حَسَبُ أَقْدَارِي مَا تَجْنِي عَلَيَّ
وَكَفِّي عُمْرِي حُزْنًا وَلَهِيْبَا

فِيمَ أَبْقَى الْآنَ حَيْرِي فِي مَكَانِي؟
أَهْ لَوْ أَرْجِعُ، لَوْ أَنْسَى شِقَائِي
أَدْفِنُ الْأَحْزَانَ فِي صَدْرِ الْأَغْصَانِي
وَأَنَاجِي بِالْأَسَى صَمْتُ الْمَسَاءِ

ليستنا لا نلتقي، ليت شَقَائِي
ظلَّ ناراً، ظلَّ شوقاً وسُهادَ
يا دُمُوعِي، أَيُّ مَعْنَى لِلْقَاءِ
إنْ ذَوَى الحُبِّ وأبلاه البِسمَادُ

أيُّهَا الأقدارُ، ما تبغينَ مِنَّا؟
فيمَ قد جئتِ بنا هذا المكانا؟
آه لو لم نكُ يا أَقْدَارُ جِئْنَا
ها هُنا، لو لم تَقْدُنَا قَدَمَانَا

ما الذي أَبْقَيْتِ في قلبي الجريحِ
ليس إلا الأَلَمَ المرَّ الشَّديدَا
لم يَعْذُ في جِسمِي الذَّأوى وروحِي
مَوْضِعُ يَحْتَمِلُ الجِرْحَ الجَدِيدَا

أَكْذا تنطفئُ الذِّكْرَى؟ وَيَفْنَى
حُبَّنَا؟ والأَمَلُ الشَّعْرَى يُخْبِوُ
أَكْذا تَذْبِلُ آمَالِي حُزْنَا
وهي أشْعارُ وأنغامُ وحبُّ؟

خَدَّرَ الْحَزْنَ حَيَاتِي وَطَوَاهَا
لَمْ تَعُدْ تَعْنِينِي الْآنَ الْحَيَاةُ
أَبْدًا يَنْطِقُ بِالْيَأْسِ دُجَاهَا
وَتُغْنِي فِي فَضَاهَا الْعَاصِفَاتُ

لَمْ يَعُدْ مِنْ حُلْمِي غَيْرُ ظَلَالٍ
مِنْ أَسَى مَرَّ عَلَى وَجْهِهِ الْمَرِيرِ
أَهْ لَا كَإِنْ بُكَائِي وَخَيَالِي
أَيُّهَا اللَّيْلُ، وَلَا كَإِنْ شَعُورِي

وَالْتَقِينَا، لَا فَوَادُ يَتَغْنِي
لَا ابْتِسَامُ رَسْمَتِهِ الشَّفَتَانِ
لَمْ يَعُدْ إِحْسَاسُنَا شَعْرًا وَفَنًا
لَيْتَنَا ضَعُفْنَا وَمَاتَ الْخَافِقَانِ

لَمْ يَعْسُدْ فِي نَفْسِي الْوَلَهَى مَكَانُ
لَأْسَى أَوْ فَرَحَةٍ أَوْ ذَكْرِيَّاتِ
أَيَّ مَعْنَى لِلْمُنَى؟ فَاتِ الْأَوَانُ
وَذَوَتْ عَيْنَايَ، تَحْتَ الْعَبَبَرَاتِ

والتقينا في الدُّجَى، كالغرباء
تحتُ جُنَحِ الصَّمتِ يطوينا الوجومُ
كلُّ شيءٍ ضاحكٌ تحتَ السماء
وأنا وحديّ تذويني الهمومُ

هكذا يا ليلُ صوّرتُ شقائِي
في نشيدٍ من كآباتي وحزني
قصّةٌ قد وقعتْ ذاتَ مساء
وحسوتُ روحِي وأحزاني ولحني

١٩٤٦-٥-٢

جزيرة الوحي

خُذْنِي إِلَى الْعَالَمِ الْبَعِيدِ
يَا زورقَ السِّخْرِ والخلودِ

وسِرْ بقلبي إلى ضفافِ
توحي إلى القلبِ بالقصيدِ

جزيرةُ الوحي، من بعيد،
تلوحُ كالمأملِ البعيدِ

الرمْلُ في شطّهِـــــــــــــــــا نَدَى
يرشَفُ من دجلةَ البــــــــــــــــرودِ

والقَمَرُ الحُلُو، في سَمَها،
أمنيّةُ الشاعِرِ الوحيــــــــــــــــدِ

فلتَسْـنُرِ يا زورقي بروحي
قد آن أن يستفـيـقَ عودي

وَأَنِّ لِلشَّيْءِ غَفَرٌ أَن يُغْنِي
بِالْحُلْمِ الضَّحَاكَ الشَّرُّودِ

حُلْمِي، وَقَدْ صَفْتُهُ نَشِيداً
يَهْشُ، مِنْ سِخْرِهِ، وَجُودِي

شَاعِرَتِي، حَذَّقِي، فَهَذِي
جَزِيرَةُ الشِّغْرِ وَالنَّشِيدِ

لَا حَتَّ، عَلَى الْبَعْدِ، ضَفَّتَاهَا
أُمْنِيَّةَ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ

إِنْ لَهَتْ الْمُقْلَتَانِ عَنْهَا
صَاحَتُ بِهَا الْأُمْنِيَّاتُ: عَوْدِي

فَلْتَسْبِسِمِي، يَا ابْنَةَ الْأَغْنَانِي
لِلشَّاطِطِ السَّاحِرِ الْمَدِيدِ

وَلْتُوقِفِي الزُّورَقَ الْمَعْنَى
تَحْتَ شُعَاعِ السَّنَا الْبَدِيدِ

العودُ والشِّعْرُ والأمانى،
شاعرتى، فاصْـدَحِـنِ وزيدى

قد ضَحَكَ العُمُرُ واستنامتْ
عواصفُ اليأسِ والنكودِ

وانقلبَ اليأسُ بشُـرِّياتِ
وأمنياتٍ، فأىُّ عيدٍ!

١٩٤٤-٩-٥

على وقع المطر

أمطري، لا ترحمى طينى فى عمق الظلام
أمطري صبى على السيل، يا روح الغمام
لا تبالى أن تعيدنى على الأرض حطام
وأحيلنى، إذا شئت، جليداً أو رخام

أتركى ربح المساء الممطر الداجى تجن
ودعى الأطيّار، تحت المطر القاسى، تن
أغرقى الأشجار بالماء ولا يحزنك غصن
زمجرى، دوى، فلن أشكو، لن يأتبك لحن

أمطري فوقى، كما شئت، على وجهى الحزين
لا تبالى جسدى الراعى، فى كف الدجون
أمطري، سيلى على وجهى، أو غشى عيونى
بللى ما شئت كفى وشغرى وجبينى

أغرقى، فى ظُلْمَةِ الليل، القُبُورَ الباليه
والطمي، ما شَتَّ أبوابَ القُصورِ العاليه
أمطرى، فى الجبَلِ النَّائى، وفوقَ الهاويه
أطفئى النيرانَ، لا تُبْقَى لِحىً باقيه

آه ما أرهَبَكَ الآنَ، وقد ساد السكونُ
غيرَ صوتِ الرِّيحِ، فى الأعماقِ، تدوى فى جنونِ
لم تَزَلْ تَهْمى، من الأمطارِ، فى الأرضِ، عُيونُ
لم يَزَلْ قلبى حزيناً، تحت أمواجِ الدُّجونِ

أيُّهَا الأمطارُ، قد ناداك قلبى البَشْرِىُّ
ذلك المَغْرَقُ فى الأشواقِ، ذاك الشاعرِىُّ
اغسليه، أم ترى الحزنُ حمَاهُ الأبدىُّ
إنَّه، مِثْلَكَ يا أمطارُ، دَقَّاقُ نَقْىِّ

أبدًا يسمعُ، تحت الليلِ، وقعَ القَطَرَاتِ
ساهماً يحلمُ بالماضى وألغازِ المماتِ
يسألُ الأمطارَ: ما أنت؟ وما سرُّ الحياة؟
وأنا، فيمَ وجودى؟ فيمَ دمعى وشكأتى؟

أيها الأمطارُ ما ماضيك؟ من أين نبعت؟
ابنةُ البحر أم السُّحب أم الأجواء أنت؟
أم تُرى من أدمع الموتى الحزانى قد عصرت؟
أم دموعي أنت يا أمطارُ في شدوى وصمتي؟

ما أنا؟ ما أنت يا أمطارُ؟ ما ذاك الخضمُّ؟
أهو الواقعُ ما أسمعُ؟ أم صوتك حلمٌ؟
أى شيء حولنا؟ ليلٌ وإعصارٌ وغيمٌ
ورعودٌ وبروقٌ وفضاءٌ مُدْلهمٌ

أسفاً لستُ سوى حلمٍ على الأرضِ قصيرٍ
تدفنُ الأحزانُ أيامي ويلهوي شُعوري
لستُ إلا ذرةً في لُجَّةِ الدهرِ المغيرِ
وغداً يجرفُنِي التَّيارُ، والصمتُ مصيري

وغداً تدفعُنِي الأرضُ سَحَاباً للفضاءِ
ويُذيبُ المَطَرُ الدَّفْاقُ دمعِي ودمائي
ما أنا إلا بقايا مطرٍ، ملءَ السماءِ
ترجعُ الريحُ إلى الأرضِ به، ذاتَ مساءِ

أمطري، دوى، اغلبى ضجّة أحزاني ويأسى
أغرقيني، فلقد أغرقتُ في الآلام نفسي
إملئى كأسى أمطاراً فقد أفرغتُ كأسى
واحببى عنى دجى أمسى فقد أبغضتُ أمسى

١٩٤٦-١٢-٩

شجرة الذكرى

مررتُ بها في المساء الدجى
فسألتُ رَحْلى في ظلِّها
وحَدَّقْتُ في خُضْر أوراقِها،
وروحى الكَثِيبَةِ في ليلِها
فهاجَتْ لقلبي دُجى الذكرياتِ
وأترعتُ لحنى من ويلِها
وصيَّرتُ مُتَّكأى ساقِها
وطافتُ شَجُونى من حولِها

تذكرتُ، والقلبُ في حُزْنِه
وقفوتُ، في ظلِّها الساحرِ
كأنَّ لم تمرَّ الليالى الطوالِ
على أمسى المبعِدِ الدابرِ
وقفتُ أكفكفُ دمعى السخينِ
وأصْرُخُ من ألى الأسرِ
أقصرُ على ظلِّها قصَّتى
وقصَّة شاعرى الغادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيب
وفى يدي الشوكةُ القاطعه
أمرُ بها، والأسَى غالبي،
على ساقها البرّةُ الوادعه
فيا ليدي جرحتُ ساقها
وجدتُ أزاخيرها اللامعه
كأنّي بذاك جرحتُ الحياه
وعاقبتُ أقدارها الخادعه

ومرّتُ على السنين الطوال
وطالَ عني يومي الخالدُ
فأبصرتُ فيه أساى البعيد
يُحسُّ به قلبي الواجدُ
فقلتُ لقلبي: هيا نطفِ
بها، وليثُرْ حزنك الهامدُ
سنسألها اليومَ عن جرحها
ألم يشفِ فيه الزمنُ الأبدُ

وَعُدْتُ إِلَيْهَا، كَأَنْ لَمْ تَمُرَّ
عَلَى السَّنِينَ وَأَقْسَدَارُهَا
فَوَادَى مَا زَالَ مَسْتَأْسِرًا
وَرَوْحِي مَا أَطْفَسَتْ نَارُهَا
يُقَيِّئُنِي ظِلُّهَا مِنْ جَدِيدٍ
وَتَحْنُو عَلَى الْقَلْبِ أَزْهَارُهَا
فِيَا نُبْلَهَا، صَفَحَتْ عَنْ يَدِي
وَمِمَّا زَالَ عِنْدَ يَدِي ثَارُهَا

وَدُرْتُ أَسْأَلُ عَنْ جُرْحِهَا
أَمَّا دَمَلَتْهُ أَكْفُ الْقَدَرِ؟
فَلَمْ أَرَ إِلَّا اخْضِرَارَ الْحَيَاةِ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا لُجْرُحٌ أَثَرُ
وَأَمَّا جِرَاحُ فَوَادَى الْحَزِينِ
فَمِمَّا زَلْنِ يَشْكُونُ طَوْلَ النَّصْدَرِ
فِيَا عَجَبًا لِلزَّمَانِ الْمَسِيءِ
مَتَى عَنْ إِسَاءَتِهِ يَعْتَذِرُ؟

١٤-٦-١٩٤٤

الخيال والواقع

رحمةً، لا تُنزليني من سَمَائِي
واتركيني في خيال الشعراء

اتركيني، لا تُعسِدي لي الظنونا
ودعيني أملاً الدنيا لحونا
وأصغُ عُمري جَمَلاً وفُتونا
أبداً أضدحُ حبّاً وحنينا
لحبيبي وأنا تحت سَمَائِي
وخيالي، من خيال الشعراء

اتركيني، أنا قد نُحتُ طويلاً
ودعيني أبصر الكونَ جميلاً
شَبِعَ القلبُ دموعاً وذُهِولاً
فدعيه يقطع العُمُرَ جَهُولاً
ويعش، مثلي في ظلَّ السماء
ويُشاركني خيال الشعراء

رحمةً بى، رحمةً، لا تُحزِنينى
ودعيني فى خيالاتى، دعيني
قصَّةُ الإثمِ وأنبياءُ المُجُونِ
لا تُقصِّيهَا على قلبى الحزينِ
ودعني، فى تعاليلِ السَّماءِ
ممعناً فى نشَواتِ الشُّعراءِ

إنْ يَكُنْ قلبى ظمآنَ وفياً
لا يرى فى شاعرى إلا نبياً
أو يَكُنْ يَكْتُمُ حُبّاً شاعرياً
فهو ما زال بأوهامى يحيا
أبدأ يرسمُ أحلامَ السَّماءِ
ويغنى أغنياتِ الشُّعراءِ

قد سئمتُ الواقعَ المرَّ المملا
ولقد عُدْتُ خيالاً مضمحلاً
فاتركينى بخيالى أتسلى،
آه كاد اليأسُ يعرونى، لولا
أننى لُذْتُ بأحلامِ السَّماءِ
وتخَّيرتُ خيالَ الشُّعراءِ

صُورِي مَا شِئْتُ لِي الْأَمْسَ وَسَحْرَةَ
يَوْمَ كَانَ الْحُبُّ فِي كَفِّي زَهْرَهُ
ارْسَمِي لِلْقَلْبِ أَحْلَامَ الْمَسْرَةِ
وَدْعِينِي أَذِقِ الْأَفْرَاحَ مَرَّةً
عَلَّنِي أَهْبِطُ مِنْ بُرْجِ السَّمَاءِ
وَيَجَافِينِي اكْتِنَابُ الشُّعْرَاءِ

لَا تُثِيرِي أَلْمِي، حَسْبُكَ أَنِّي
لَمْ أَزَلْ فِي مَعْبَدِ الْحُبِّ أَغْنَى
لَمْ يَزَلْ حُلْمِي رُؤْيَا مُتَتَمِّنَ
كُلَّ يَوْمٍ يَهْنَدُ الْيَأْسُ وَأَبْنَى
وَلَقَدْ شَيْدَتْ لِي بُرْجَ السَّمَاءِ
وَحَيَالَاتِي وَوَهْمَ الشُّعْرَاءِ

لَمْ يَكُنْ حَبِّي سِوَى حُلْمٍ غَرِيبٍ
مَدَّهُ الْوَهْمُ عَلَى قَلْبِي الْكُثِيبِ
أَسْفَا، لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ شُحُوبِي
وَأَغَارِيذِي آتٍ لِلْغُرُوبِ
لَمْ يَعُدْ لِي غَيْرُ أَحْلَامِ السَّمَاءِ
وَحَيَالَاتِي وَوَهْمَ الشُّعْرَاءِ

١٩٤٥-٨-٣١

السفينة التائهة

فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ الرَّهيبِ سَفِينَةٌ تَحْتَ السَّمَاءِ
أَلْقَتْ بِهَا الْأَقْدَارُ فِي لُجَجِ الْمَنَايا وَالشَّقَاءِ
الرَّيْحُ تَصْرُخُ حَوْلَهَا وَتَضِجُ فِي ظُلَمِ الْفَضَاءِ
وَالْمَوْجُ يَضْرِبُهَا وَيُلْقِيهَا عَلَى شَفَةِ الْفَنَاءِ

سَارَتْ وَلَا رَيَانَ يَهْدِيهَا إِلَى الشَّطِّ السَّحِيقِ
حَيْرَى يُخَادِعُهَا الظَّلَامُ فَلَا شُعَاعَ وَلَا بَرِيقَ
مِنْ فَوْقِهَا هَوْلُ الرُّعُودِ وَتَحْتِهَا اللَّجُّ الْعَمِيقُ
سَارَتْ وَمَا تَدْرِي إِلَى أَيْنَ الْمَصِيرُ وَمَا الطَّرِيقُ

الرَّيْحُ مَزَقَتْ الشِّرَاعَ فَأَيْنَ يَضْرِبُ زُورْقِي؟
وَالْمَوْجُ أَطْفَأَ ضَوْءَ مِصْبَاحِي فَمَاذَا قَدْ بَقِيَ؟
وَعَدَا سَيْنَسْكَبُ الدُّجَى فِي جَفْنِي الْمَغْرُورِ
وَتَسِيرُ أَمْوَاجُ الْبُحُورِ عَلَى شِبَابِي الْمَغْرُوقِ

لا شىء يمسحُ أدمعى، لا حلم تلمحه عيونى
لا شاطئُ ترنو إليه سفيتى، تحت الدُجونِ
كتبتُ لى الأقدارُ أن أمشى على شوك السنينِ
جسماً تعذبه كآبة خافقِ جَمِّ الحنينِ

رحماك يا أيدي الكآبة ما الذى قد كان منى؟
ماذا جنيتُ لتعصرى قلبى وأحلامى ولحنى؟
أبدأ تمُدِّينَ الجناحَ على خيالاتى وفنى
وتلونينَ مشاعرى بسواد آهاتى وحزنى

ويروحُ يصرخُ تحتَ عبثك قلبى المتمردُ
قلبى الذى ضاقَ الوجودُ به وعذبه الغدُ
قلبى الكئيبُ المُستَطارُ الشاعرُ المتنهدُ
يحيا على ظمأ الحياة فأين أين الموردُ؟

كم شاعر عبد الحياة وعاش يشدو بالجمالِ
أبدأ يفرُّدُ للطبيعة والكآبة والخيالِ
حتى إذا طلَّعَ الصباحُ على الصحارى والتلالِ
عثرَ الضياءُ على فتى مُسجى على كُثبِ الرمالِ

نَمَتْ عَلَيْهِ كَأَبَةٌ، لَمْ يَمَحُهَا الْمَوْتُ الرَّهِيْبُ
وَوَشَتْ بِهِ عَيْنَانِ رَانَ عَلَيْهِمَا الْيَأْسُ الْمَذِيْبُ
وَإِلَى يَمِينِ رُقَاتِهِ قِيَارُهُ السَّاجِي الْكُثِيْبُ
حَفِظَ الْوَفَاءَ لِمَنْ خَبَتْ أَلْحَانُهُ وَذَوَى اللَّهِيْبُ

يَا لَيْلُ، مَا نَفَعُ الْأَسَى؟ يَا بَحْرُ، مَا مَعْنَى الدَّمُوعِ؟
النَّوْءُ يَصْخَبُ دَاوِيَاً، وَالْمَوْجُ يَهْزَأُ بِالْقُلُوعِ
أَنْتَى تَسِيرُ سَفِينَتِي الْحَيْرَى إِذْنَ؟ أَنْتَى الرُّجُوعِ؟
فَلْنَمُضِ لِلْمَجْهُولِ، ذَلِكَ وَحْدَهُ مَا نَسْتَطِيعُ

١٩٤٦-٧-٧

قلب ميت

نعم، مات قلبي، أين أحزان حبه؟
وأين أمانيه؟ وأين أغانيه؟
حرارته أضحت رماداً مهشماً
وأحلامه ذابت على صدر ماضيه
هو الآن ثلجى العواطف، بارد
يقضى مع الأشباح غرلياليه
ويرغبه ذكر الممات وليله
فيدفن نيران الأسى فى قوافيه

وكان له من قبل هكل مغبد
يغنيه فى أحلامه وصلاته
من الحب والأحلام صاغ رؤاه
وألقى عليه آميات حياته
على صدره الشغرى تمثال شاعر
تذوب معانى الروح فى نظراته
يرى فيه إحساسى حياة نقيه
أطلت خفاياها على ظلماته

وكان صباحٌ... واستفقتُ فلم أجدُ
من المعبدِ الشعرى إلا رسومه
تَحَطَّمْ تمثالِ الجميلِ على الثرى
وألقى على قلبى النقى همومه
ورُحْتُ إلى حبيبى أمزق زهره
وأنثرُ أحلامَ الصبَا ونجومه
وينضبُ فى قلبى جمالُ شبابه
وينفثُ ليلُ الحزنِ فيه سُمومه

وها أنا ذى عُمري احتقارٌ وأدمعُ
وفى نفسى الولهى لظىٌ وتمردُ
أحنُّ إلى حبيبى الجميلِ وإن يكنُ
أشاحَ عن التمثالِ جَفْنى المسهدُ
وماذا تبقى الآن؟ شِلو حجارة
تضيقُ بها نفسى، وصخرٌ ممددُ
تعلّقَ قلبى بالنجومِ وقلْبُه
تمرّغَ فى الأوحالِ، والطينُ يشهدُ

هنالك، في الأمس البعيد، وليله
سأدفنُ تمثالِي وحُبِّي وأدمعي
أشيدُ قبراً من تمرٍ خافقي
وأسقيه من بُغضِي له وترقي
أغنيه الحانَ احتقاري وثورتي
وتهزأ أضواءُ النجوم به معي
وأزرعُ فيه الشوكَ والسُّمَّ واللَّظَى
وأتركُه شِلواً كقلبي المروع

١٩٤٦-٧-٢٨

بعد عام

تُكْ في ذلك الصبحِ الكئيبِ
أى برؤياك لم يخفَ قُطُوبى
أمُ فى بطنها المملُّ الرتيبِ
دُوروحى فى عاصفٍ من لهيبِ
سى ونارُ فى دمعى المسكوبِ
ق جبيني غلالةً من شحوبِ

مِ بناءُ تخيلى المصدومُ؟
فأ أضواءها الزمانُ اللئيمُ؟
كيف أبقتُ على حياتي الهمومُ؟
مدك عنى؟ ولم يُمثنى الوجومُ؟
ل، ألم يلقه إليك النسيمُ؟
سى، أما حدثتك عنه النجومُ؟

ندى فوق قلبى المكسورِ
تدُّ والشمسُ فى صفاءِ الأثيرِ
وةُ فى غفلةٍ من المقدورِ

مرَّ عامٌ يا شاعرى منذُ أبصرَ
مرَّ عامٌ لم تكتحلْ عينيَ الظمِ
الليالى تمرُّ تنبعُّها الأيّ
وأنا لهفةٌ وشوقى يزدا
ظمًا للحياة يملؤ إحصا
وشظايا كآبةٍ رسمت فو

مرَّ عامٌ من قال؟ هل أنا فى حدِ
أهو وهمٌ ما خلته سنةٌ أط
مرَّ عامٌ ولم أقابلك، ماذا؟
كيف طابت لى الحياةُ على بُغِ
الشهيقُ الحزينُ فى هدأةِ اللي
والشروءُ الذى أمات أحاسي

لم أزل أذكرُ الصبحَ الذى مرَّ
منذ عامٍ فى الشارعِ الصاخبِ المم
جمعتنا هنالك الصُدفةُ الحُد

والتقينا لم نبتسم لم أحدث
لحظة ثم أجهز الزمن القسا
سرتُ يمني وسرتُ يسرى ولم يـ

لك بما فى فؤادى المعصور
سى على قلب حلمى المسحور
ق سوى ثورتى ونار شعورى

ومضى العام كله، كل يوم
كل يوم أقول: يا قلبى الظم
ربما أشفقت بنا الصدف العم
لن يضر الأقدار فى ليها أن
فتدب الحياة ثانية فيـ
ويجنّ الشعور فى عمق أعما

ألقى الصباح بالأحلام
آن للصحو لا تضق بالغمام
يأ هذا الصباح بعد الظلام
تلقاك مرة بابتسام
ك وتصحو خوامد الأنغام
كك حياً حراً من الآلام

مر عام ودقت الساعة الحم
الثلاثاء لم يعدك إلى أش
مر عام كأنه حلم مر
مر عام لم يبق منه سوى لح
ليس إلا ابتسامتى المرة الظم
ليس إلا ظل من الصمت والله

قواء عشراً واستيقظت أحزاني
واق روى الممزق اللففان
على جفن شاعر وسنان
من حزين مغرورق الألمان
أى ودقات قلبى الحيران
نفة يبدو فى جفنى الظمان

١٩٤٥-٦-٢٦

العودة إلى المعبد

معبدى، عادت بى الأحزانُ فارأفُ بعذابى
عدتُ يا ليتك تَذرى بعضَ آلامى وما بى
عدتُ والقلبُ شريدُ تائهُ بين الضَّبَابِ
يتلوَّى فى إَسارٍ من حنينى واكتئابى

ذهبَ الأَمْسُ بأوهامِ فؤادى ومحاها
فإذا قلبى عَبدٌ ولقد كان إلها
أهَ فارأفُ بفتاةٍ حطَمَ الدهرُ منهاها
وأفاقتَ لِيَهْدَ الحزنُ واليأسُ قُواها

مَعبدى، افتَحْ لقلبي البابَ، قد طالَ وقوفى
أنا من ماتَ ربيعى فى أعاصيرِ الخريفِ
جئتُ ألقى بينَ كَفِّكَ أسى قلبى اللهيفِ
علَّنى أحظى بِظِلِّ فى مجاليكَ وريفِ

عُذْتُ، يَا مَعْبُدُ، لِلصَّمْتِ، فَلَنْ أَشْدُو بِحُبِّي
لَمْ يَعُدْ قَلْبِي يَهْفُو فَلَقَدْ وَدَّعْتُ قَلْبِي
حَسْبِيَ الْآنَ وَجُومِي وَكَأْبَاتِي حَسْبِيَ
حَسْبُ رُوحِي نَارُ إِحْسَاسِي وَأَهَاتِي وَرُغْبِي

أَسَفًا، كَيْفَ ذَوَى حُبِّي وَلَحْنِي وَرَجَائِي؟
لَيْتَنِي كُنْتُ تَنَاسَيْتُ، فَلَمْ أَرْعَ وَفَائِي
لَيْتَ حُبِّي لَمْ يُعَلِّمْنِي أَغَارِيدَ السَّمَاءِ
لَيْتَهُ خَلَقَنِي فِي الْأَرْضِ بَيْنَ الْأَشْقِيَاءِ

رَحْمَةً، مَاذَا تَرَانِي أَفْعَلُ الْآنَ بِفَنِّي؟
هِيَ ذِي آلِهَةِ الشَّعْرِ فَهَلْ تَمْسَحُ حُزْنِي؟
هُوَ ذَا الْعُودِ فَهَلْ يُسَعِدُ رُوحِي أَنْ أُغْنِي؟
رَحْمَةً بِي، مَا الَّذِي قَدْ أَبْقَتْ الْأَحْزَانُ مِنِّي؟

أَيْنَ أَمْسِي، وَهُوَ أَحْلَامُ وَالْحَانُ وَلَهْوُ؟
أَيْنَ أَيَّامِي إِذْ قَلْبِي مِنَ الْأَشْوَاقِ خَلَوُ؟
مَا الَّذِي أَبْقَى لِي الْحُبُّ؟ أَجِسْمِي، وَهُوَ نَضْوُ؟
وَفَوَادِي، وَهُوَ أَوْصَالُ؟ وَرُوحِي، وَهُوَ شِلْوُ؟

ادفني الأحلام، يا قلبي الخيالي المَحَطَّمُ
واستفّق من قبل أن ينطفئ الحُلُمُ فتندم
ما الذي أغراك بالحب؟ ومن أوحى وألهم؟
عَجَباً، كيف ترى الشرَّ بعينيك وتحلم؟

استفّق من حُلُمك الشعريّ وإيأس يا كئيبُ
ذبلت أغنية الحبِّ وواراها المغسبُ
وستبقى، أيها المحزون، في الشوق تذوبُ
أبدًا ترجو رجوعاً لهوى ليس يؤوبُ

ثم ماذا؟ أيُّ حُلُمٍ ترتجى يا ابن السماء
أنت في الأرض، فلا تحلُم بلُقياء الأوفياء
لا تُلِم شاعرك الغادرَ وابسم للشقاء
والتجى للعودِ تسعدُ يا حزين الشعراءِ

معبدي، افتح لقلبي الباب، لا تقسُ عليه
ليسجدُ عندك سلواه لينسى أمليه
يا لمحزون شقيّ مزق الشوك يديه
ملء دنياه عبوس، فابتسم أنت إليه

١٩٤٤-٨-٩

عيد الإنسانيّة

« ٨ / ٥ / ١٩٤٥ يوم الهدنة »

فى دمي لحنٌ من الشوق جديداً
والمجاليّ حوالىّ نشيداً
ليلتى هذى ابتساماً وسُعوداً
طافَ بالأفقِ فغناهُ الوجودُ
هى يا قيثارتي لحنٌ سعيدُ
هى شِعْرٌ، هى وَحْيٌ، هى عودُ
هذه الليلةُ للعالمِ عيدُ
وهى، يا قيثارتي، الحلمُ الوحيدُ

أين أوتارك يا عودى الحبيبِبا
شُدّها واصدَحْ ولا تَبْقَ كشيّبا
لم تَعُدْ دُنْيَاكَ جَمْرًا ولهيّبا
أنتَ يا مَنْ عِشْتَ فى الكونِ غريباً
نَعَمُ السّلمِ سَرى فَاخى طَروباً
واملاً الدّنيا لُحُوناً وطُيوباً
وانسَ أَمْساً مِلاً الكونَ خُطوباً
آنَ للأفراحِ أنْ تمحو الكُروباً

فرحة الهدنة، يا بشرى لفتى
أنا أحلم؟ أم تكذب أذنى؟
أم هي الفرحة قد لاحت لعيني؟
حلم الصبابة ورؤيا التمني
يا إله الشفيع نَحِّ الصمت عني
آن أن أنسى ضراعاتي وحزني
آن أن أحبي الأمان وأغني
ومعى قلبي وأشعاري ولحن

أنا من غنت دموع الأشقياء
وبكت أشعمارها للأبرياء
كم صريع قبره تلج الشتاء
ويتيم مهده شوك العراء
وصبايا كسرت سم القضاء
قبل أن ترشف كأساً من هناء
صغت أحزاني وحبي ووفائي
هو أحزاني وحبي ووفائي

ولقد صوّرتُ أحلامى سنيّنا
وهى ما زالت سَـرّاباً. وظنونا
وإذا الرحمة تُنْجى الحالمينا
بالسّلامِ الحلو، حلّم المنشدين
وصدّى الوحي ولحن الشاعرينا
لم يُعِدْ قلبُ المقاديرِ ضنيننا
فابسمي، شاعرتي، فى الباسميننا
واملئى المعبدَ زهواً وفتونا

آه يا شاعرتي، غنى الأمانى
واسمعى، هذا هُتافُ المهرجانِ
فالنواقيسُ، على البُعْد، أغانِ
بشّرتُ بالفجرِ أحزانَ الزمانِ
وصدّى السلمِ على كلّ لسانِ
فاتنَ النغمةِ علوى المعانى
إنها الفرحةُ، يدرى المشرقانِ
أقبلتُ تأسو جراحَ الحداثِ

١٩٤٥-٥-٨

ليلة ممطرة

الآن يا نجمي تغيبُ ولم يحنْ وقتُ الأفول؟
الآن والليلُ الجميلُ يريقُ ضوءك في الحقول؟
والزهْرُ، تحت الليلِ، نشوانُ بمشرقك الجميل؟
والنهرُ، والشيطانُ تضحكُ تحت أشجارِ النخيلِ

الآن تغربُ؟ يا لمأساةِ الجمالِ الذابلِ
يا نجمي المأسورَ في كفِّ الضبابِ الشاملِ
يا فيلسوفَ الليلِ، يا سرَّ الوجودِ الداهلِ
عبثاً أناشيدِي إلى أضواءِ نجمِ آفلِ

عبثاً سهرتُ الليلَ أرنو والتفجعُ غالي
أتزوّدُ النظرَ الأخيرَ إلى ضياكِ الشاحبِ
وأصوغُ الحانَ الرثاءِ على صباكِ الذهابِ
وأحوكُ من دمعِي الضياءَ لكلِ نجمِ غاربِ

رحمأك يا نجمى الجميل متى نهاية ليلتى؟
ومتى ستنقشع الغيوم وتستريح كآبتى؟
قد شاق قلبى أن أحس الصمت تحت خميلتى
وتجوب عيناى الفضاء وفى يدى قيثارتى

مازلت أنتظر السكون وليس غير صدى المطر
والريح فى سمع المساء تن ما بين الشجر
لا طير يمرح فى الحقول ولا أريج ولا زهر
لا شىء غير صراخ رعد هاتف بأسى البشر

ومن الظلام تصاعدت آهات قمرى الغصون
ذهبت بمكمنه الرياح وعزه المأوى الحنون
حيران، مرتعش الجناح، مجرّح تحت الدجون
رحمأك يا رب العواصف، حسبنا المطر الهتون

أين الفضاء الحلو؟ أين الصحو؟ أين سنا النجوم؟
من جمع المطر الكئيب، وبث فى الليل الغيوم؟
يا ريح رفقاً بى ورفقاً بالعرائش والكروم
رفقاً بقمرى المروج فقد أمضته الهموم

قد كان في قلبي أمان يا رياحُ فحُتَّها
قد كان في هذا المساءِ مَفَاتِنُ فمحوَتها
قد كان في المرجِ الجميلِ عرائشُ أذبلتِها
قد كان في ثَبَجِ السَّمَاءِ كواكبُ أطفأتِها

وبقيت، في الليلِ الكئيبِ، أصبحُ للمطرِ الكئيبِ
وعلى فمي اللحنُ الغريبُ، يصوغهُ قلبي الغريبُ
وتلوحُ لي خَلَلِ النوافذِ ظلمةُ الليلِ الرهيبِ
عبثاً أغذى موقدي فالآنَ ينطفئُ اللهبُ

قد حطَّمِ الإعصارُ نافذتيَّ وانطفأ الضياءُ
والآنَ لا أضواءَ حولي غيرَ إبراق السماءِ
يا ضبْجَةَ الإعصارِ في الآفاقِ، يا مَطَرَ المساءِ
الآنَ أَلْتَمِسُ الرُّقَادَ إلى غَدٍ فإلى اللقاءِ

١٩٤٦-١١-٦

أنشودة الأبدية

«إلى القيثارة الإلهية التى منحت الإنسانية أروع
الألحان، إلى تشايكوفسكى الموسيقى الروسى،
ذكرى لمرور أربع وخمسين سنة على وفاته».

سأحبُ الحياةَ من أجلِ الحَا
سأرى فى النجومِ من نورِ أحلا
نك يا بلبلِ الحزينِ وأحيا
مك ظلاً مُـخَلِّداً أبدياً

سأناجى فى الليلِ جُنْحاً من الأحـ
سأحسّ فى الكرمِ فيضاً من الأسـ
زآن يوماً ألقى عليك ظلاله
رأر أضفى يوماً عليك جماله

وإذا ثارتِ العواصفُ فى الليـ
لمستُ روحى المشوِّقةُ فيها
ل وراءِ الحقلِ الرهيبِ الدجى
ذكرياتٍ من روحك النارى

آه يا أيُّها الملاكُ إلى رو
أنا تلك التى حياتى على الأر
حك، فى الموت، حنَّ روحى الحزينُ
ضِ اكتئابٌ ووحشةٌ وحنينُ

آه لو كنتُ عشتُ مثلك فى الما
لولا رأيتُ الإلهامَ يملأ عينى
ضى وأبصرتُ وجهك العلويّاً
لك ضياءٌ ووجهك الشعاعياً

آه لو بعتُ كلَّ عمري بيومٍ
من بعيدٍ أرنو إلى الهيكل السا

شاعري يراك فيه وجودي
مي وأصغى إليك يا معبودي

وأرى كيف يُغرقُ الحزنُ مرآ
وأحسُّ أرتعاشَ قلبك للحُسْنِ

ك وتبدو أسرارهِ في عيونك
من وظلَّ الشُّرودِ فوقَ جبينك

وأرى كيف تُرجفُ الوترُ المسن
كيف ترنو إلى الحياة وما فيه

حورَ كفاك يا ملاكي النبيل
ها وتستلهمُ الوجودَ الجميل

وأرى كيف يغسلُ الدمعُ عيني
وأرى كيف يرقصُ الألمُ الطا

ك وتبكي في وحشةِ الإنفرادِ
هرُ في مقلتيك قبلَ الرُّقادِ

كيف يأتى الدُّجى عليك فترنو
بين فك الذكرى يعذبك الشو

في زهول إلى ظلالِ الماضي
ق وتبقى في رَغْشةٍ وانتفاضِ

كيف تحت الدُّجى تهيمُ على وجـ
هارباً من صراخِ نفسك من دُنـ

هك بحثاً عن لحظة من هدوءِ
يياك من عالم الوري الموبوءِ

هَارِباً هَارِباً تَحْدُقُ فِي النَّهْرِ
تَتَمَنَّى أَنْ يَدْفِنَ الثَّلْجُ بِلْوَا

رُوماً فَوْقَ مَائِهِ مِنْ جَلِيدٍ
كَبَعِيداً عَنْ اضْطِرَابِ الْوُجُودِ

أَهْ يَا بَلْبَلِي وَقَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ
أَخْمَدَ الصَّمْتَ وَالْفَنَاءَ أَغَانِي

تُأَخِيرُ أَخيراً وَغَبْتَ عَنْ دُنْيَانَا
لَكَ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ رَجْعِ أَسَانَا

رَقَدَ الْحَالِمُ الْإِلَهِيُّ تَحْتَ الْكُلِّ
أَنْغَامِهِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

فَجَرَّ جَسَماً مَيِّتاً وَرُوحاً أَصَمّاً
أَيُّ وَأَحْلَامِ رُوحِهِ عَذَنَ حُلُمَا

وَعَلَا ذَلِكَ الْجَبِينُ الْأَثِيرُ
وَهَوَى ذَلِكَ الْإِلَهُ السَّمَاوِيُّ

شَحُوبُ الْمَوْتِ الْمَرِيرِ الْقَاسِي
عَلَى الْأَرْضِ خَامِدَ الْأَنْفَاسِ

عَبَثاً قَبْلَتْهُ آلِهَةُ الْفَجْرِ
عَبَثاً ذَكَّرَتْهُ رَبَّةُ مُوسَى

رِوْغَتْهُ أَعَذَبَ الْأَنْغَامِ
قَهَاهُ بِالذِّكْرِيَّاتِ وَالْأَحْلَامِ

أَيُّهَا الْمَوْتُ أَيُّهَا الْمَارِدُ الشَّرُّ
كَيْفَ تَرْضَى يَدَاكَ أَنْ تَقْتُلَ الْإِلَـهَ

يُرِيَا لَعْنَةَ الزَّمَانِ الْعَنِيدِ
هَامٌ؟ مَاذَا تَرَكْتَهُ لِلْوُجُودِ؟

سوف تفنى يداك أنت ويبقى
سوف تبقى نجواه تخفق فوق الأ

ظلُّ ذاك الطير الجميل الوديع
رضٍ بالحب والجمال الرفيع

أيها الحاقد الترابي أما
إنَّه الآن فوق حقدك فوق الأ

أنت فاحقد وعش على الأضغانِ
رضٍ، فوق الفناء والنسيانِ

١٩٤٧-٦-٣

على الجسر

يا نَهْرُ لا تحفظ دموعي أو أسي قلبي المروع
اكنم - حنانك - ما تساقط في مياهاك من دموعي

ذهب المساء بكل ما أبصرت من حزني العميق
ومحا الدجى من عمر يأسى ليلة لن تستفيق

انس الذي أبصرته بالأمس من أحزانيه
واكنم أساى وأدمعى تحت النجوم الحانية

انس الخطى المتعثرات وصوتى المتهدجا
والدمع، يخنق كل ألفاظى بكف من شجا

رحماك أنت الكاتم الحانى على المتأوهين
وحنان موجك كم طوى قلباً يعذبه الحنين

أنت الذى شهدت مياهاك أدمعى وترددى
أنت الذى سمعت ضفافك آهتى وتنهدى

وَمَشَيْتُ فَوْقَ الْجَسْرِ أَبْكِي أُمْنِيَاتِي فِي سَكُونٍ
وَأَدِيرُ وَجْهِي، نَحْوَ مَوْجِكَ، عَنْ عُيُونِ الْعَابِرِينَ

أَحْزَانُ حَبِيٍّ كُلِّهَا، فِي شَاطِئِكَ، نَفَضْتُهَا
أَسْرَارُ رُوحِي كُلُّهَا، تَحْتَ الظَّلَامِ، نَثَرْتُهَا

لَمْ أَسْتَطِعْ، يَا نَهْرُ، كَثْمَانَ الْعَوَاطِفِ وَالشُّعُورِ
مَنْ يَمْنَعُ السَّيْلَ الْقَوِيَّ مِنَ التَّدْفِقِ وَالْمَسِيرِ؟

وَإِذَا طَفَى الْحُزْنُ الْعَمِيقُ فَمَنْ يَرُدُّ هَدِيرَهُ؟
وَإِذَا ذَوَى الْأَمَلِ الْجَمِيلُ فَمَنْ يُعِيدُ عَبِيرَهُ؟

عَبَثًا أَقَاوِمُ نَارَ أَحْزَانِي فَلَنْ يَخْبُوَ اللَّهَيْبُ
أَبَدًا تُذَكِّرُنِي الْحَيَاةُ بِرُوعَةِ الْمَاضِي الْحَبِيبِ

حُلْمُ إِلَهِي الْجَمَالِ رَسْمَتُهُ تَحْتَ النُّجُومِ
وَبَنِيَّتُهُ قَصْرًا مِنَ الزَّهْرِ الْمُنْضَرِّ فِي الْغُيُومِ

وَصَبَّبْتُ فِيهِ، مِنْ حَيَاتِي، صَفْوَهَا وَنَقَاءَهَا
وَنَثَرْتُ فِيهِ، مِنْ زُهُورِي، عِطْرَهَا وَرُوءَاهَا

وهرعتُ، كالطفلِ النقيّ، إلى رجائي الأوحِدِ
فرايتُ قصرى الحلو أطلالاً تثير تنهّدى

لا شيء يمحو ذكرياتِ الأَمسِ من قلبى الكئيبِ
لا نورَ ينفذُ فى ظلامى، لا انطفاءُ للهِيبِ

فى عُمقِ أعماقى أعاصيرٍ يُجنُّ جنونها
وعلى جفونى رَسَمُ أحلامٍ يَضِجُ حنينها

أَيَّانَ أنجو من ظلالِ الأَمسِ، أينَ ترى المَفَرَّ،
والليلُ يعكسُ ذكرياتى، والأغانى والشَجَرُ؟

يا نهرُ فلتَدفِنِ شكَاياتى ومُرَّ شُجونها
الآدميّةُ إن بكتْ فليُصَغِّفها وجنونها

١٩٤٦-٩-٢٥

إلى الشاعر كيتس

الإشارات إلى قصيدته

“Ode to a Nightingale”

حياتى وآلامُ رُوحى الحزينِ
وأحلامى المُرّةِ الداويةِ
ومسوكبُ أيامىِ الذاهِباتِ
وأطيفافُ أيامىِ الآتيةِ
تجمّغنَ فى باقيةِ من عبيرِ
ثوّتْ خلفها رُوحىِ الفنانيهِ
وأهديتُها نغمًا حالماً
إلى رُوحك الحُرّةِ الباقيةِ

حياتى، يا شاعرى، كلها
حياة فتاة من الحالمينِ
إلهية الروح لكنّها
على الأرضِ حَفَنَةُ ماءٍ وطينِ
تُعذبُها صَرَخاتُ الأسيِ
وترعشُها صَدَمَاتُ السنينِ
ولولاك ما وجدتُ فى الثرىِ
عزاءً، ولم يَجْتَذِبْها الحنينُ

أناشيدك الخالدات العذاب
نشيدى وأغنيتى الهاتفه
فكم ليلة من ليالى الشتاء
دفعتُ بها ضجَّةَ العاصفه
وأسمعتها النارَ فى موقدى
وغنيَّتُها الظلَّةُ الوارفه
وأيقظتُ فى ظلِّها فنتتى
ونارَ عواطفى الجارفه

وكم فى ليالى الخريف الكئيب
وقفتُ أحرقُ عند النَّهرِ
أصيحُ إلى صوتِ قُمْرِيَّةٍ
سَجَّتْ فوقَ بعضِ غُصُونِ الشَّجَرِ
أفتشُ فى صَوْتِهَا عن شَجَاكَ
وشكواك بين الأسى والفكرِ
وأسألُها عن شبيبِابِ ذوى
وظلِّ صِيبِا راقِدِ فى الحَفْرِ

أَقُولُ لَهَا: صَوِّرِي مِنْ جَدِيدِ
ظِلَامِ الْمَسَاءِ الْكَثِيبِ الْبَعِيدِ
وَمَا كَانَ مِنْ شَاعِرِي فِي دُجَاهِ
وَأَهَاتِهِ وَأَسَاءِ الْمُبِيدِ
صَفَى حُزْنَهُ عِنْدَ رَأْسِ الْمَرِيضِ
وَوَحْشَتَهُ وَالرَّجَاءَ الْبَدِيدِ
صَفَى ذَلِكَ الْجَسَدَ الْأَدْمَى
وَمَا قَالَ عِنْدَ وَدَاعِ الْوُجُودِ

صَفَى شَاعِرِي كَيْفَ أَمْضَى الْمَسَاءِ
عَلَى قَسَدَمَى ذَلِكَ الْمَيِّتِ
يُصْبِغُ إِلَى النَّغَمَاتِ الْحَنُونِ
وَيُطْرَقُ إِطْرَاقَ الْمُنْصَتِ
صَفِيهِ، كَمَا أَرَعَشْتُهُ الْحَيَاةَ
أَسَى، تَحْتَ سَيْفِ الرَّدَى الْمُصَلَّتِ
عَلَى كَفِّهِ رَأْسُهُ الشَّاعِرِي
وَحِيداً، إِلَى جَانِبِ الْجِثَّةِ

وكيف تولّى المساءُ الحزين
على شُعْلة الشَّمْعَةِ الشَّاحِبَةِ؟
وهل صَرَخَتْ فِي الظلامِ الرياحُ
كما صَرَخَتْ نَفْسُهُ الصَّاخِبَةُ؟
«هنالكَ حيثُ يموتُ الشَّبَابُ
وتَذْوَى أَشْعَتُهُ الْفَارِبَةُ»
هنالكَ حيثُ الذَّهْوُلُ الْغَرِيبُ
يودّعُ رُوحَ الْمُنَى الْذَاهِبَةَ

وَتَمْضِي اللَّيَالِي إِلَى قَبْرِهَا
وَتَمْشِي الْحَيَاةُ مَعَ الْمَوَكِبِ
أَسِيرُ أَنَا فِي شِعَابِ الْوُجُودِ
أَفِئْتَشُ عَنْ حُلُمِي الْمُتَسَعِّبِ
تُخَادَعُنِي كُلُّ قَسَمِ رِيَّةٍ
وَتَعْبَثُ كُلُّ الْأَغْصَارِ بِبِي
وَمَا زَالَ طَيْفُكَ طَى الْخَفَاءِ
تُحَجِّبُهُ ظُلْمَةُ الْمَغْرِبِ

١٩٤٧-٢-٦

«صوت التشاؤم»

لِ تَطِيلُ التَّحْدِيقَ تَحْتَ الدِّيَاجِي
لَأَنِينِ الرِّيَّاحِ وَالْأَمْـوَاجِ
عَلَى رَائِعٍ مِنَ الْأَنْبِـجَاجِ
أَغْرَقَتْهُ الْمِيَاهُ خَلْفَ السِّيَّاجِ

وَتَبْكِي فِي مَسْمَعِ الظُّلُمَاتِ
يَهُ وَالْبِائِثِينَ مِنْ وَيَلَاتِ
جِ فَبَاتُوا صَرَغِي الْقَضَاءِ الْعَاتِي
لِ وَمَا مِنْ مَنْجَى مِنَ الْمَاسَةِ

رَدَّدَتْهُ الرِّيَّاحُ لِلْأَشْجَارِ
تِ وَصَرَغِي الْأَمْوَاجِ وَالْأَقْدَارِ
لِ لِقَلْبِ الظَّلَامِ وَالْأَسْرَارِ
نُ وَحَكْمُ الْآهَاتِ وَالْدَمْعِ جَارِ

هِيَ ذِي يَظْلَامٍ عَاشِقَةُ اللَّيْلِ
وَقَفْتُ عِنْدَ شَاطِئِ النَّهْرِ تُصْغِي
وَتَرَى اللَّيْلَ غِيْهَبًا رَاعِبَ الظِّلِّ
وَتُحَسُّ الْحُزْنَ الْعَمِيقَ لِحَقْلِ

وَقَفْتُ فِي الدُّجَى تُحَسُّ الْأَسَى الْمَرَّ
وَتَرَى بِالْخِيَالِ مَا حَلَّ بِالْقَرِّ
فَجَاءَتْهُمْ، تَحْتَ الدُّجَى، لَجَّةُ الْمَوِ
وَمَضَوْا يَضْرِبُونَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ

وَتَعَالَى تَحْتَ الظَّلَامِ صُورَاحُ
هُوَ صَوْتُ الْأَحْيَاءِ، فِي لَجَّةِ الْمَوِ
عَبَثًا تَضْرَعِينَ، عَاشِقَةُ اللَّيْلِ
عَبَثًا فَالْحَيَاةُ سَتُّهَا الْحَزْ

«صوت الأمل»

سِرُّ بِنَا سِرِّ يَا زُورِقَ الْأَمَلِ الْعَذِّ
وَتَعَالَى الدَّوَى فِي النَّهْرِ الْبَا
سِرُّ بِنَا لَنْ نَخَافَ مِنْ ضَجَّةِ الْمَوْجِ
نَحْنُ فِي الْمَوْجِ دَقَّةٌ طَالَمَا لَا

بِ وَإِنْ أُسْدَلَتْ سَتُورُ الظَّلَامِ
كَيْ عَلَى مَسْمَعِ الْقُلُوبِ الدَّوَامِ
ج وَلَنْ نَرْهَبَ الْعُيُوبَ الطَّامِ
قَتَ رِيَّاحَ الْأَقْسَادِ وَالْأَيَّامِ

سِرُّ بِنَا حَيْثُ مَا يُرِيدُ لَنَا الْمَجْدُ
لَنْ تَنَالَ الْحَيَاةُ مِنَّا فَقَدْ دُقْ
وَرَمَتْنَا أَحْزَانُهَا فَصَبَّرْنَا
وَعَدَا تَنْضَبُ الدَّمُوعُ وَتَفْنَى

هَوْلُ سِرِّ فِي هَذَا الْوُجُودِ الْحَزِينِ
نَا أَسَاهَا فِي عُمُرِنَا الْمَغْبُونِ
وَعَدَا مَغْرِبُ الْأَسَى وَالشُّجُونِ
ضَجَّةُ الْمَوْجِ فِي عَمِيقِ السَّكُونِ

سَوْفَ تَصْفُو الْأَمْوَاجُ فِي لَجَّةِ النَّهْرِ
وَتَعُودُ النِّخِيلُ تَضْحَكُ لِلشَّطْرِ
وَيَعُودُ الْمَلَّاحُ يَخْرُجُ بِالزَّوْ
هَكَذَا يَرْجِعُ الصَّفَاءُ إِلَى الْوَا

رٍ وَيَخْبُو الْإِعْصَارُ خَلْفَ التَّلَالِ
كَمَا كُنَّ فِي اللَّيَالِي الْخَوَالِي
رَقٍ نَشْوَانٍ ضَا حَكَ الْأَمَالِ
دَى وَيَغْفُو عَلَى جَمَالِ اللَّيَالِي

«صوت الشاعر»

مُفَرَّقٌ فِي خِيَالِهِ شَارِدُ الْعَيْنِ
يَذَرَعُ الضَّفَّةَ الْجَمِيلَةَ مَفْتُو
وَيَرَى اللَّجَّةَ الرَّهِيْبَةَ سَحْرًا
وَعَلَى الْبُعْدِ مَنْظَرُ النَّخْلِ فِي النَّهْـ

هَكَذَا الشَّاعِرُ الْخِيَالِيُّ يَقْضِي
وَيَرَى فِي طُغْيَانِ مَائِكَ يَا نَهْـ
فَهُوَ ذَاكَ الطَّيْرُ الْمَغْرَدُ بِالشَّعْـ
تَتَصَبَّأُهُ مَوْجَةٌ تَغْسِلُ الشَّطْـ

كُلُّ مَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحُلُوَّةُ الْمَفْـ
كَيْفَ لَا وَهُوَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ الْمُرْـ
عَاشِقُ الصَّحْوِ وَالْغَيْومِ الْحَزِينَا
وَرَسُولُ السَّمَاءِ لِلْعَالَمِ الْبَا

(١٩٤٦)

الخطوة الأخيرة

اشهدى أيتها الأشجار، أنى
لن أرى ثانيةً تحت الظلالِ
ها أنا أمضى فلا تبكى حُرزنى
لا يُعذّبك اكتئابي وابتهاالى

خُطواتى، فى الدُجى لا تحسبها
إنّها آخرُ ما أخطو هنا
إنّها رجْعُ أغاني لن تعيها
سوف تَذوى مثْلما أذوى أنا

خُطواتى، أى رجْعٍ مُخزنِ
آه لو لم أسمع الصوت الكئيبا
ليتنى أفتقد حسّى، ليتنى
لم أشاهد ذلك الحلم الغريباً

أَيُّ حُلُمٍ ذَابِلٍ فَوْقَ الرَّمَالِ
صُغْتُ فِيهِ كُلَّ مُوسِيقَى حَيَاتِي
كُلَّ أَحْلَامٍ شَبَابِي وَخَيَالِي
كُلَّ مَا فِي خَافَقِي مِنْ نَعَمَاتِ

هَآ أَنَا أَرْحَلُ، يَا أَشْجَارُ، عَنْكَ
تَحْتَ عَبءٍ مِنْ شُرُودِي وَخَشْوَعِي
لِيَتَنَّى أَجْرُو أَنْ أَلْقَى عَلَيْكَ
نَظْرَةً ثَانِيَةً، دُونَ دَمْعِ

لَنْ تُحَسِّنِي، فِي غَدٍ، وَقَعَ خُطَايَا
فَإَنَا، يَا أَخَوَاتِي، لَنْ أَعُودَا
كُلُّ أَحْلَامِي وَأَضْغَاثِ رَوَايَا
عُدْنَ يَأْسًا صَارَخًا، عَدْنَ شُرُودَا

سَوْفَ أَلْقَى الْعُودَ فِي الظِّلِّ وَأَمْضِي
أَيَّ مَعْنَى، بَعْدُ، لِلْعُودِ الرَّقِيقِ؟
سَوْفَ أَحْيَا، يَا سَمَائِي، فَوْقَ أَرْضِي
سَوْفَ أَطْوِي النُّورَ فِي قَلْبِي الْعَمِيقِ

ووداعاً، أنت يا حلم شبابي
أنت يا من صغته خمس سنين
ها أنا أدفن، في الأرض، رغابي
وأواري أملى المر الحزين

الممرات الجميلات ستبكي
فوق ذكرى ولكن لن أعودا
حسب روحى، أيها الأشجار، منك
أن ذكرى رغباتى، لن تبيدا

وأنا؟ لا تجزعى، حسبك منى
أن ذكراك بقلبي سوف تحيا
كل جذر منك فى أعماق فنى
سوف يبقى شاعرياً أبدياً

آه يا أشجار، لا، لا تذكرينى
فأنا تمثال يأس بشري
ليس عندى غير آثار حنينى
وبقايا من شقائى الأبدى

كنت يوماً خافقاً، بين الغيوم،
أسكُب الأحلامَ في عُمق حياتي
تصعدُ الآمالُ بي فوق النجومِ
ويصوغُ الشغَرُ أحلى رَغباتي

أُيْهِمُ العودُ، وداعاً من حياتي
هبطَ الليلُ وقد حان رحيلي
امحُ ما قد كان، إمسحْ نَغَماتي
انسَ أنغامَ شَقائِي وذُهوري

لن تعي، في الغد، أنغامَ أسايا
وترانيمَ سروري وشَقائِي
فانسني، ها قد نأى رجعُ خطايا
ها أنا أغرقُ، في قلبِ المساءِ

١٩٤٦

البحر

للشاعر الإنكليزي جورج غوردن بايرون من قصيدته

الطويلة: Childe Harold pigrimage

أيها البحر أيها الأزرق الدا
ساخر الموج من قُوى الأدميِّ
مَخَرَّتْ في العُبابِ منك الأساطي
وَبَقِيَتْ المجهول يرهبك الإن
كن إهدر ما شئت في الظلماء
نَ عَمِيقاً مُدَوِّىَ الأنواءِ
لُ وتاهت في موجك اللانهاى
سانُ وهو الطاغى على الأشياءِ

كل ما عنده من القوَّة الهَوُ
فهو يَطْفئُ في الأرض بالشرِّ والتخ
وتَظَلُّ الأمواجُ منك كما كا
ما عليها ظلُّ لَطُغَيانٍ مخلو
جاء يا بحرُ عند شطِّك يعيا
ريبٍ لكن تَظَلُّ أنتَ عتيا
نتُ حمى زاخراً وسطحاً سويًا
قِ سيبقى على الزمانِ صُبيا

ذلك الحىُّ ليس يُتركُ من ظل
عندما تحتويه أمواجُك الهَوُ
صارخاً هابطاً إلى عُمقِ أعما
دونَ قبرٍ يضمُّ أشلاءهُ أو
سوى ظلِّه على الأمواجِ
جُ فيَهوى في لُجَّةِ الأثباجِ
قك مَيِّتاً تحتَ الفضاءِ السَّاجي
كفنٍ غيرَ رائعاتِ الدِّباجي

كلُّ ما فوقَ موجك الخالد الجبَّ
ومسافاتك البعيداتُ ليستُ
أيُّها المزدري بطُغيانه المك
إنَّه ذلكَ الضعيفُ إذا جا

تلقَّاهُ موجةٌ بعدَ أخرى
ثم ترمى به الرياحُ المُخيفُ
فإذا ما خَبَا جُنُونُ الأعاصيرِ
عادَ شِلْواً إلى حمى الشاطئ السا

أيُّها البحرُ أهَ ما هذه الأسـ
أىُّ شىء هذى القلاعُ الرهيـ
لقبوا سادةَ البحارِ وما همُ
تتلقاهم قوَى موجك الرا

كلُّ شىءٍ فى السَّاحلِ الشاسعِ النا
كلُّ شىءٍ يَبْلَى وتلبثُ جبَّـ
أينَ آشورُ؟ أينَ روما وقرطا
ذهبتُ كلُّها وماتتُ وما زلـ

ار ما إن يبقَى بقايا خُطاهُ
أيُّها البحرُ ما تنالُ يداهُ
مذوبٍ يا ساخرأً بكنه قواهُ
عَكَ يوماً وأبصرتُ عيناهُ

منك يا بحرُ فى ظلامِ المساءِ
تُرفاتاً مَيتاً إلى الأجواءِ
بر وماتتُ أصداؤها فى الفضاءِ
جى وجسماً على حفافِ الماءِ

وارُ تحت الحديد والنيرانِ؟
تُ؟ وما سرُّ ذلكَ الطُغيانِ؟
غيرُ طيفٍ من الغُرورِ الفانى
نُعِ بالموتِ والأذى والهوانِ

نئى يُطيعُ الموتَ البطيَّ العتيا
رأ كما كنتُ ساخرأً أبدياً
جئةً ما عادَ ذكرُها قطُّ يحيا
ت كما كنتُ أيُّها البحرُ حيا

كل تلك السواحل الحلوة الغدّة
يتمشّى فيها الغريبُ وكانت
وتبقّيتَ أنتَ مثلكَ بالأم
لم يغضنْ جبينك الزمنُ الما

منذ أن شبتَ الخليفةُ أنتَ الـ
كلُّ شيءٍ كما أرى البشرُ الفا
أبدأ أنتَ ذلكَ اللانهائى
أبدأ أنتَ سرمدى خفى

وأنا أيّها المحيطُ المدوى
طالما سرتُ، فى صباى، على الضفّة
طالما سرتُ شاردأً مثلَ أموا
كلّ حلمى أن يحتوى زورقى مو

كيفَ يا بحرُ كيفَ تنسى مراحى
عندما فى طفولتى كنتُ ألهو
طالما من أمواجك البارداتِ الـ
ليتَ شعرى فهل نسيتَ أغاريـ

اء عادت تحتَ الزّمان صَحارى
أمسَ دنيا تفيضُ نورا ونارا
س عميقاً مدوياً جبّارا
ضى وما زلتَ جارياً قهّارا

بحرُ تحت الضياء والظلماتِ
نونَ باقٍ وأنتَ أنتَ العاتى
المدوى فى مسمع الداجياتِ
فى السكونِ الساجى أو العاصفاتِ

عاشقُ الموجِ والحصى والرمالِ
ة مُستغرقاً بوادى الخيالِ
جكَ نشوانَ ضاحكاً للمجالى
جكَ يوماً فترتوى آمالى

عندَ أمواجكَ الجميلاتِ أَمسٍ؟
فى شواطئكَ بينِ بشرى وأنسى
بيضِ أترعتُ فى الأَمسِ كأسى
لدى وحبى الطاغى وفورةِ نفسى؟

١٨-٦-١٩٤٦

مرثية فى مقبرة ريفية

«ترجمة للقصيدة المشهورة: An Elegy Written in

a Country Churchyard للشاعر الإنكليزى

توماس غرى»

زُونُ يَنْعَى النِّهَارَ لِلْأَجْوَاءِ
جُ بَطِيءَ الْخُطَى كَثِيبَ الثُّغَاءِ
وَيَجْرُ الْخُطَى مِنَ الْإِعْيَاءِ
تِلْقَابِي أَنَا وَلِلظَّلْمَاءِ

قُبُورٌ بَعِيداً عَلَى امْتِدَادِ السُّهُوبِ
لِشَيْءٍ غَيْرِ صَمْتِ رَهِيْبِ
يَارِ فِى جَوْهَا الدَّجَى الْكُثِيبِ
مَرْجٍ وَهَمَّ الْكَرَى وَصَمْتِ الْغُيُوبِ

وَيُؤَى إِلَى الْبَذْرِ قُلُوبُهَا الْمَغْبُوبُ
رُ وَأَخْفَتْهُ فِى الظَّلَالِ الْغُصُونُ
هَا فَلَمْ تَذَرِ مَا عَسَى سَيَكُونُ
تِلْقَابِي هُنَا فِى الْمَحْزُونِ

فِى الْمَسَاءِ الْكُثِيبِ وَالْجَرَسُ الْمَحْدُ
وَالْقَطِيعُ الْمَكْدُودُ يَنْسَابُ فِى الْمَرِ
وَالْفَتَى الْحَارِسُ الْمُؤَوَّدُ إِلَى الْمَاءِ
تَارِكاً هَذِهِ الْمَجَالَى الْحَزِينَا

سَوْفَ يَخْبُو النُّورُ الْمَلَأَى فِى الْأَفْ
وَالْقَضَاءُ الْمَمْتَدُّ يَغْمُرُهُ اللَّيْلُ
لَيْسَ إِلَّا حَفِيفُ أَجْنَحَةِ الْأَطْفَالِ
وَدَوَى الْأَجْرَاسِ يَنْشُرُ فَوْقَ الدُّرُ

لَيْسَ إِلَّا قَمَرِيَّةٌ يُرْسَلُ الشُّكُ
عُشُّهَا قَنَّةٌ تَسْلَقُهَا الزَّهْدُ
تَتَشَكَّى الَّذِينَ مَرُّوا بِدُنْيَا
عَكَّرُوا الْعُزْلَةَ الْقَدِيمَةَ وَالصَّمَمَ

ها هنا فى الظلال من شجر السر
حيثُ تعلو الرمالُ والعُشبُ ينمو
رقدَ الراحلونَ من ساكنى القر
أسلمتهم أيدي المنون إلى ضيق

رقدوا فابتسامةُ الفجر لا تؤ
ومراحُ الطيور فى أسقفِ الأك
رقدوا الرقدةُ الأخيرة فى الوا
ليس تغريهم هتافاتُ بوقٍ

رقدوا فى العراءِ تحتَ الثلوجِ الـ
ومضوا فالبیوتُ خاويةٌ منذ
لا صغارٌ تخفُّ جذلى مساءً
يا لتنهيدهِ اليتامى فما يرُ

كم تعرتُ سنايلُ القمحِ فى أب
ولكم شقتِ الحقولُ محارب
وبأى الأفراحِ ساقوا إلى المأ
ولكم أخضعوا من الشجرِ الصلـ

و بين الأغصان والأشجار
بين هذى الكتبان والأغوار
ية بين الرمال والأحجار
ق قبور تحت الثرى المنهار

قطُ دنياهم على الأنسام
واخ ما إن يُضحىهم من منام
دى الدجى الحزين وادى الحمام
كيف تُغرى هياكلُ من عظام؟

بيض لا موقد ولا نيرانُ
هم وفى قلب أهلها أحزانُ
تلقاهم ولا أحضانُ
جع أبائهم إلى ما كانوا

لديهم كم ترنموا فى السهول
ثم فازدهت زهورُ الحقول
وى قطع الأغنام عند الأصيل
د وألقوا بساقه فى الوحول

ليسَ للهازئينَ أنَ يَحْقِرُوا جُهِدَ
أو مَسْرَاتِهِمُ وَذَكَرَهُمُ الْمَغْدُ
رَحْمَةً لَا تَكُنْ دُمُوعُ الْحِزَانِي
ليسَ لِلْأَغْنِيَاءِ أنَ يَحْقِرُوا عُمْدَ

أو لَيْسَتْ هَذِي الْحَيَاةُ سَرَابًا؟
أو تُنْجِي الْأَلْقَابُ أَوْ مَنَحُ الْمَجْدِ
يَا لَوْ هُمْ الْأَحْيَاءُ كَمَ مِنْ حِضَارَا
كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ يُنْهَى إِلَى الْقَبْرِ

لَا تَلْمُهُمْ يَا أَيُّهَا الْكَائِنُ الْمَغْدُ
لَا تَلْمُهُمْ إِنْ لَمْ يَشِدْ فَوْقَهُ الْمَجْدُ
هَاهُنَا لَا قُبَابَ لَا قَوْسَ نَصْرِ
وَهُوَ الْمَرْقَدُ الْأَبِيدُ لِقَوْمِ

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَقُولُ التَّمَاثِيلُ
أَلْهَبَا أَنْ تَرُدَّ لِلْكَائِنِ الْحَيِّ
وَهْتَفُ الْمَدِيحِ هَلْ هُوَ يَوْمًا
وَنَفَاقُ الْأَحْيَاءِ هَلْ يَمْنَحُ الْأَجْرَ

مَدْهُمُ أَوْ طُمُوحَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
مَمُورَ بِالْفَقْرِ وَالشَّقَاءِ الْعَاتِي
بَسَمَاتٍ فِي الْأَعْيُنِ السَّاخِرَاتِ
رَفَقِيرٍ مَخْبِيَاهُ لِلْآهَاتِ

أَوْ لَيْسَ الْفَنَاءُ عُقْبَى سَنَاها؟
مَدِّ إِذَا مَا الْحِمَامُ أَحْتَى الْجَبَاهَا؟
تَ أَطَافَ الْبَلَى بِهَا فَمَحَاهَا
رَفِ فَمَا مَجْدُهَا؟ وَمَا جَدَّوَاهَا؟

سُرُورُ إِنْ لَمْ يَرُقْ هَوَاكَ الثَّوَى
مَدِّ التَّمَاثِيلَ أَيُّهَا الْبَشَرِيُّ
لَيْسَ إِلَّا سِرُّ الرَّدَى الْأَبْدِيِّ
لَمْ يُرَنَّ مَدِيحَهُمْ أَدْمَى

لَمْ لَمِيت؟ وَمَا غَنَى الْأَقْوَاسِ؟
إِذَا مَاتَ خَامِدَ الْأَنْفَاسِ؟
بَالِغُ مَسْمَعِ الْحِمَامِ الْقَاسِي؟
مَدَاتُ وَالْمَوْتَ رَعِشَةَ الْإِحْسَاسِ؟

لستَ تدري من حلّ في هذه البُقْد
علّه كان شاعراً طاهر الرو
علّه العبقريُّ لو أمهلَ المو
علّه الملهم الذي يوقظُ النّا

عبقريّاتهم زوتها المآسى
فهمُ الجاهلون ما رفرَفَ العذ
وهمُ البائسون أطفأ بردُ ال
فإذا عبقريةُ الروح مجرى

يا لظلم الأقدار كم ماسة حسد
أخفت اللّجة العميقة لا لا
كم زهور زجى بها القدرُ القا
تبعثُ العطر والفتون إلى جو

ربما كان تحت هذا الثرى العا
ربما كان تحتها (هامدن) ثا
أو فتى مثل (ملتن) الشاعر المـ
ربما كان تحتها (كرومول) آ

عة تحت التراب والأشواك
ح حبته السماء قلب ملاك
ت لقاد الدنيا إلى الأفلاك
ي فيفتر كل قلب باك

محت ضوءها يد الأقدار
م عليهم بجنحه الطيار
فقّر فيهم نبع اللهب الوارى
جامد السيل راسب التيار

سَاءَ ظَلَّتْ فِي ظُلْمَةِ الْأَعْمَاقِ
هَا فَيَا ضَيْعَةَ السَّنَا الْأَلَاقِ
سَى بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الْعُشَّاقِ
الصَّحَارَى وَدُجِيَّةِ الْآفَاقِ

رى قلوب شواعر وعقول
ن زوَاهُ مَقَرَّهُ الْمَجْهُولُ
هُمْ أَخْفَاهُ صَمْتُهُ وَالذُّهُولُ
خَرُّ لَمْ يُضْبِبه الدَّمُ الْمَطْلُولُ

حَرَمَتْهُمْ أَيْدَى الْقَضَاءِ نَعِيمَ الدِّ
فَهُمْ حَيْثُ لَا مَجَالِسَ لَا تَصَدُّ
وَهُمْ حَيْثُ لَيْسَ يُهْزَأُ بِآلَا
وَهُمُ الْبَائِسُونَ أَرْضَهُمْ قَفْدُ

غَيْرَ أَنَّ الشَّقَاءَ أَحْمَدُ فِي دُنَى
فَإِذَا هُمْ وَلَا جَرَائِمَ تُذَمَّى الْآ
لَمْ يَخَوْضُوا الْحُرُوبَ سَعْيًا إِلَى الْمَجْدِ
وَاللَّيَالَى مَدَّتْ لَهُمْ سُبُلَ الرَّحَى

وَهُوَ الْفَقْرُ رَدَّ أَنْفُسَهُمْ بِيَدِ
فَإِذَا طَافَ بَاطِلُ بَحْمَاهُمْ
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ سَخَّرَ الشَّعْرَ وَالْفَنَّ
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ دَاسَ آلِهَةَ الْفَنِّ

وَلَقَدْ أَمْضَوْا الْحَيَاةَ بَعِيدِ
مَلَأَتْهُمْ أَلْوَانُ أَحْلَامِهِمْ نُبْ
عَبَرُوا وَادِيَ الْحَيَاةِ سُكُونًا
لَهُوَهُمْ مُتَّبِعٌ يَفِيضُ عَلَى الْأَرْضِ

عَيْشٍ وَاسْتَعْبَدَتْهُمْ الْآلَامُ
فَفِيقَ حَيْثُ الْمَخْيَا هُدًى وَسَلَامُ
مِ الْحِزَانِ وَتُخَفَّرُ الْإِتِمَامُ
رُ وَأَيَّامُهُمْ طَوًى وَسَقَامُ

يَا هُمُ الْإِثْمَ وَالْأَذَى وَالْغُرُورَا
رَضَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَلَا تَذَمِيرَا
دِ وَلَمْ يَعْرِفُوا الدَّمَ الْمَهْدُورَا
مَةً فَاسْتَعَذَبُوا الشُّعُورَ الطَّهُورَا

ضًا مِنَ الشَّرِّ وَالْأَذَى وَالْحَقُودِ
أَحْمَرَارُ الْحَيَاءِ لَوْنُ الْخُدُودِ
عَبِيدًا لِلْمَطْمَعِ الْمَحْدُودِ
عَلَى مَذْبِجِ الْغِنَى الْمُنَشُودِ

نَ عَنِ النَّارِ وَاحْتِدَامِ الصَّرَاعِ
لَا فَلَمْ تُغْرِهِمْ رُؤَى الْأَطْمَاعِ
مُغْرَقَى الْعُمْرِ فِي صَفَاءِ الطَّبَاعِ
ضِ وَنَايُ نَشْوَانُ فِي فَمِ رَاعِ

رقدوا والقبورُ عاريةٌ إلا
وعلى البُعْدِ تلمحُ العينُ تمثلاً
كُتبتُ تحتهُ قوافٍ وأشعا
يسألُ العابرينَ آهةً حُزنٍ

القبورُ التي حنتُ ريشةُ الشع
فإذا اللحنُ لحنُ شادٍ مقلِّ
القبورُ التي على صخرها لح
وينادى الأحياءُ أنْ حياةً الـ

أى نفسٍ ترى يهونُ عليها
ولتكن هذه الحياةُ شقاءً
أى قلبٍ يَرْضَى مغادرةَ الأر
وهى أفقُ الأضواءِ والسحرِ والأشـ

وهى الروحُ حينَ ترحلُ تهفو
والعيونُ المودَّعاتُ يُعزِّـ
ومن القبرِ ذلكَ المظلمُ البا
آهٍ حتَّى فى شِلْوِ أجسادنا الميـ

من الصمتِ والهدوءِ الحزينِ
لأ ضئيلاً يبكى لصَرَغَى المنونِ
رُتغنى لمن ثووا فى الطينِ
لقبورٍ تحتَ الدُّجَى والدُّجونِ

رِ عليها بلحنٍ حُزنٍ حائرٍ
ليس فيه إلا تفجُّعُ شاعرٍ
من رثاءٍ يُثيرُ دمعَ العابرِ
مرءٍ حلُمٌ عُقباهُ صمتُ المقابرِ

أن تُوارى فى لجّةِ النسيانِ؟
من تراهُ يرتاحُ للأكفانِ؟
ضِ بلا حَسْرَةٍ ولا أحزانِ
عمارٍ والقبرُ عالمُ الديدانِ؟

لقواد حانٍ وصدرُ خَفُوقِ
ها أسى مُشفقٍ ودمعُ صديقِ
ردُّ يعلو صوتُ الزَّمانِ العميقِ
تنةً تبقى آثارُ ذاكَ البريقِ

آه يا شاعري وأنت؟ وقد خَلَّ
أنتَ يا من قصَّصْتَ أنباءهم شِعْرَ
علَّ روحاً تقوده الوحدةُ الخَرَّ
علَّه سائلٌ غداً عن أغانيه

أيُّها الشاعرُ الوفيُّ وقد يَهْدُ
طالما قَبِلْتَ خُطَاهُ ثَرَى الوَا
طالما سارَ مُسرِعاً تنفضُ الآنَ
لِيُلاقِي إشراقةَ الشمسِ فوقَ الـ

ها هنا في الظلالِ من شَجَرِ البَلَدِ
طالما مدَّ جَسْمَهُ الخائرَ المك
سابعاً في الخيالِ مغرورِ العِيَدِ
أبدًا يرقُبُ السواقي حَيَرا

كم رأيناهُ شاردًا في المجالي
كم لمحنَاهُ حالمَ القلبِ يحثُّ
تارةً ضاحكاً وأنا حزيناً
قوسُ ظهْرِهِ همومُ الليالي

لدتَ ذكري الأمواتِ والبائسينَا
سراً وذويتَ قلبَكَ المحزونَا
سَاءَ يوماً إلى حمَاكَ حنينَا
لَكَ وما قد جَرَّتْ عليك السنونَا

تُفُّ قلبٌ ثانٍ يُجيبُ السؤالا:
دى صباحاً وجابتِ الأدغالا
لداً أقدامُهُ وتطوى التلالا
قِمَمَ الخُضِرِ فتنةً وجمالا

وط بين الأغصانِ والأفياءِ
لُدودَ مُستسلماً لأيدى القضاءِ
حينَ نَهَبَ اكتئابُهُ خرساءِ
نَ وَيُضغِي إلى خَريرِ الماءِ

وعلى ثغْرِه ابتسامَةٌ ساخرُ
خُطَاهُ بينَ الروابي النواضِرُ
شاحبَ الوجهِ مُفرقاً في الخواطرُ
قضتْ بالأسَى عليه المقادِرُ

طالما سارَ شاردَ الخطو مكدو
أو كمن أخلصَ الغرامَ فلم يلد
أو كمن وشَّحَ الشقاءَ لياليه
أو كمن عاشَ حالمَ الروح بالنو

دأ كسار ضلَّتْ به قَدَمَاهُ
حق سوى البَغْضِ والجَفَاءِ هَوَاهُ
ه وماتت أحلامه ورؤاهُ
ر فلم يرحم الظلامُ مناهُ

وأتى الفجرُ ذاتَ يومٍ فلم أعد
لم أجدهُ على التلالِ الحبيبا
ومضى اليومُ ثم أقبلَ ثانٍ
لا إلى جانبِ الجداولِ ألفيد

شرُ على الشاعرِ الشريدِ النبيلِ
ت إلى قلبه ولا في السُّهولِ
والفتى في مَقَرِّه المجهولِ
ه ولا في الربى ولا في الحقولِ

وأتاني الصَّبَاحُ بالنبأ المج
حملوه على الأكفِّ وألحا
آه يا عابرَ السبيلِ اقترِب واق
كتبوه على حجارةِ قبرِ

هول فالشاعرُ الحزينُ صريعُ
ن المرائي تفجعُ وخُشوعُ
رأ رثاهُ فذاك ما تستطيعُ
ما بكته غيرَ الدجونِ دُموعُ

«الكلمات المكتوبة على القبر»

ك وساد لشاعر محزون
رة في ظلمة الزمان الضنين
سوى كأس ظامي مغبون
ن وهزت حياته بالشجون

ساق بالود والحنان الدفوق
ر على قلبه النبيل الرقيق
لكه: عبرة انفعال عميق
نحبه للأحياء: قلب صديق

عر في مرقد الردى مطمئنا
ر ودع مقلة المساوى وسنى
رحمة الله مأمل ليس يفنى
ه إلى عدله فأغمض عينا

أيار ١٩٤٥

ها هنا في التراب في ظلّ الشو
جهلته الحظوظ والمجد والشه
لم ينل من مناهل العلم والفن
والليالي صاغت صباه من الحز

وسع الكون كله قلبه الخف
ولقد كافأته آلهة الشيع
منح البائسين أثمن ما يم
فحبته السماء أنبل ما تم

أه يا عابر السبيل دع الشا
لا تحاول كشف الستار عن الخي
فسوراء التراب قلب له في
مأمل الخافق الذي ضمّه الل

شظايا ورماد
الطبعة الأولى ١٩٤٩

مقدمة

فى الشعر، كما فى الحياة، يصح تطبيق عبارة برنارد شو: «اللاقاعدة هى القاعدة الذهبية»، لسبب هام، هو أن الشعر وليد أحداث الحياة، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها فى ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التى تتلون بها أشياءها وأحاسيسها، ولاتناقض بين هذا الرأى وما يقسم إليه النقاد الشعر من مدارس ومذاهب حين يقولون «كلاسيكى، رومانتيكى، واقعى، رمزى، سريالى...» فهذه كلها ليست قواعد، وإنما هى أحكام.

وقد يرى كثيرون معى أن الشعر العربى، لم يقف بعد على قدميه، بعد الرقدة الطويلة التى جثمت على صدره طيلة القرون المنصرمة الماضية، فنحن عموماً ما زلنا أسرى، تسيرنا القواعد التى وضعها أسلافنا فى الجاهلية وصدر الإسلام، ما زلنا نلهث فى قصائدنا ونجر عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة، وقرقة الألفاظ الميتة، وسدى يحاول أفراد منا أن يخالفوا فإذا ذاك يتصدى لهم ألف غيور على اللغة، وألف حريص على التقاليد الشعرية التى ابتكرها واحد قديم أدرك ما يناسب زمانه، فجهدنا نحن ما ابتكر واتخذناه سنة، كأن سلامة اللغة لاتتم إلا إن هى جمدت على ما كانت عليه منذ ألف عام، وكأن الشعر لا يستطيع أن يكون شعراً إن خرجت تفعيلاته على طريقة الخليل.

ويقولون: ما لطريقة الخليل؟ وما للغة التى استعملها آباؤنا منذ عشرات القرون؟ والجواب أوسع من أن يمكن بسطه فى مقدمة قصيرة لديوان، ما لطريقة الخليل؟... ألم تصداً لطول ما لامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا، وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا، حتى مجتها منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون

لقد سارت الحياة، وتقلبت عليها الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نيك، وبيانت سعاد، الأوزان هي هي، والقوافي هي هي. . . وتكاد المعاني تكون هي هي؟

ويقولون: ما للغة؟ وأية ضرورة إلى منحها آفاقاً جديدة؟ فينسبون أن اللغة إن لم تركض مع الحياة ماتت، والواقع أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء، التي تستطيع بها مواجهة أعاصير القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم، إنها قد كانت يوماً لغة موحية، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف، ثم ابتليت بأجيال من الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل، فصنعوا من ألفاظها «نسخاً» جاهزة، ووزعوها على كتابهم وشعرائهم، دون أن يدركوا أن شاعراً واحداً قد يصنع للغة ما لا يصنعه ألف نحوي ولغوي مجتمعين، ذلك أن الشاعر بإحساسه المرهف وسمعه اللغوي الدقيق، يمد للألفاظ معاني جديدة لم تكن لها، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه الفني، فلا يسئ إلى اللغة، وإنما يشدها إلى الأمام، الشاعر أو الأديب إذن هو الذي تتطور على يديه اللغة أما النحوي واللغوي فلا شأن لهما بها، النحوي واللغوي عليهما واجب واحد هام، واجب الملاحظة واستخلاص قواعد عامة من كلام «المرهفين» من الكتاب والشعراء.

على أن الأديب الذي ستفق على تسميته «مرهفاً»، لا بد أن يملك ثقافة عميقة تمتد جذورها في صميم الأدب المحلي قديمه وحديثه، مع اطلاع واسع على أدب أمة أجنبية واحدة على الأقل، بحيث يتهيأ له حس لغوي قوي، لا يستطيع معه إن هو خلق، إلا أن يكون ما خلق جمالاً وسمواً، فإذا خرق قاعدة، أو أضاف لوناً إلى لفظة، أو صنع تعبيراً جديداً، أحسنا أنه أحسن صنعاً، وأمكن لنا أن نعد ما أبدع وخرق قاعدة ذهبية.

ولن تقف وظيفة الأديب المرهف، عند خرق قاعدة هنا، وإضافة معنى هناك، وإنما سيكون عليه واجب أدق من هذا تفرضه عليه طبيعة التطور في

اللغات الإنسانية الحية، سيكون عليه أن يُدخل تغييراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمل في أدب عصره، فيترك استعمال طائفة كبيرة من الألفاظ التي كانت مستعملة في القرن المنصرم ويدخل مكانها ألفاظاً جديدة لم تكن مستعملة، ذلك لأن الألفاظ تخلق كما يخلق كل شيء يمر عليه إصبع الاستعمال في هذه الحياة المتغيرة، وهي تكتسب بمرور السنين، جموداً يسبغه عليها التكرار، فتفقد معانيها الفرعية شيئاً فشيئاً، ويصبح لها معنى واحد محدود، يشل عاطفة الأديب، ويحول دون حرية التعبير.

ثم إن هنالك سبباً آخر هاماً يستدعي هذا الاستبعاد للألفاظ التي كثر استعمالها، هو أن الأذن البشرية تمل الصور المألوفة والأصوات التي تتكرر، وتستطيع أن تجردها من كثير من معانيها وحياتها، وخير مثال لهذا أننا ننفر الآن بطبيعتنا من استعمال ألفاظ كهذه: «عمبر، كافور، غصن بان، قد، هلال، صدغ، عود، نرجس، لؤلؤ» وهي ألفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة شعرية، وربما كانت يوماً بما لا يستعمله إلا المجددون من الشعراء.

وقد لاحظت خلال دراستي للآداب المعاصرة، هذه الملاحظة الطريفة: لاحظت أننا في هذا العصر، قد أصبحنا ننسى المدلول الخاص لكلمة «البدر» فنهملها إهمالاً يكاد يكون كلياً، ونؤثر عليها لفظ «القمر» وقل في الشعراء المعاصرين من يرضى استعمال كلمة «بدر» إلا في الحالات النادرة، وأنا أعترف، أنني أكلف نفسي أحياناً متاعب كثيرة، لكي لا أستعملها، والتعليل السايكولوجي لهذا يسير، فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الأبيات الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطقي الماضي، واستعملوا فيها كلمة «بدر» حتى جردوها من جمال معناها، وأطفأوها، وأبقوا منها ظلالهم هم عليها.

ربما كان هذا كله من عمل ما يسميه علماء النفس الاقتران Association وربما كان له عندهم تعليل آخر، سوى أن هذا كله يتعلق بالسبب لا بواقع الأمر، فالمهم أن الألفاظ تصدأ وتحول، وتحتاج إلى استبدال بين حين وحين، وقد رأينا أن هذا الاستبدال وظيفة الأديب يقوم بها وهو «نصف واع» لأن الوعي التام قلما ينتج شيئاً ذا قيمة.

لنعد إلى حديث الأوزان . .

في هذا الديوان لون بسيط من «الخروج» على القواعد المألوفة، يلاحظ في قصائد مثل «جامعة الظلال» و«لنكن أصدقاء» و«مرثية يوم تافه» و«أغنية الهاوية» وسواها، وقد يحسن بي أن أؤكد للقارئ أنني لا أعد نفسي واحدة من المراهقين الذين تحدث عنهم في الصفحات السابقة، سوى أنني أحسست أن هذا الأسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد، وسأحاول فيما يلي أن أبسط خاصية هذا الأسلوب، ووجه أفضليته على أسلوب الخليل، الأبيات التالية تنتمي إلى البحر الذي سماه الخليل «المتقارب» وهو يرتكز إلى تفعيلة واحدة هي «فعولن»:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

يداك لجمع الظلال

وتشييد يوتوبيا في الرمال

أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل، كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الإيجاز وهذه السهولة؟ ألف لا، فأنا إذ ذاك مضطرة إلى أن أتم

بيتاً له شطران، فأتكلف معانى أخرى غير هذه، أملأ بها المكان، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك كما يلي:

يداك للمس النجوم الوضاء ونسج الغمام ملء السماء

وهى صورة جنى عليها نظام الشطرين جنابة كبيرة، ألم نلصق لفظ «الوضاء» بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى إتماماً للشطر بتفعيلاته الأربع؟ ألم تنقلب اللفظة الحساسة «الغيوم» إلى مرادفتها الثقيلة «الغمام» وهى على كل حال لا تؤدى معناها بدقة؟ ثم هنالك هذه العبارة الطائشة «ملء السماء» التى رقعنا بها المعنى، وقد أردنا له الوقوف فخلقنا له عكازات؟

هذا كله إذا نحن اخترنا الوزن «المقارب» وأما إذا اخترنا «الطويل» مثلاً، فالبلية أعمق وأمر، إذ ذاك تطول العكازات وتتسع الرقع، وينكمش المعنى انكماشاً مهيناً، فنقول مثلاً:

يداك للمس النجوم أو نسج غيمة يسيرها الإعصار فى كل مشرق

ليلاحظ القارئ بلادة التعبير، وتقلص المعنى، وأين هذا من تعبيرنا الأول:

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

وينبغى ألا ننسى أن هذا الأسلوب الجديد، ليس «خروجاً» على طريقة الخليل، وإنما هو تعديل لها، يتطلبه تطور المعانى والأساليب خلال العصور التى تفصلنا عن الخليل، فالخليل قد جعل وزن البحر «الكامل» كما يلي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

كفاى ترتعشان أين سكيتى؟

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

شفتاي تصطخبان أين هدوئي؟

مرتكزاً إلى «متفاعِلن» التي اعتاد العرب أن يضعوا ثلاثاً منها في كل
شطر؟ وكل ما سنصنع نحن الآن، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها فتجئ
القصيدة من هذا البحر أحياناً كقصيدة «جدران وظلال» وهذا مقطع منها:

وهناك في الأعماق شيء جامد

حجزت بلادته المساء عن النهار

شيء رهيب بارد

خلف الستار

يدعى جدار

أواه لو هدم الجدار

ولو قطعناه لجاءت تفعيلاته كما يلي:

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلان

متفاعِلن متفاعِلن

متفاعِلان

متفاعِلان

متفاعِلن متفاعِلان

ومزية هذه الطريقة أنها تحرر الشاعر من طغيان الشطرين، فالبيت ذو
التفاعيل الست الثابتة، يضطر الشاعر إلى أن يختم الكلام عند التفعيلة
السادسة، وإن كان المعنى الذي يريده قد انتهى عند التفعيلة الرابعة، بينما
يمكنه الأسلوب الجديد من الوقوف حيث يشاء.

ثم نتحدث عن القافية، ذلك الحجر الذى تلقمه الطريقة القديمة كل بيت، قالوا إن العربية لغة واسعة غنية، وأن ذلك يبرر كونها اللغة الوحيدة التى اتخذت القافية الموحدة سنة فى قصائدها، ونسوا أن أية لغة مهما اتسعت وغنيت، لا تستطيع أن تمد «ملحمة» بقافية موحدة، أياً كانت، ولم يتوها إلى أن ذلك كان واحداً من الأسباب التى حالت دون وجود الملحمة فى الأدب العربى، مع أنها وجدت فى آداب الأمم المجاورة، كالفرس واليونان.

وليس هذا مكان الحديث عن الخسائر الفادحة التى أنزلتها القافية الموحدة بالشعر العربى طيلة العصور الماضية، وإنما المهم أن نلاحظ أن هذه القافية تضى على القصيدة لونا رتيباً يمل السامع فضلاً عما يثير فى نفسه من شعور بتكلف الشاعر وتصيده للقافية، ومن المؤكد أن القافية الموحدة قد خنقت أحاسيس كثيرة، ووادت معانى لاحصر لها فى صدور شعراء أخلصوا لها، ذلك لأن الشعر الكامل «الغنائى منه خاصة، والشعر العربى غنائى كله تقريباً» لا يستطيع أن يكون إلا وليد الفورة الأولى من الإحساس فى صدر الشاعر، وهذه الفورة قابلة للخمود لدى أول عائق يعترض سبيل اندفاعها، فهى أشبه بحلم سرعان ما يفيق منه النائم، والقافية الموحدة قد كانت دائماً هى «العائق»، فما يكاد الشاعر يفعل، وتعتريه الحالة الشعرية ويمسك بالقلم فيكتب بضعة أبيات، حتى يبدأ محصولة من القوافى يتقلص، فيروح يوزع ذهنه بين التعبير عن انفعاله، والتفكير فى القافية، وسرعان ما تغيض الحالة الشعرية وتهمد فورتها، ويمضى الشاعر يصف الكلمات ويرص القوافى دونما حس، ولذلك، قلما نجد فى أدبنا القديم قصائد موحدة الفكرة، يسيطر عليها جو تعبيرى واحد منذ مطلعها إلى ختامها، فالشاعر يضطر إلى مصانعة القافية، وأنا أعرف شعراء يختارون القافية، ثم يكتبون البيت وفقاً لها، وهذا أبرز دليل على مدى طغيان هذه الإلهة المغرورة.

إلا أن من حسن الحظ، أن شعراءنا المعاصرين قد استخفوا بسلطان القافية، وخرجوا عليه فاستعملوا نظام الرباعية وأشباهها، ويكاد هذا يصبح الآن أمراً مقبولاً، لا يبقى على قوافي هذا الديوان اعتراضاً، إلا أنني أعترف مع ذلك بأنني أخضعت القافية أحياناً، لأكثر مما فعل سوى، فنظمتها في قصيدة «مسامير» هكذا: «أ ب أ، ب ج ب، ج د ج، د ه د، ه و هـ. إلخ.» (١) وفي «رماد» التي استعملت فيها نظام الرباعية كما يلي: «أ ب ب أ» وفي «غرباء» التي استعملت فيها نظام «المقطوعة Stanza» وكانت القافية في كل مقطوعة تجري هكذا «آب ب أب»، أما قصيدة «الكوليرا» فقد كانت المقطوعة فيها أطول مما «ينبغي» قليلاً وقد جرت على هذا النسق «أب ب ج ج ب د د ب ه ه ه ه ه» على أنني حررت القافية تحريراً تاماً في قصائد مثل «مر القطار» و«نهاية السلم» و«خرافات» و«جدران وظلال» وسواها، فتركها تتكرر كما يشاء السياق دون تقييد بنظام معين، ولعل هذه هي الخطوة الوحيدة التي تسبق الشعر المرسل Blank Verse، وإن كان لابد من إشارة إلى قصيدة «الجرح الغاضب» فلا قرر أن الأسلوب الطريف في تقفيته مقتبس مباشرة عن الشاعر الأمريكي «أدجار آلان بو» في قصيدته البديعة «Ulalume».



قلت إن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء؛ لأن كتابها وشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالاً تاماً، إلا حديثاً، فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة «المظلمة» تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها، وربما كان ذلك هو السبب في جنوح الجمهور العربي جنوحاً شديداً إلى استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية للألفاظ، كالرمزية، والسريالية، على اعتبار أن هذه المدارس تحمل اللغة أثقلاً من

الرموز والأحلام الباطنية والخلجات الغامضة، واتجاهات اللاشعور، ومثل ذلك مما لاتنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها.

والواقع أن القارئ العربى يتهرب من الشعر الرمزى، لأن اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الأحاسيس المبهمة أول مرة، فليس غريباً أن تتلكأ قليلاً، وتتوتر، أما تعليل الأمر بأن ذاتية العربى تنفر بطبعها من الرموز ولا تجد جمالاً فى الدهاليز التى تتلوى وراء الحس، والعوالم الخفية التى يعسر إدراكها، فأمر لا أعتقد به أنا على الأقل..

ذلك لأن النفس البشرية عموماً، ليست واضحة، وإنما هى مغلفة بألف ستر، وقد يحدث كثيراً أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية، تثيرها آلاف الذكريات المنظمسة الراكدة فى أعماق العقل الباطن منذ سنوات وسنوات، ومثبات الصور العابرة التى تمر فيحرق فيها العقل الواعى بمرور وينساها نسياناً كلياً، فيتلفها العقل الباطن ويكثرها مع ملايين الصور التافهة، ويغلق عليها الباب، حتى إذا آتس غفلة من العقل الواعى، أطلقها صوراً غامضة لا لون لها ولا شكل.

وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وقفا على إنسان دون إنسان، سوى أن التعبير عنها يختلف، فالإنسان العادى يراها فى أحلامه، أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معاً، وما دمنا لانتغرب حين نستيقظ أحياناً فى أعماق الليل وقد حلمنا أننا نركض حفاة، فى قبو قديم، كان جزءاً من دار خربة كنا نسكنها منذ ثمانى عشرة سنة كاملة، لم نعد إليها خلالها مطلقاً، ومع ذلك لاحظنا فى الحلم أدق الأشياء المنظمسة التافهة التى شاهدناها فى السنين الغابرة، ذلك المسمار القديم المعوج على الجدار، وقد تدلى منه الحبل الباهت القديم نفسه، ثم هناك، على ارتفاع أمتار، أنبوب المياه الذى كنا فى طفولتنا نتسلقه أحياناً، أقول: ما دمنا لانتغرب ذلك فى حلم فلماذا لا نتقبله حين

يصفه شاعر في قصيدة؟ إن الشاعر الذاتى الذى يراقب نفسه، كما لو كان يراقب بحراً زخراً لا شطآن له ولا قرار، لا يستطيع أن يتهرب من مثل هذه الصور الباهتة المحوكة، فهى تلاحقه أبداً، ولا بد له من وصفها فى شعره، والإبهام جزء أساسى من حياة النفس البشرية، لا مفر لنا من مواجهته إن نحن أردنا فناً يصف النفس، ويلمس حياتها لمساً دقيقاً.

ومع ذلك فالإبهام ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو صورة من صور الحياة، ولذلك يندر أن نجد شاعراً، كل شعره معقد ملتو، أما الذين يتعمدون تعقيد شعرهم، فقد يكون (ألدس هكسلى) التمس لهم بعض العذر حين قال إن المعاصرين يهربون إلى الإبهام خوفاً من الوضوح الذى هو الصفة الأساسية فى الأدب الشعبى.

وليس قصدى من هذا التعليل للتعبير الرمزى والسريالى، أن أقول إن طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمى إلى هذه المدرسة أو تلك، وإنما أود أن أمهد لطائفة من القصائد التى عاجلت فيها حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً، وبالإشعور أحياناً، وهى حالات لم يقف عندها الشعر العربى إلا نادراً، فهو قد وقف نفسه على معالجة السلوك الخارجى للإنسان.

ففى «الخييط المشدود فى شجرة السرو» حاولت رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التى اعترت شاباً فوجئ بنبأ موت حبيبته، وسيلاحظ أن القصة العاطفية فى هذه القصيدة ثانوية الأهمية بالنسبة للخييط المشدود فى الشجرة وما كان له من صلة وثيقة بشرود الشاب المصدوم، وفى حالة الهذيان الداخلى التى اعترته، فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التى تعترى إنساناً يتلقى نبأ مثيراً فاجعاً لا يتوقعه؛ فهو إذ ذاك يصاب بشرود كبير عميق، ويبدو أنه لم يسمع النبأ، ويتلفت حوله فتعلق عيناه بأول شىء تافه تصادفانه، فيغرق فى التفكير فيه، وقد كان الشىء التافه فى هذه القصيدة هو الخييط، كان

مشدودا فى شجرة سرو تقوم عند الباب فانشغل العقل المصدوم بالتفكير فيه،
وبقى منشغلاً حتى عاد إليه وعيه وأدرك فداحة المأساة التى نزلت به .

ولن يعثر القارئ على شىء مثير فى قصيدة «مر القطار» إن هو توقع أن
يجد فيها وصفاً للقطار أو لرحلة فى القطار، فقد كان غرضى الأساسى من
كتابتها أن أعبر عن الشعور الغامض الذى يحسه المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من
القطار، فهناك حالة التعب الكلى التى يجد فيها المرء نفسه مشوبة بلون من
الكسل والارتخاء، وهناك صوت عجالات القطار الرتيب الذى لا يتغير، ولون
الغبار المتراكم على كل شىء، على الحقائق، وعلى الوجوه والثياب، ثم
هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار صفوفاً، والقطار يصفر
بين حين وحين فيشير إحساساً غريباً فى النفس، كل ذلك والسكوت يغمر
العربة، التى نام أغلبية الموجودين فيها وهم جالسون على مقاعدهم، وبين
فترة وأخرى، يصدف أن يتشاءب مسافر غريب لا نعرفه، ويهتف بملل وبرود
«كم الساعة الآن؟» أو «متى نصل؟» أو «أين نحن؟» أو مثل ذلك من
العبارات، فإذا أحس قارئ «مر القطار» ببعض هذا الجو كان ذلك حسبي .

أما قصيدة «الأفعوان» فقد عبرت فيها عن الإحساس الخفى الذى يعترينا
أحياناً بأن قوة مجهولة جبارة، تطاردنا مطاردة نفسية ملحة، وكثيراً ما تكون
هذه القوة، مجموعة من الذكريات المحزنة، أو هى الندم، أو عادة نمتقتها فى
سلوكنا الخارجى، أو صورة مخيفة قابلناها فلم نعد نستطيع نسيانها، أو هى
النفس بما لها من رغبات وما فيها من ضعف وشرود، أو أى شىء آخر...
فالأمر متوقف على ذاتية القارئ، وليس يعنيه أن أعين «أفعوانى» أنا، فذلك
أمر ثانوى، وإنما المهم، أن هذا الأفعوان يطاردنا باستمرار وسدى نتهرب منه،
حتى إذا لذنا باللابرنث Labyrinth «وهو تيه معقد المسالك يدخله المرء فلا
يملك مغادرته لالتواء طرقه وكثرة أبوابه»، حتى إذا استعملنا طريقة الإيحاء
الذاتى كما صنعت أنا فى القصيدة:

إنه لن يجيء
لن يجيء وإن عبر المستحيل
أبدأ لن يجيء

فالنتيجة الحتمية، أنه يجيء أخيراً، وسرعان ما نصرخ «إنه جاء!» وفي قصيدة «خرافات» يجد القارئ لونا من الشعور أحسه، ويحسه كثيرون، كلما ساد السكون مكانا، فإذا ذاك نسمع بأذن الروح ألف قصة تقصها الأشياء الراكدة حولنا، فالسياج يتكلم ويعيد ما كانت عنده من ذكريات انطمست وماتت، و«قصائص الورق الممزق في الخرائب» تحكى أقاصيص مشيرة عن حوادث بعيدة منسية، و«الغبار» يقص قصة النسيان الذى تذرعه العصور على كل شىء، و«مقاعد الغرف القديمة» تتحدث عن جيل من الناس مر بها يوماً ثم انتقل إلى أفق بعيد مجهول، وهكذا... حتى يكاد الإنسان الحساس لا يرى شيئاً إلا ويحسه يغمغم ويهمس ويطارده بالكلام.

والذى أعتقد أنه الشعر العربى، يقف اليوم على حافة تطور جارف عاصف لن يبقى من الأساليب القديمة شيئاً، فالأوزان والقوافى والأساليب والمذاهب ستزعزع قواعدها جميعاً، والألفاظ ستوسع حتى تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير، والتجارب الشعرية «الموضوعات» ستتجه اتجاهاً سريعاً إلى داخل النفس، بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد، أقول هذا اعتماداً على دراسة بطيئة لشعرنا المعاصر واتجاهاته وأقوله لأنه النتيجة المنطقية لإقبالنا على قراءة الآداب الأوروبية ودراسة أحدث النظريات فى الفلسفة والفن وعلم النفس، والواقع أن الذين يريدون الجمع بين الثقافة الحديثة وتقاليد الشعر القديمة، أشبه بمن يعيش اليوم بملابس القرن الأول للهجرة، ونحن بين اثنين: إما أن نتعلم النظريات ونتأثر بها ونطبقها، أو ألا نتعلمها إطلاقاً.

وقد يفيدنا أن نتذكر دائماً أن التطور الذى يحدث فى الفنون والآداب فى عصر ما، أكثر ما يكون ناشئاً عن التقاء أمتين أو أكثر، فقد يحدث أن أمة معينة، تخدم قابلياتها وتركد قروناً كاملة بتأثير عوامل خاصة، ثم يأتى عليها زمن متوَّج يوقظها فتتململ وتتحرك، وترنو إلى ما حولها، وتبدأ باستيعاب ما فاتها من ثقافات، فتستفيد من تجارب أمة مجاورة بقيت نشيطة فأضافت إلى الفكر الإنسانى فصولاً لامعة، فما يمضى نصف قرن حتى تنتهى الأمة التى كانت راكدة من مرحلة الاستيعاب، وتبدأ حيث وقفت الأمة المجاورة تبدأ بالإضافة، وهذا هو الأسلوب الذى يتبعه خط التطور فى تاريخ الأمم، بحيث لانستطيع أن نعثر على مذهب، أو اختراع، أو نظرية، توصلت إليها أمة بعينها، دون أن تستفيد من تجارب الأمم الأخرى.

* * *

آخر ما أود أن أقوله فى هذه المقدمة، إننى أوّمن بمستقبل الشعر العربى إيماناً حاراً عميقاً، أوّمن أنه مندفع بكل ما فى صدور شعرائه من قوى ومواهب وإمكانيات، ليتبوأ مكاناً رفيعاً فى أدب العالم.

وَألف تحية لشعراء الغد.

١٩٤٩/٢/٣

نازك الملائكة

كبرياء

لا تَسَلْنِي عن سرٍّ أَدْمَعِي الحَرَّ	يَ فَبَعْضُ الأسرارِ يَأْبَى الوضوحا
بعضُها يُوْثِرُ الحَيَاةَ وراءَ الـ	حسَّ لُغْزاً وإن يكنْ مجروحا
بعضُها إن كَشَفْتَهُ يَسْتَحِلُّ حُبَّ	أَ مُهَاناً يَمُوتُ موتاً حزيناً
بعضُها بعضُها تَكْبَرُ أن يَكْ	شَفَ عَمَّا وراءَهُ أو يُبَيِّنَا
ومئاتُ الأسرارِ تَكْمُنُ في دمـ	سعة حُزْنٍ تَلُوحُ في مقلتينِ
ومئاتُ الأَلغازِ في سَكَنَةِ تَهـ	سَرٌّ خَلْفَ انطباقَةِ الشفَتينِ
وعيونٌ وراءَ أَهدابِها أَشـ	بَاحُ يَأْسٍ في حَايِرَةِ وانكسارِ
تَوَثِّرُ الظلَّ والظلامَ ارْتِيساعاً	من ضيَاءٍ يَبْجُوحُ بالأسرارِ
وقلوبٌ تَضُمُّ أَشْلاءَها فـو	قَ جـِـجـِـراحٍ وأَدْمَعٍ وذَهولِ
تَوَثِّرُ الموتَ كـبـرياءٍ ولا تَنظـ	سِقُ بالسِرِّ بالرجاءِ الخَجولِ
وشفاهُ تَمُوتُ ظِمَاءً ولا تَسـ	أَلْ أَيْنَ الرَحِيقُ؟ أَيْنَ الكَأْسُ؟
ونفوسٌ تَحْسُ أَعْمَقَ إحْسَا	سِ وتَبْدُو كَأَنَّهَا لا تُحْسُ

وأَكْفُ تَوَدُّ لَوْ مَزَقْتُ لَوْ
لَوْ رَأَتْهَا الْحَيَاةُ قَالَتْ: هَدَوُ

قَتَلْتُ لَوْ تَمَرَّدْتُ فِي جُنُونِ
وَادَعُ فِي بَرَاءَةٍ وَسَكُونِ

لَوْ رَأَتْهَا مَاذَا تَرَى؟ كُلُّ شَيْءٍ
أَلْفُ سِتْرٍ وَأَلْفُ ظِلٍّ مِنَ الْكَبْرِ

مُفَرَّقٍ خَلْفَ دَاكِنَاتِ السُّتُورِ
سِتِّ عَمِيقٍ وَأَلْفِ قَيْدٍ وَنِيرِ

لَا تَسَلَّنِي لَا تَجْرِحِ السِّرَّ فِي نَفْسِ
لَوْ تَكَلَّمْتُ كَمَا كَانَ فِي كُلِّ لَفْظِ

سَيِّ وَلَا تَمْنَحْ كِبَرِيَاءَ سَكُونِي
قَبْرِ حُلْمٍ وَفَجْرِ جُرْحٍ مُمِيتِ

لَوْ تَكَلَّمْتُ كَيْفَ تَرْتَعَشُ الْأَشْءُ
لَوْ كَشَفْتُ السِّرَّ الْعَمِيقَ فَمَاذَا

عَارُ حُزْنًا وَتَرْتَمِي فِي عَيَاءِ
يَتَبَقَّى مِنِّي سِوَى الْأَشْلَاءِ؟

لَوْ تَكَلَّمْتُ رَعِشَةً فِي حَيَاتِي
وَسَكُونِي الْعَمِيقَ يَكْتُمُ أَنْفَا

وَكَيْفَ أُنِي تُلَحُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ
سَيِّ وَقَلْبِي يَكَادُ أَنْ يَتَحَطَّمُ

لَوْ تَكَلَّمْتُ لَوْ سَكَتُ نَدَاءَا
تَتَلَقَّى عَلَيْهِمَا كُلُّ أُسْرَا

نِ عَمِيقَانِ كَالْحَيَاةِ اسْتِعَارَا
رَى فَاَبْقَى شِعْرًا وَحَبًّا وَنَارًا

وَتَظَلُّ الْحَيَاةُ تَخْلُقُ مِنْ وَجْهٍ
جَامِدًا بَارِدًا أَصَمًّا وَيُخْفِي

هِيَ قَنَاعًا صَلْدًا يَفِيضُ رِيَاءَا
بَعْضُ شَيْءٍ سَمِيئَةٍ كِبَرِيَاءَا

(١٩٤٨)

يوتوبيا الضائعة

صديّ ضائعٌ كسرّاب بعيد
أنامُ على رَجْمِهِ الأبدى
صديّ لم يشابهه قطّ صديّ
إذا سمعتهُ حياتي ارتمت
يموت على رجمه كلُّ جُرح
ويمضي شعوري في نشوة
يجاذب رُوحى صباحَ مساء
ويوقظني برقيقِ الغناء
تغنيه قيثارةٌ في الخفاء
حينئذٍ ونادتهُ ألفَ نداء
بقلبي ويُشرقُ كلُّ رجاء
بخدره حُلُم يوتوبيا

ويوتوبيا حُلُمٌ في دمي
تخيّلته بلداً من عبير
هنالك عبر فضاءٍ بعيد
يموت الضياء ولا يتحقق
هنالك حيث تذوب القيود
وحيث تنام عيون الحياة
أموت وأحيا على ذكره
على أفق حِـرْتُ في سرّه
تذوب الكواكب في سحره
ما لونه ما شذى زهره
وينطلق الفكر من أسـره
هنالك تمتدُّ يوتوبيا

ويوتوبيا حيث يبقى الضياء
وحيث يظل عبيرُ البنفسج
وحيث تفيضُ الحياةُ حقياً
وحيث تضعُ حدودُ الزمان
هناك الحياةُ امتدادُ الشباب
هناك يظلُ الربيعُ ربيعاً

هنالك حيث وعت شهرزاد
وحيث ديانا تسوقُ الضياء
هنالك يوتوبيا في الضباب
يحفُّ بها أبدٌ من عطور
وترقُدُ في سكرةٍ لا تحدُّ
على شاطئِ كضياءِ النجوم

هنالك طوّفتُ ذات مساء
أحسُّ خطاهُ على الرملِ لكن
وكنتُ أحسُّ بجسمي حياةً
وكان أمامي عمرٌ غريبٌ
ويمتدُّ عن جانبيه خليجٌ
وفي حلمي صحتُ: أين أسير

ولاتغرب الشمسُ أو تغلسُ
حيّاً ولا يذبلُ النرجسُ
نميراً ولا تفرغُ الأكؤسُ
وحيث الكواكبُ لاتنعسُ
تفسورُ بنشوتهِ الأنفسُ
يظلُّ سكانُ يوتوبيا

أقاصيصُ غنتُ بها ألفَ ليلةٍ
ونارسيسُ يعبدُ في الشمسِ ظلَّهُ
على شفقٍ لم ترَ العينُ مثلهُ
ويمنحُها ألفَ لحنٍ وقُبلةُ
على رجوعِ أغنيةٍ مضمحلةُ
أسميه شاطئَ يوتوبيا

وكان معي هيكلاً كالسرابِ
أرى غيرَ شيءٍ وبعضُ سحابِ
تطيرُ بروحي فوق الترابِ
تغلّفُهُ دَفَقَاتُ الضبابِ
وبعضُ جزائرِ بعضِ هضابِ
فردّ صدى: قربَ يوتوبيا!

أَحَسَسْتُ فِي قَعْرِ رَوْحِي جَنُوناً
أُرِيدُ أَنْتَهَاءَ الطَّرِيقِ الْغَرِيبِ
لِي ذَلِكَ الْأَفَقَ الْأَزَلِيَّ
أَسِيرُ أَسِيرٌ وَلَا شَيْءَ يَبْدُو
عَلَى ظَمَأٍ لَوْجُودٍ عَجِيبِ
عَلَى ظَمَأٍ صَارِخٍ وَأَخِيرِ

وَفِي حُلُمٍ آخِرٍ كُنْتُ أَمْشِي
غَرِيبٍ غَرِيبٍ بِلَوْنِ الْأَثِيرِ
تَنَاهَى بِأَقْدَامِي الْمُتَعَبَاتِ
تَسْلُقُهَا أَمَلٌ مُضْمَحَلٌ
وَقَفْتُ عَلَى قَدَمَيْهَا أَنْوَحُ
وَسَاءَلْتُ مَاذَا تَرَى خَلْفَهَا؟

وَفِي حُلُمٍ ثَالِثٍ خَلْتُ نَفْسِي
أَحْدَقُ فِي نَشْوَةِ لَا تَحْدُ
أَحْقَا أَرَى الْبَابَ؟ أَلْوَا حُهُ
تَقْدَمْتُ وَاجْفَةُ فِي خُشُوعٍ
أَدَقُّ عَلَى الْبَابِ فِي نَشْوَةٍ
فَصَحْتُ بِصَوْتِ حَبِيسٍ: دَعُونِي

وَشَوْقاً عَمِيقاً كَبَحْرِ عَمِيقٍ
إِلَى الْبِلَدِ الْمَتَمَنَّى السَّحِيقِ
وَحَيْثُ يَعِيشُ أَبُولُو الرَّقِيقِ
أَمَامِي غَيْرَ امْتِدَادِ الطَّرِيقِ
يَذُوبُ عَلَيْهِ النَّدَى وَالْبَرِيقُ
صَحَوْتُ وَلَمْ أَرَ يَوْتَوِيَا

عَلَى شَاطِئٍ مِنْ حَصَى وَرَمَالٍ
يَحْفُ بِهَ أَفَقُ كَالْخَيَالِ
إِلَى صَخْرَةٍ رَسَخَتْ كَالْمَحَالِ
فَقَدْ تَتَرَحَّلُ حَتَّى الظَّلَالِ
عَلَى حُلُمٍ بَائِسٍ لَنْ يُنَالَ
فَقَالَ لِي الرَّمْلُ: يَوْتَوِيَا!

عَلَى بَابِهَا الْمَرْمَرِيِّ الْكَبِيرِ
أَكَادُ أُجَنُّ.. أَكَادُ أَطِيرُ
تَلُوحُ مَبْطَنَةٌ بِالْحَرِيرِ
وَفِي مَقْلَتِي وَمَضُ حُلُمٍ قَرِيرِ
وَلَا رَدَّ غَيْرَ السَّكُونِ الْمَرِيرِ
أَمْسَوْتُ عَلَى بَابِ يَوْتَوِيَا

ومرت حياتي مرت سدى
سدى قد عبرت صحارى الوجود
وما زلت أذرع صمت القفار
يطول على قلبى الانتظار
أحاول أن أتعزى بشيء
دقائق... ثم أخيب وأهتف:

ولا شيء يطفى نار الحنين
سدى قد جررت قيود السنين
وأسأل عن سرها العابرين
وأغرق فى بحر يأس حزين
بغـاب، بواد، بظلة تين
لا شيء يشبهه يوتوبيا

سأبقى تجاذبنى الأمنيات
وأحلم أحلم لا أستفيد
أقبل جذرائها فى الخيال
وأسأل عنها انسكاب العطور
وأسأل حتى يموت السؤال
وحين أموت... أموت وقلبي

إلى الأفق السرمدى البعيد
قُ إلا لأحلم حلماً جديداً
وأسأل عنها الفضاء المديد
وقطر الندى وركام الجليد
على شفتي ويخبو النشيد
على موعد مع يوتوبيا

١٩٤٨

تواريخ قديمة وجديدة

لَنَسِرْ كَانْ أَمْسٌ وَمَاتْ مَسَحَتْ ذِكْرَهُ السَّنَوَاتْ	مَنْذُ بَضْعِ مِئَّاتِ السَّنِينْ وَطَوْتُهُ مَعَ الْمِئَّتَتَيْنْ
وَبَحَثْنَا زَمَانًا طَوِيلْ وَاسْتَعَرْنَا يَدَ الْمُسْتَحِيلْ	عَنْ كَوَاكِبِهِ الْأَفْلَاتْ لِنُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةْ
وَأَهْبْنَا بِرُكْبِ الْعُصُورْ عَلَّنَا نَسْتَعِيدُ الشُّعُورْ	أَنْ يَعْبُودَ عَلَى بَدْءِ فَرَجَعْنَا بِلا شَيْءِ
كَمْ شَقَقْنَا هُنَاكَ الظَّلَامْ وَنَبَشْنَا رُكَّامَ الْعِظَامْ	وَعَبَّرْنَا سَكُونَ الرُّكُودْ لَمْ نَجِدْ شَيْئًا الْمَقْهُودْ
وَرَأَيْنَا هُنَاكَ جَسْبَاةً وَعَيُونًا طَوْتَهَا الْحَيَاةْ	لَا تَرَى فِيْهَا عَمِيَاءُ صَمَّتْ فِيْهَا خَرَسَاءُ
وَرَأَيْنَا رَفَافَاتَ قُلُوبْ وَسَدَى حَاوَلَتْ أَنْ تَوُوبْ	حَنَطَتْهَا يَدُ الذِّكْرِيَّاتْ مَعْنَا فِيْهَا.. فِيْهَا رُفَاتْ

ورأينا شفافاً خوت
وأكفّاً ذوت وانطوت

لم تعد تشتكى أو تجسوع
لم يعد لأسساها دمسوع

وسألنا عن الأمس
وهناك على الرمس

فعمشـرنا على تابوت
يجثم الزمن المبهوت

ورجعنا إلى التقويم
فسمعنا صُراخ الهشيم

علّنا نخدع الأيام
خلف سخرية الأرقام

ورأينا الغد المنتظر
ساحباً نصفه المُحتقر

ساحباً نصفه المشلول
نصفه الجامد المملول

وهناك انطوى سفـر
وغداً ينبت العُمر

واختتمنا النشيد القديم
فوق جرح الزمان الأليم

ويتبيـه صدى الأمس
ونحسُّ على الكأس

في مدار الزمان العميق
فورة الحلم المستفـيق

١٩٤٨

صراع

أحبُّ.. أحبُّ.. فقلبي جنون
أحبُّ فـروحي حسَّ غريبُ
حياتي في العالم الشاعرى
وجسمى قلبٌ خفوقٌ خفوق

وسورةُ حبٍّ عميق المدى
يضيع لديه جمودى سدى
لهيبٌ من الحب لن يخمدا
سيلبث ملتهباً موقدا

وأكره أكره قلبي لهيبٌ
وروحى مستعر الاحتقار
حياتى تحس وجيب الحقود
ونفسي فى ثورة لا تقـر

وسورة مَقت كبير كبير
يرى الكون أفقاً وضيعاً حقير
على عالم مفرق فى الشرور
تحقر ما حولها من صخور

أحبُّ وأكره.. حبي شقاء
أحبّ وأكره.. كرهى ألم
فقيم أعيش؟ سئمت البقاء
وشاق حياتى صمت العدم

وأبكى.. وأبكى.. فدمعى لهيب
تعذبني حيرتى فى الوجود
منحت عيوناً تحب الدموع
وروحاً تعثر فيما يريد

يحطم روحى ويذوى المنى
وأصـرُخ من ألى: من أنا
وقلباً يحبُّ أن يطعنا
فسمج الظلام وعاف السنا

وأضحكُ من كلِّ ما في الوجود
فقلبي سخريةً واحتقارُ
أحدقُ من قمتي في الثرى
وأضحكُ ضحكةَ ربِّ كئيب

وفي ضحكى مَرَحٍ ساخرُ
يشيرهما العالمُ العائرُ
فيُضحكني دودهُ الناخرُ
تمرّدُ مخلوقه الكافرُ

وأبكي واضحكُ.. دمعى دماءُ
وأبكي واضحكُ.. ضحكى ندمُ
ففيمَ أمرِّغُ تحت الضياءِ
فؤاداً سيرقُ تحت الظلمِ

أريدُ وأجهلُ ماذا أريدُ
أحبُّ السماءَ ولونَ النجومِ
أريدُ وأشعرُ أني أحسُّ
وأرغبُ في حلمٍ غامضٍ

أريدُ وعاطفتي لا تريدُ
وامقتُّها كلَّ فجرٍ جديدُ
ويسخرُ بما أحسُّ الوجودُ
فليس له هيكلٌ أو حدودُ

وأنفرُ من كلِّ ما في الوجود
ففي عمقِ نفسي صوتٌ غريبُ
ويصرخُ بي: اهربي اهربي
فاهتفِ يا عالمي: لا أريدُ!

وأهربُ من كلِّ شيءٍ أراه
يعلمُ قلبي ازدياءَ الحياءِ
ويتعبُ احساسَ روحى صداه
وتصرخُ بي ذكرياتي: النجاة!

أريدُ وأنفِرُ تحت السماء
فأرسمُ كلَّ صراعٍ نغمَ
ومن أجلِ حنى سأرضى البقاءَ
وعارَ الحياةِ وذلَّ الألمِ

أحبُّ وأكره ما إذا أحبُّ	وأكره؟ أىُّ شعورٍ عجيب؟
وأبكى وأضحك ما إذا ترى	يشيرُ بكائى وضحكى الغريب؟
أريدُ وأنفِرُ، أىُّ جنون	حياتى؟ أىُّ صراعٍ رهيب؟
لماذا أغنى؟ لماذا أعيشُ؟	ومنذا أصارعُهُ، من يُجيب؟

١٩٤٧

عندما انبعث الماضي

أُمسُّ في الليل وكانت صور الأسرار شتى
تَصْبِي حاضري الغافي وكان الأُمسُّ مَيِّتاً
خَلَّتْنِي كَفَّتُهُ ذات مساء
وتحصنتُ بدعوى كبريائي
سمعتُ رُوحِي في إغفاءِ الظلمة صوتاً
لم يكن حلماً خُرَافِيَّ السُّتُورِ
بعثته رغبةٌ خلف شعوري
كان شيئاً، كان في صمت الدُّجَى صوتك أنتا
ذلك الصوتُ الذي يعرفهُ سمعي ملياً
صوت ماضِيٍّ الذي ماتَ وما خَلَّفَ شيئاً
غيرَ أَشْتَاتٍ احتقارٍ باهتٍ
رَسِبْتُ في قعرِ قلبي الصامتِ
غيرَ أَشْتَاتٍ اذْكَاراتٍ لِحُبٍّ كان حياً
منذُ أعوامٍ.. وقد فاتَ ومرَّ
منذُ أعوامٍ.. وصار الآن ذكراً
لَفَّها الماضي وواراها الترابُ الأبدى

ذلك الصوتُ الذي مرَّ على سمعى أمس
كان يوماً رغبةً تجهش في أعماقِ نفسي
كان حلماً ذائِباً في عبراتي
كان حبّاً نائهاً في أمنيّاتي
ثم حطمتُ على ذكراهُ قيثاري وكأسي
عندما ضيعتهُ تحت الضبابِ
وتعثرتُ بأشلاءِ شبابي
وتهاويتُ على جثةِ أحلامي وأنسى

ومضى عامان ممطوطان مرّاً في شُحوبِ
كان عمري خربةً يصبغها لون الغروبِ
تذرُعُ الأشباحُ في الصمتِ دُجَاها
ويعيش اليوم في ظلِّ أساها
كلما جالت بي الحيرة في القبو الغريبِ
مدت الذكرى ذراعها إلَيَّ
لونها يخلقُ من رُعبى دنيا
ويشيرُ الوتر الميّتُ في قلبي الكئيبِ

وانقضى عامان ملعونان من أعوام حبي
مزقت رُوحى أظفارُهما، رُوحى وقلبي
لم تدع حتى شِراعاً من رجاء
أبداً لم تُبقِ إلا كبرياتي
وأبديت أذكارات لها قسوة ذئب
عرفت رُوحى فيها لون أمسى
أمسى الراسبُ فى أعماقِ حسى
عرفت فيها صدى الصوت الذى غمغم قربي

إنه الأمسُ إذن عاد ليحيا من جديد
إنه عاد إذن يطرق أبوابَ سُرودى
أسفاً يا شبحى عد للتراب
لم تعد تملك أن تطرق بابى
لم يعد يربطنا إلا ركامٌ من حدود
هُوةٌ أعمقُ من ذنبك! ماذا؟
قد تبقى لك عندى غيرُ هذا؟
غير ذكرى عبرت يوماً ومرّت بوجدى؟

مر القطار

الليلُ ممتدُّ السكونِ إلى المدى
لا شيءَ يقطعُهُ سوى صوتِ بليدٍ
لحمامةٍ حيرى وكلبٍ ينبحُ النجمَ البعيدُ،
والساعةُ البلهاءُ تلتهمُ الغدا
وهناك في بعض الجهاتِ
مر القطارُ

عجلاته غزلت رجاءً بتُ أنتظر النهارُ
من أجله.. مرَّ القطارُ
وخبا بعيداً في السكونِ
خلفَ التلالِ النائياتِ
لم يبقَ في نفسى سوى رجعٍ وهونٍ
وأنا أصدقُ في النجومِ الحالماتِ
أتخيلُ العرباتِ والصفَّ الطويلِ
من ساهرينَ ومتعبينَ
أتخيلُ الليلَ الثقيلَ
في أعينِ سئمتِ وجوهَ الراكبينِ
في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ

سَمَتَ مِرَاقِبَةَ الظَّلَامِ الصَّامِتِ
أَتَصَوَّرُ الضَّجَرَ المَرِيرَ
فِي أَنفَسٍ مَلَّتْ وَأَتَعِبَهَا الصَّغِيرَ
هِيَ وَالْحَقَائِبُ فِي انتِظَارِ
هِيَ وَالْحَقَائِبُ تَحْتَ أَكْدَاسِ الغِبَارِ
تَغْفُو دَقَائِقَ ثُمَّ يَوْقِظُهَا القَطَارُ
وَيُطِلُّ بَعْضُ الرَّاكِبِينَ
مُتَثَابًا، نَعْسَانًا، فِي كَسَلٍ يَحْدَقُ فِي القِفَارِ
وَيَعُودُ يَنْظُرُ فِي وَجْهِه الآخرِينَ
فِي أَوْجِهِ الغُرَبَاءِ يَجْمَعُهُمُ قَطَارُ
وَيَكَادُ يَغْفُو ثُمَّ يَسْمَعُ فِي شُرُودِ
صَوْتًا يَغْمِغُمُ فِي بُرُودِ
«هَذِي العَقَارِبُ لَا تَسِيرُ!
كَمْ مَرَّةً مِنْ هَذَا المَسَاءِ؟ مَتَى الوُصُولُ؟»
وَتَدُقُ سَاعَتُهُ ثَلَاثًا فِي ذُهُولِ
وَهُنَا يَقَاطِعُهُ الصَّغِيرُ
وَيَلُوحُ مُصْبَاحُ الخَفِيرِ
وَيَلُوحُ ضَوْءُ مَحْطَةِ عِبَرِ المَسَاءِ
إِذْ ذَاكَ يَتَدُّ القَطَارُ المُجْهَدُ
... وَفَتَى هُنَالِكَ فِي انْطَوَاءِ

يَأبَى الرقَادَ وَلَمْ يَزَلْ يَتَنَهَّدُ
سَهْرَانِ يَرْتَقِبُ النُّجُومَ
فِي مَقْلَتِهِ بِرُودَةٍ خَطَّ الْوُجُومَ
أَطْرَافَهَا.. فِي وَجْهِهِ لَوْنٌ غَرِيبٌ
أَلْقَتْ عَلَيْهِ حَرَارَةُ الْأَحْلَامِ آثَارَ احْمِرَارِ
شَفَتَاهُ فِي شِبْهِ افْتِرَارِ
عَنْ شِبْهِ حُلْمٍ يَفْرُشُ اللَّيْلَ الْجَدِيبَ
بِخَفِيفِ أَجْنَحَةِ خَفِيَّاتِ اللَّحُونِ
عَيْنَاهُ فِي شِبْهِ انْطِبَاقِ
وَكَأَنَّهَا تَخْشَى فِرَارَ أَشْعَةِ خَلْفِ الْجَفُونِ
أَوْ أَنْ تَرَى شَيْئًا مَقِينًا لَا يُطَاقُ
هَذَا الْفَتَى الضَّجِرُ الْحَزِينُ
عَبَثًا يَحَاوِلُ أَنْ يَرَى فِي الْآخِرِينَ
شَيْئًا سِوَى اللَّغْزِ الْقَدِيمِ
وَالْقِصَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي سَمَّ الْوُجُودُ
أَبْطَالَهَا وَفَصُولَهَا وَمَضَى يِرَاقِبُ فِي بَرُودِ
تَكَرَّارِهَا الْبَالِي السَّقِيمِ
هَذَا الْفَتَى.....
وَتَمُرُّ أَقْدَامُ الْخَفِيرِ
وَيُطِلُّ وَجْهُ عَابِسٍ خَلْفَ الزُّجَاجِ،

وجهُ الخفير!
ويهزُّ في يده السراجُ
فيرى الوجوهَ المتعبه
والنائمينَ وهمُ جلوسٌ في القطارِ
والأعينَ المترقبه
في كلِّ جفنٍ صرخةٌ باسمِ النهارِ،
وتضيقُ أقدامُ الخفيرِ الساهدِ
خلفَ الظلامِ الراكدِ

مرَّ القطارُ وضاع في قلبِ القفارِ
وبقيت وحدي أسألُ الليلَ الشرودَ
عن شاعري ومتى يعودُ؟
ومتى يجيئُ به القطارُ؟
أتراهُ مرَّ به الخفيرُ
ورآه لم يعبأ به.. كالآخرينِ
ومضى يسيرُ
هو والسراجُ ويفحصانِ الراكبينِ
وأنا هنا ما زلتُ أرقُبُ في انتظارِ
وأودُّ لو جاءَ القطارُ....

عروق خامدة

يا حُبُّ لم تَبْقَ لنا ذكرى
كان لنا ماضٍ وقد مرَّ
لم يَطوها الموتُ
ولفَّه الصمتُ

نحن هنا وهممان، لا لونا
سرابٌ لاشيئين، لا معنى
لا صوتَ لا شكلاً
لا لفظَ لا ظلاً

تدفعنا الآهاتُ والأحزانُ
يا ليتنا نظفرُ بالنسيانُ
ومالنا مأوى
أو نُمنحُ السلى

نبكى فلا تحنو علينا يدُ
نحن هنا اللا أمسُ واللا غدُ
بريتية من حنانٍ
نحن هنا اللاكسيانُ

أعيننا أفقٌ بلا لونٍ
شفاهنا لحمٌ بلا لحنٍ
لا يعكس الأشياءُ
وروحنا أشياء

ونلتقى فتسكتُ النجوى
وضحكةٌ تبدو بلا جدوى
وتكتم الأنفاسُ
ينقصُها الإحساسُ

وتلتقى الكفان أينَ الرغابُ
أصابعُ مَيِّنةٍ الأعصابُ

ورغشة الأشواق؟
ليس لها أعماقُ

وأعينُ فارغةُ الأحداقُ
الشرقُ فيها أسودُ الآفاقُ

ليسَ لها قلبُ
ويلهتُ الغربُ

وأذرعُ صماءُ كالأحجارُ
جامدة لو لامستها النارُ

فارقها الشوقُ
لم يستفق عرقُ

ونلتقى ينقصنا شيءُ
شفاهنا يُنكرها الضوءُ

شيءٌ وراءَ الروحِ
وليلُنا مجروحُ

ونلتقى تفصيلُنا آلامُ
يعزُّ أنْ تجتمعَنا الأيامُ

وأدمعُ خُـرْسٍ
وبيننا الأمسُ

وبيننا هاوية الذكري
سُدَى أريدُ الضَّفَّةَ الأخرى

تقذفُ بالأشباحِ
قد غرقَ الملاحُ

١٩٤٨

الجرح الغاضب

أَغْضَبُ أَغْضَبُ لَنْ أَحْتَمِلَ الْجُرْحَ السَّاحِرُ
جُرْحٌ قَدْ مَرَّ مَسَاءَ الْأَمْسِ عَلَى قَلْبِي
جُرْحٌ يَجْتُمُّ كَاللَّيْلِ الْمُعْتَمِ فِي قَلْبِي
جُرْحٌ لَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ مِنْ قَبْلِي مِثْلَهُ
لَنْ يَشْكُو قَلْبٌ بِشَرِّ بَعْدِي مِثْلَهُ

الظلمة في أمسى المطوى أحسنه
ومضت تهمس في صمت الليل: من الجاني
حتى الأبدية والآفاق أحسنه
وتناسى، لم يعبا، لم يتبهِ الجاني.

أَغْضَبُ، تَغْضَبُ لِي هَمَّاتُ اللَّيْلِ الصَّامِتِ
وتُحِيلُ الْجَوَّ الْوَاجِمَ صَرْخَةً جَبَّارِ
وتَقُولُ الْأَنْجَمُ: هَذِي نَقْمَةٌ جَبَّارِ
أَغْضَبُ، يَرْتَعْشُ الْمَوْجُ مَعِيَ تَحْتَ الْقَمَرِ
ويَضْجُ وتَبْلُغُ ثَوْرَتُهُ سَمْعَ الْقَمَرِ

ويُجَنُّ الْغَيْمُ الْأَسْوَدُ فِي عَرْضِ الْأَفْقِ
ويتحولُ صمْتِي نَاراً تَصْرُخُ فِي الْأَفْقِ
ويلفُ الشَّاطِئُ ثَوْبَ حِدَادٍ كَجَنَازِهِ
وأغنى رَقَّةَ إْحْسَاسِي لَحْنَ جَنَازِهِ

أمسى، فى أمسى قد دُفِنَتْ أَشْلَاءُ غدى

كيفَ على الأرض تساقطَ حلمى بين يدي

كانت، لم يَذْرِ بها أحدٌ، شبهُ جريمه
الجُرحُ النديانُ سيشهد، أى جريمه
كيف المقدورُ مضى نَزَقاً يقتل قلباً؟
وتبقت بضعةُ أشلاءٍ كانت قلباً

وتبقت ذكرى مُطفأةٌ كانت أمسا

جُدرانٌ عاريةٌ كانت يوماً أمسا

وتبقت أناتٌ حيرى كانت لحنا
أصداءٌ فى غارٍ خاوٍ كانت لحنا

ومن الأعماق تصاعدَ صوتٌ مخنوقٌ

قد يشارُ لى مطرٌ ورعودٌ وبروقٌ

يهتفُ فى حُزنٍ، فى جزعٍ: كيف أبوحُ؟
ليت الجُرحُ المظلومَ إلى الليلِ يبوحُ
ورأيتُ على الأفقِ المخضوبِ بفيضِ دمي
شبحاً تفتُرُ على فمه قطراتُ دمي

عيناهُ الزرقاوانِ مساءً أهوالِ

شبحٌ مجنونٌ أيقظَ عاصفَ أهوالِ

ويداهُ السوداوانِ ذراعاً عفريتِ
وأحالَ دياجيرى أحجيةَ عفريتِ

أَغْضَبُ لِلْجُرْحِ الْمُخْتَلِجِ الشَّاكِيَ أَغْضَبُ

سَيَجُنُّ مَعِيَ الصَّبِيرُ الْمَذْبُوحُ الْمُرْتَعَشُ

سَتَجُنُّ مَعِيَ اللَّعْنَةُ وَالْحَقْدُ الْمُرْتَعَشُ

سَتُورُ مَعِيَ الذِّكْرَى سَتُورُ وَلَا مَهْرَبُ

لَا مَهْرَبَ مِنْ جُرْحٍ قَدْ مَرَّ عَلَى قَلْبِي

جُرْحٌ يَصْرُخُ كَالْجُوعِ الْبَائِسِ فِي قَلْبِي

الظُّلْمَةُ فِي صَمْتِ الْآفَاقِ أَحْسَنُهُ

وَمَضَتْ تَسْأَلُ فِي قَلْبِ اللَّيْلِ: مَنْ الْجَانِي؟

حَتَّى الْقُمْرِيَّةُ وَالْأَشْجَارُ أَحْسَنُهُ

وَتَضَاحَكُ، لَمْ يَشْعُرْ، لَمْ يَنْتَبِهْ الْجَانِي

١٩٤٨

الباحثة عن الغد

غداً نلتقى» نبأ في الزمان	روته الحبيباه
تلاشى ولم تروه شفتان	تلاشى وتاه
وجاء غداً ثم ولّى ومات	وعاد ضباباً
فأين «غداً نلتقى» يا حياة	أعادت تراباً؟
«غداً نلتقى» ثم مات الزمان	وضاع المكان
وهل يلتقى أبداً عاشقان	على لا كيان؟
وكان لنا موعدٌ فانطوى	صداه ومات
وكم كوكب في الدياجي هوى	عاد رفات
وكانت لنا قصةٌ كالْبَشَرِ	نسج السنين
فأسفر آخرها عن قدر	وذاب الرنين
وكنّا نمرُ فسترنوا الحياة	وتومى إلينا
وها نحن تختصم الذكريات	على شفّتنا

ويطرُدُنَا الأَمْسُ مِنْ كُلِّ مَسَا
سَوَى حَاضِرٍ مُغْرَقٍ فِي الدِّمَا

مَلَكْنَاهُ يَوْمَ مَسَا
وَيَقْطُرُ سُمًّا

وَنَسْمَعُ بَعْضاً وَرَاءَ الْمَسَاءِ
صَدَى لَفْظَتَيْنِ يَجُوسُ الْفُضَاءِ

مِنْ الْمَشْرِقِ
«غَدَا نَلْتَقِي»

وَيَأْتِي غَدًا فِي أَسَى وَشُرُودِ
بِأَلْفِ صَدَى سَاخِرٍ فِي بَرُودِ

بَصْمَتِ طَوِيلِ
وَرَاءَ النِّخِيلِ

«غَدَا نَلْتَقِي» وَيَسُودُ السَّكُونُ
وَأَسْمَعُ تَحْتَ السَّمَاءِ الْحَنُونَ

سَكُونِ الْخَرِيفِ
صَرَخِ أَعْنِيفِ

وَقَهْقَهَةً، فَظَةً، بَارِدَةً
تَرُدُّهَا شَفَّةٌ حَاقِدَةً

كَجَوِّ الْقَبْرِ
وَرَاءَ الْعَصْرِ

«غَدَا نَلْتَقِي» وَتَمُطُّ النِّغَمُ
وَيَبْقَى غَدَى تَائِهًا فِي الظُّلَمِ

وَتَسْخَرُ مِنْ
يَفْقَشِ عَنِي

١٩٤٨

الأفعوان

أين أمشي؟ مللتُ الدروبُ
وسئمت المروجُ
والعدو الخفي اللجوج
لم يزل يقتفى خطواتي، فأين الهروب؟
الممرات والطرق الذاهباتُ
بالأغاني إلى كل أفق غريبُ
ودروب الحياة
والدهاليز في ظلمات الدجي الحالكات
وزوايا النهار الجديب
جبتها كلها، وعدوى الخفي العنيدُ
صامدٌ كجبال الجليد
في الشمال البعيد
صامدٌ كصمود النجوم
في عيون جفأها الرقادُ
ورمتها أكفُ الهموم
بجراح السهاد
صامدٌ كصمود الزمن

ساعة الانتظار
كلما أمعنت في الفرار
خطواتي تخطي القنن
وأتاني بما حطمته جهود النهار
من قيود التذكر... لن أنشد الانفلات
من قيودي، وأي انفلات
وعدوى المخيف
مقلته تمج الحريف
فوق روح تريد الربيع
وراء الضباب الشفيف
ذلك الأفعوان الفظيع
ذلك الغول أي اعتاق
من ظلال يديه على جبهتي الباردة
أين أنجو وأهدأه الحاقده
في طريقى تصب غداً مينا لا يطاق؟

أين أمشي؟ وأي انحناء
يُغلق الباب دون عدوى المريب
إنه يتحدى الرجاء

ويقهقه سُخريةً من وجومي الرهيبُ
إنه لا يُحسّ البكاءُ
أين.. أين أغيبُ
هَرَبِي المستمرُّ الرتيبُ
لم يعدْ يستجيبُ
لنداءِ ارتياحِي وفيم صراخُ النداءِ؟
هل هناك ملاذٌ قريبُ
أو بعيدٌ.. سأمضي وإن كان خلفَ السماءِ
أو وراءَ حُدودِ الرجاءِ
ثم ذاتَ مساءً
أسمعُ الصوتَ:
«سيري فهذا طريقٌ عميقُ
يتخطى حدودَ المكانِ
لن تعي فيه صوتاً لغمغمةِ الأفعوانِ
إنه «لا برنث» سحيقُ
ربما شيدتهُ يدٌ في قديم الزمانِ
لأمير غريبِ الطباعِ
ثم ماتَ الأميرُ.. وأبقى الطريقُ
لأكفِّ الضياعِ»
أسمعُ الصوتَ ملءَ البقاعِ

فأسيرُ لعلِّي أفيقُ
من دياجير كابوسي الأبدى الصفيقُ
ربما سيضلُّ عدوى الطريقُ
ما أحبُّ المسيرَ وليس ورائي خطيَّ مائه
تتمطى بأصدائها الباهته
في محاني طريقى الطويلُ
إنه لن يجيءُ
لن يجيءُ وإن عبَّرَ المستحيلُ
أبدأ لن يجيءُ
لن يراه فؤادى البرى
من جديد يثيرُ الرياحُ
لتسدَّ على السبيلُ
في هدوء الصباح
أبدأ لن يجيءُ
لن يجيءُ!

وأسمعُ قهقهةً حاقدَه
إنه جاء، يا لضياع رجائي الكسيرُ
في دُجى اللَّابرنث الضريرُ
وأحسُّ اليدَ المارده
تضغَطُ البردَ والرُّعبَ فوق هدوئى الغريرُ

بأصابعها الجامده
إنه جاء.. فيم المسير؟
سأودعُ حلمي القصيرُ
وأعودُ بجُثته الباردة

وتمرُّ تمرُّ الحياة
وعدوى الخفى العنيدُ
خلف كلِّ طريقٍ جديدٍ
فى ليالى الأسى الخالكات
خلف كلِّ سحرٍ
وأراه يُطلُّ على مع المتظَّرُ
مع أمسى البعيدُ
مع ضوء القمرِ
فى الفضاء المديدُ
أين أين المفرُ
من عدوى العنيدُ
وهو مثلُ القدرِ
سرمديُّ، خفىُّ، أبيضُ.
سرمديُّ، أبيضُ.

خرافات

«هدية إلى صديقتي ديزى الأمير تحية لذكرى مساء
فلسفنا فيه كل شئ حتى الكراسى والمناضد والستائر».

قالوا الحياة

هى لونُ عَيْنِي مَيّتِ
هى وقعُ خَطْوِ القاتِلِ المتلفَتِ
أيامُها المتجعداتُ
كالمعطفِ المسمومِ ينضحُ بالمماتِ
أحلامُها بِسَمَاتٍ سَعَلَاةٌ مخدّرةُ العيونِ
ووراءَ بِسْمَتِهَا المُنُونُ

قالوا الأملُ

هو حَسْرَةُ الظمآنِ حينَ يرى الكؤوسَ
فى صورةٍ فوقِ الجدارِ
هو ذلكَ اللونُ العَبُوسُ
فى وجهِ عُصفورٍ تَحَطَّمْ عِشُّهُ فبكى وطارَ
وأقامَ ينتظرُ الصبّاحَ لعلَّ معجزةً تُعيدُ
أنقاضَ مأواهُ المخربِ من جديدٍ.

قالوا النعيم

وبحثتُ عنه في العيون الغائراتُ
في قصة البؤس التي كُتبتُ على بعض الوجوه
في الدهرِ تاكلهُ سنوه
في الزهرِ يرصدُ عطره شبحُ الذبولِ
في نجمة حسناء يرصدُها الأفولُ
قالوا النعيم ولم أجده فهل طوى غده ومات؟

قالوا السكون

أسطورةٌ حمقاءُ جاء بها جمادُ
يُصغى بأذنيه ويتركُ روحه تحت الرمادُ
لم يسمع الصرّخاتِ يرسلُها السياجُ،
وقصائصُ الورقِ الممزّقِ في الخرائب، والغبارُ،
ومقاعدُ الغُرفِ القديمة، والزُجاجُ،
غطاهُ نسجُ العنكبوت، ومعطفٌ فوق الجدارِ.

قالوا الشباب

وسألتُ عنه فحدثوني عن سنينِ
تأتى فينقشعُ الضبابُ

وتحدثوا عن جنة خلف السراب
وتحدثوا عن واحة للمتعبين
وبلغتها فوجدت أحلام الغد
مصلوبة عند الرجاج الموصد

قالوا الخلود

ووجدته ظلاً تمطى فى برود

فوق المدافن حيث تنكمش الحياة
ووجدته لفظاً على بعض الشفاء
غنته وهى تنوح ماضيتها وتنزله اللحود
غنته وهى تموت.. يا للإزدراء!
قالوا الخلود، ولم أجد إلا القناء.

قالوا القلوب

ووجدت أبواباً تؤدى فى اختناق
لمقابر دفن الشعور بها ومات غد الخيال
جدرانها اللزجات تبتلع الجمال
ونمج قبحاً لا يطاق
وهربت شاحبة أهلك إذن قلوب؟
يا خيبة الأحلام، إني لن أؤوب.

قالوا العيونُ

ووجدتُ أجفاناً وليس لها بَصَرُ
وعرَفتُ أهداباً شُدْذَنَ إلى حَجَرٍ
وخبرتُ أقباءً ملفَّعةً بأستار الظنونِ
عمياءَ عن غير الشرور وإن تكن تُدعى عيونُ
وعرفتُ آلافاً وأعينُهُم صفائحُ من زجاجِ
زرقاءُ في لون السماء، وخلف زرقتها دِيَاجُ

قالوا وقالوا

ألفاظُهُم لاكت ترَدَّدَها الرياحُ
في عالمِ أصواته الجوفاءُ يرصدُّها الفناءُ
المتعبون بلا ارتياحِ
الضائعون بلا انتهاءِ
قالوا وقلتُ وليس يبقى ما يُقالُ
يا للخرافة! يا لسُخريةِ الخيال!

١٩٤٨

جحود

فى سُكونِ المساءِ فى ظلامِ الوجودِ
حينَ نامَ الضياءُ واعتراانى جُمودُ

خَلْتُ نَفْسِي أُسِيرَ فى مكانٍ بعيدِ
فَسَوْقَ قَلْبِي أَثِيرَ تحتَ رِجْلِي قُيُودِ

فى كِيانِي فُتُورُ فى دَمِي نَوُورُ
لَقَّبُوهُ الشَّعُورُ وهُوَ لَا شَيْءُ

فى إِسْـمِـارِ الأَلَمِ رُوحِي المَبِيدِ هَمِ
يا مَعانِي العَدَمِ آهِ لَوْ أَفْـمِـدِ هَمِ

فى ضَبَابِ الوجودِ أَنَا كَالسَّرِّ
وَعَدًا سَاعُودِ دُونَ أَنْ أُدْرِى

جَسَدِي فى الأَلَمِ خَاطِرِي فى القِيُودِ
بَيْنَ هَمَسِ العَدَمِ وَصُـرَاخِ الوجُودِ

وسكونى حـيـاة
النجاة النجاة

وظلامى برىق
من شعورى العميق

أنا حـلـم
أنا جـسـم

وشعور طهور
مُفـرّق فى الشرور

بل أنا أفـاق
وأنا أعـمـاق

من شعور عـنـيف
من خـيـم مـخـيف

المقـايـس
الأحـاسـس

ليس تـعـنـينى
هى قـانـونى

أنا لا أهـوى
فـيـذا دوى

مـا يـحـبُّ النـاس
فى دـمى إحـسـاس

سـرت لا أـلوى
فـغـداً يـطوى

سـرت خلف الصـوت
فـجـر عـمـرى المـوت

فى دـمى إعـصـار
وشـظـايـا نـار

عـاصـف بالـجـمـود
تـحـدّى الرـكـود

كلُّ قَلْبِي شَكُّ	فِي مَعَانِي الْخَيْرِ
فِكْرَةٌ تُضْحِكُ	أَنَا أَهْوَى الشَّرِّ
إِنْ يَكُ الْجَسَمُ	مِنْ تَرَابٍ حَقِيرٍ
فَأَنَا إِيَّاهُ	أَنَا لَسْتُ أَثِيرُ
إِنْ يَكُ الْعَمَلُ	يَمِيقُ الْإِنْفَجَارَ
فَأَنَا حِلٌّ	مِنْهُ.. يَا لِّلْعَارِ!
إِنْ يَكُ الْإِيمَانُ	هُوَ هَذَا الْجُودُ
فَأَنَا نُكْرَانُ	أَنَا كُلِّي جُودُ

١٩٤٧

مرثية يوم تافه

لاحت الظلمة في الأفق السحيق
وانتهى اليوم الغريب
ومضت أصدائه نحو كهوف الذكريات
وغداً تمضي كما كانت حياتي
شفة ظمأى وكوب
عكست أعماقه لون الرحيق
وإذا ما لمستهُ شفتايا
لم تجد من لذة الذكرى بقايا
لم تجد حتى بقايا

انتهى اليوم الغريب
انتهى وانتحبت حتى الذنوب
وبكت حتى حماقاتي التي سميتها
ذكرياتي
انتهى لم يبق في كفى منه
غير ذكرى نغم يصرخ في أعماق ذاتي
رائياً كفى التي أفرغتها

من حياتي، وادِّكاراتي، ويومٍ من شبابي
ضاعَ في وادي السرابِ
في الضبابِ.

كان يوماً من حياتي
ضائعاً ألقيتهُ دون اضطرابِ
فوق أشلاءِ شبابي
عند تلِّ الذكرياتِ
فوق آلافٍ من الساعاتِ تاهت في الضبابِ
في متاهاتِ الليالي الغابراتِ.

كان يوماً تافهاً، كان غريباً
أن تدُقَّ الساعةُ الكسلى وتُحصي لحظاتي
إنه لم يكُ يوماً من حياتي
إنه قد كان تحقيقاً رهيباً
لبقايا لعنةِ الذكرى التي مزقتها
هي والكأسُ التي حطمتها
عند قبرِ الأملِ الميتِ، خلفَ السنواتِ،
خلف ذاتي

كان يوماً تافهاً.. حتى المساء
مرت الساعاتُ في شبه بكاءٍ
كلُّها حتى المساءِ
عندما أيقظَ سمعى صوتهُ
صوتهُ الحلو الذي ضيَّعتهُ
عندما أهدتِ الظلمةُ بالأفقِ الرهيبِ
وامتحتُ حتى بقايا ألمي، حتى ذنوبي
وامتحي صوتُ حبيبي
حملتِ أصداءه كفَّ الغروبِ
لمكان غابَ عن أعينِ قلبي
غابَ لم تبقَ سوى الذكرى وحبي
وصدى يومٍ غريبِ
كشحوبى
عبثاً أضرعُ أن يُرجعَ لى صوتَ حبيبي.

١٩٤٨

الغاز

دَعْنِي فِي صَمْتِي فِي إِحْسَاسِي الْمَكْبُوتِ
لَا تَسْأَلْ عَنِ الْغَازِ غُمُوضِي وَسَكُوتِي

دَعْنِي فِي لُغْزِي لَا تَبْحَثْ عَنْ أَغْوَارِي
اقْنَعْ مِنْ فَهْمِ أَحَاسِيْسِي بِالْأَسْرَارِ

لَا تَسْأَلْ إِنِّي أَحْيَانًا لُغْزٌ مُبْهِمٌ
أَبْقَى فِي الْغَيْبِ مَعَ الْأَسْرَارِ وَلَا أَفْهَمُ

رُوحِي لَا تَعْشَقُ أَنْ تَحْيَا مِثْلَ النَّاسِ
أَنَا أَحْيَانًا أَنْسَى بَشَرِيَّةَ إِحْسَاسِي

حَتَّى حُبُّكَ.. حَتَّى آفَاقُكَ تَوْذِينِي
فَأَنَا رُوحٌ أَسْبَحُ كَالطَّيْفِ الْمَفْتُونِ

قَلْبِي الْمَجْهُولُ يُحَسُّ شَعُورًا عُلُويًّا
لَا حَسًّا يُشَبِّهُهُ لَا وَعْيًا بَشَرِيًّا

إِذَا ذَاكَ أَحْسَكَ شَيْئًا بَشْرِيًّا فَلَقَا
قِمَّةَ أَحْلَامِي تَرَفُّضُهُ مَهْمَا اتَّלَقَا

إِذَا ذَاكَ يَحْسُكَ رُوحِي بِعُضِّ الْأُمُوتِ
مَا سُمِّيَ «أَنْتَ» هَوًى، لَمْ تَبْقَ سِوَى ذَاتِي

فِي وَجْهِكَ أَنْظِرْ لِكُنِّي لَا أَبْصِرُهُ
فِي رُوحِي أَبْحِثْ عَنْ شَيْءٍ أَتَذْكُرُهُ

أَتَذْكُرُ، لَا أَدْرِي مَاذَا، مَاذَا كَانَا؟
شَيْءٌ لَا شَكْلَ يَحْدُدُهُ.. لَا أَلْوَانَا

الْمِبْهَمُ فِي رُوحِي يَبْقَى فِي إِبْهَامِهِ
دَعَهُ لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ، عَنْ أَنْغَامِهِ

دَعْنِي فِي الْغَازِي الْعُلْيَا، فِي أَسْرَارِي
فِي صَمْتِي، فِي رُوحِي، فِي مَهْمَةِ أَفْكَارِي

فِي نَفْسِي جُزْءٌ أَبَدِيٌّ لَا تَفْهَمُهُ
فِي قَلْبِي حُلْمٌ عَلَوِيٌّ لَا تَعْلَمُهُ

دَعْنِي، مَاذَا يَعْنيكَ لِتَسْأَلَ فِي إِصرَارِي؟
الْحُبُّ يَمُوتُ إِذَا لَمْ تَحْجِبْهُ أَسْرَارِي

إِنِّي كَاللَّيْلِ: سَكُونٌ، عَمَقٌ، آفَاقٌ
إِنِّي كَالنَّجْمِ: غَمُوضٌ، بُعْدٌ، إِيرَاقٌ

فَافْهَمْنِي إِنْ فَهَمَ اللَّيْلُ، افْهَمْ حِسِّي
وَالْمُسْنِي إِنْ لُمِسَ النَّجْمُ، الْمَسْ نَفْسِي

١٩٤٧

جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياةَ
وأدركتُ ما هي أيُّ فراغٍ ثَقِيلٍ
أخيراً تبَيَّنَتْ سرُّ الفقايعِ واخيتاهُ
وأدركتُ أني أضعتُ زماناً طويلاً
ألمُ الظلالَ وأخطُ في عَتَمَةِ المستحيلِ
ألمُ الظلالَ ولا شيءَ غيرِ الظلالِ
ومرَّتْ عليَّ الليالِ
وها أنا أدركُ أني لمستُ الحياةَ
وإن كنتُ أصرخُ واخيتاهُ!

ومرَّ عليَّ زمانٌ بطيءُ العبورِ
دقائقُهُ تتمطى ملالاً كأنَّ العُصورَ
هنالكَ تغفو وتنسى مواكبها أن تدورَ
زمانٌ شديدُ السوادِ، ولونُ النجومِ
يذكرُنِي بعيونِ الذئابِ
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغيومِ
عرفتُ به في النهايةِ لونَ السرابِ

ووهم الحياة

فواخيبتاه

أهذا إذن هو ما لقبوه الحياة؟
خُطوطٌ نَظَلُّ نَخْطُطُهَا فوقَ وجهِ المياهِ
وأصداءُ أغنيةِ فِظَّةٍ لا تَمَسُّ الشِّفَاهُ
وهذا إذن هو سرُّ الوجود؟

ليالٍ ممزقةٌ لا تعودُ
وآثارُ أقدامنا في طريقِ الزمانِ الأصمِّ
تمرُّ عليها يدُ العاصفه
فتمسحُها دونما عاطفه
وتُسَلِّمُهَا للعدمِ
ونحنُ ضحايا هنا
تجوعُ وتعطشُ أرواحنا الحائره
ونحسبُ أن المني
ستملاً يوماً مشاعراً العاصره
ونجهلُ أننا ندورُ
مع الوهمِ في حلقاتٍ
نجزِّي أياماً الآفلاتِ

إلى ذكريات
ونتظرُ الغدَ خلفَ العُصورِ
ونجهلُ أن القبورَ
تمدُّ إلينا بأذرعها الباردة
ونجهلُ أن الستائرَ تُخفي بدأً مارده

عرفتُ الحياةَ، وضقتُ بجمع الظلالِ
وأضجرتُني أن نجوبَ التلالِ
نحدقُ في حَسرةٍ خلفَ ركبِ الليالِ
تسيرُ بنا القافله
نجوسُ الشوارعَ في وَحدةٍ قاتله
إلامَ يُخادعنا المبهمُ؟
وكيفَ النهايةُ؟ لا أحدٌ يعلم

سنبقى نسيرُ
وأبقى أنا في ذهولي الغريرِ
ألمُ الظلالِ كما كنتُ دونَ اهتمامِ
عيونٌ ولا لون، لا شيءَ إلا الظلامِ
شفاهُ تريدُ ولا شيءَ يقربُ مما تريدُ

وأيد تُريدُ احتضانَ الفضاءِ المديدِ
وقلبٌ يريدُ النجومَ
فيصفعهُ في الدياجيرِ صوتُ القدومِ
يُهيلُ الترابَ على آخرِ الميتينِ
وأقصوصةٌ من يرَاعُ السنينِ
تضجُ بسمعى فأصرخُ: آه!
أخيراً عرفتُ الحياه
فواخيبتاه!

١٩٤٨

أجراس سوداء

لَنَمْتُ فَالحياة جفَّتْ وهذى الأ
وغيومُ الذهول في أعين الأيـ
وسكونُ الحياة في جَسَدِ الأحـ
وفـراعُ الآهاتِ أثبتَ أنا
كؤُسُ الفارغاتُ تَسْخَرُ منا
سامِ عاداتِ أجلى وأعمقَ لونا
سلام لم يُبقِ قَطُّ للعيش معنى
قد فرغنا من دورنا وانتهينا

وعميقاً في الليل نسمعُ أقدا
ودوىُّ الأجراس يُنذرنا أنَّـ
أن ما في الكؤوس يُوشكُ أن يند
أنَّ ما في العيونِ من عطشِ الأحـ
مَ الليالي في رهبةٍ ووجومِ
ما انتهينا من دورنا المحمومِ
ضَبَّ إلا من حفنةٍ من همومِ
سلام أمسى رماداً حبٌّ قديم

وبعيداً في الجوّ تُنذرنا الأصـ
أنَّ لونَ الخيالِ قد حالَ وارتدَّ
أن «قَبْلَ» الرجاء أصبحَ لا «بَعـ
أن شيئاً في عُمقِ أنفسنا يجد
سواتُ أن الحياةَ عادتُ جُنونا
شُحوباً وواقِعاً محزوناً
لداً له فهو فكرةٌ لن تكونا
لذُبنا للمماتِ، شيئاً مكينا

ولماذا نبقي هنا؟ أولم نشـ
أولم نُدركِ النعيمَ وخمرِ النـ
أولم نعرفِ الأسى العاصـرَ
أولم نُشبعِ الوجودَ ومن فيـ

بيعَ ونضجرَ ونروَ دونَ انتهاء؟
صرَ والحبَّ نابضاً بالرجاء؟
والنومَ بعدَ طولِ البكاء؟
هـ احتقاراً ونمضَ باستهزاء؟

ولماذا نبقي هنا؟ أسمعُ المو
لنمتُ فالرياحُ تجرحُ وجهيـ
وهنا نحنُ مُتعبانِ غريبـا
وهنا نحنُ ميّتانِ وإن كا

تَ ينادي بنا فلمَ لا نُجيبُ؟
بنا ولونُ الدُجى عميقٌ رهيبُ
نِ تعالي بنا الشبابُ الكئيبُ
نَ لعرقِ الحياة فينا وجيبُ

«الغريبان» هكذا يهمسُ الـ
أيها الليلُ لن يعيشَ الغريبـا
خُذهما ارخِ جُنْحَكَ الأسودَ الها
خُذهما عزّاً أن يقولوا «غريبـا

لُ وأجراسه تُلفُ الوجودا
نِ ولن يلمسَ مساءً جديدا
ديَّ حوليهما وحلّقْ بعيدا
نِ» وكانت أقصوصةً لن تعودا

١٩٤٨

نهاية السلم

مرّت أيامٌ منطفئاتُ
لم نلتقِ لم يجمعنا حتى طيفُ سرّابٍ
وأنا وحدي، أقتاتُ بوقعِ خطي الظُّلماتُ
خلف زُجاجِ النافذةِ الفضةِ، خلف البابِ
وأنا وحدي...

مرّت أيامٌ
باردةٌ تزحفُ ساحبةً ضجري المرتابِ
وأنا أصغى وأعدُّ دقائقها القلقاتُ
هل مرّ بنا زمنٌ؟ أم خُضنا اللازمنا؟
مرّت أيامٌ

أيامٌ تُثقلها أشواقى، أين أنا؟
ما زلتُ أجدُّ في السُّلمِ
والسُّلمُ يبدأ لكن أين نهايته؟
يبدأ في قلبي حيثُ التيهُ وظلمتهُ
يبدأ، أين البابُ المبهمُ؟
بابُ السُّلمِ؟

مرّت أيام
لم نلتق، أنتَ هناك وراءَ مدى الأحلام
فى أفقٍ حفَّ به المجهول
وأنا أمشى، وأرى، وأنام
أستنفذُ أيامى وأجرُّ غدى المعسول
فيفرُّ إلى الماضى المفقود
أيامى تأكلُها الآهات متى ستعود؟
مرّت أيامٌ لم تتذكر أن هناك
فى زاوية من قلبك حباً مهجوراً
عضّت فى قدميه الأشواك
حباً يتضرّع مذعوراً
هبه النورا

عدّ، بعض لقاء
يمنحنا أجنحةً نجتاز الليلَ بها
فهناك فضاء
خلف الغابات الملتقات، هناك بحور
لاحدّ لها تُرغى وتمور
أمواجٌ من زبد الأحلام تقلّبها
أيدٍ من نور

عدّ، أم سيموت،
صوتى فى سمعك خلف المنعرج المقوت
وأظلُّ أنا شاردةً فى قلب النسيان
لاشئ سوى الصمت الممدود
فوق الأحزان
لاشئ سوى رجع نعلان
يهمسُ فى سمعى ليس يعود
لا ليس يعود

١٩٤٨

أنا

الليلُ يسألُ من أنا
أنا سرُّ القلقِ العميقِ الأسودُ
أنا صمتهُ المتمردُ
قنعتُ كنهى بالسكونِ
ولففتُ قلبي بالظنونِ
وبقيتُ ساهمةً هنا
أرنو وتسألني القرونُ
أنا من أكون؟

والريحُ تسألُ من أنا
أنا روحها الحيرانُ أنكرني الزمانُ
أنا مثلها في لا مكان
نبقى نسيرُ ولا انتهاءُ
نبقى نمرُ ولا بقاءُ
فإذا بلغنا المنحنى
خلناه خاتمةَ الشقاءِ
فإذا فضاء!

والدهر يسأل من أنا

أنا مثله جبارةٌ أطوى عُصورُ
وأعودُ أمنحها النشورُ
أنا أخلقُ الماضي البعيدُ
من فتنة الأمل الرغيدُ
وأعودُ أدفنه أنا
لأصوغَ لي أمساً جديداً
غده جليداً

والذاتُ تسألُ من أنا

أنا مثلها حيرى أصدقُ في ظلام
لأشياءَ يمنحني السلامُ
أبقى أسائلُ والجوابُ
سيظلُّ يحجبه سرابُ
وأظلُّ أحسبه دنا
فإذا وصلتُ إليه ذابُ
وخبا وغابُ

غرباء

أطفئُ الشمعةَ واتركنا غريبين هنا
نحن جزءان من الليلِ فما معنى السنا؟
يسقطُ الضوءُ على وهمين في جفنِ المساءِ
يسقطُ الضوءُ على بعضِ شظايا من رجاءِ
سُميتُ نحنُ وأدعوها أنا:
مللاً، نحن هنا مثلُ الضياءِ

غُرباءُ

اللقاء الباهتُ الباردُ كالיוםِ المطيرِ
كان قتلاً لأناشيدى وقبراً لشعورى
دقت الساعةُ فى الظلمة تسعاً ثم عشراً
وأنا من ألى أصغى وأُحصى، كنت حيرى
أسألُ الساعةَ ما جدوى حبورى
إن نكن نقضى الأماسى، أنت أذرى

غرباءُ

مرت الساعاتُ كالماضى يُغشيها الذبولُ
كالغدِ المجهولِ لا أدري أفجرُّ أم أصيلُ
مرت الساعاتُ والصمتُ كأجواءِ الشتاءِ

خلتهُ يخفق أنفاسي ويَطغى في دمائي
خلتهُ يَنبِسُ في نفسي يقولُ
أنتما تحت أعاصيرِ المساءِ

غرباءُ

أطفئُ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيفٍ
يسقطُ النورُ على وجهينِ في لونِ الخريفِ
أولا تبصرُ؟ عينانا ذبولٌ وبرودٌ
أولا تسمعُ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودٌ
صمتنا أصداءُ إنذارٍ مخيفٍ
ساخرٌ من أننا سوف نعودُ

غرباءُ

نحن من جاء بنا اليوم؟ ومن أين بدأنا؟
لم يكنْ يعرفنا الأمسُ رقيقين.. فدعنا
نظفرُ الذكرى كأن لم تك يوماً من صبانا
بعضُ حبٍّ نزق طاف بنا ثم سلانا
آه لو نحن رجعنا حيث كنا
قبل أن نفنى وما زلنا كلانا

غُرباءُ

أغنية الهاوية

مجبجتُ الزوايا التي تلتوى
وراء النفوس
وراء بريق العيون
وأبغضتُ حتى السكون
وتلك المعاني التي تنطوى
عليها الكؤوس
معاني الصدى والجنون
معاني الخطايا التي تُبرقُ
بريق النجوم
وفى لمسها اللهبُ المحرقُ
ولونُ الهمومُ
كرهتُ الجفونَ التي تأسرُ
وخلفَ سماء ابتساماتها
لهيب الحقود
كرهتُ الأكفَّ التي تعصرُ
وخلفَ حرارة رَعَشاتها
جمودٌ كذلَّ الحياه

على جُثَّةٍ تحت بعض اللحودُ
تعيثُ بها دودةٌ في برودُ
كرهتُ ارتعاشَ الشفاهِ
برجعِ الصلاه
ففى كلِّ لفظٍ خطيئه
تجيشُ بها رَغَبَاتُ دنيئه
وعفتُ طُموحى وبعثى الطويلُ
عن الخيرِ، والحبِّ، والمثلِ العالیه
وحقرتُ سعى إلى عالمٍ مستحيلُ
فخلفَ انخداعى تنتظرُ الهاويه
وعفتُ جنونى القديمَ وعفتُ الجديدُ
وأودعتهُ فى مكانٍ بعيدُ
دفنتُ به رَغَبَاتِ البشرِ
وسميتُ جنة الواهمين
ستمضى السنينُ
لماذا أحسُّ الأسى والضَجَرَ،
وكفُّ المطرُ
تلفُ على عنقى المختنقُ
حبالَ الفكرِ؟

وأين أسيرُ وقلبي النزقُ
هنالك ما زال، لا يردُّ
ولا يحترقُ

كقلب أبي الهول، أين الغدُّ؟
أحسُّ حياتي تذوبُ
قفي لحظةً واحده

ولا تسحبي يدك الباردة
فأغنية الهاويه
تُهبُ بأقدامي الشارده
وتلوى الدروبُ

قفي لحظةً يا حبال الحياه
ولا تتركيني هنا

معلقةً بالفراغ الرهيبُ
فأمسى القريبُ

تلاشي على آخر المنحنى
وظلُّ غدى

تلثم أواه لو أهدى
قفي لحظةً واحده

ولا تسحبي يدك الباردة

فأغنيةُ الهاوية
تردّدها الأنفُسُ الجانيه
تكرّرها في جنونٍ
على سمعي المجهّد
تكرّرها لم يعد لي سكون
أكادُ أسيرُ إلى الهاويه
مع السائرين
وأدفنُ آخرَ أحلامي
وأنسى غدي

١٩٤٨

فِي جِبَالِ الشَّمَالِ

عُدُّ بِنَا يَا قَطَارُ
فَالظَّلَامُ رَهِيْبٌ هُنَا وَالسَّكُونُ ثَقِيْلُ
عُدُّ بِنَا فَاَلْمَدَى شَاسِعٌ وَالطَّرِيقُ طَوِيْلُ
وَاللَّيَالَى قَصَارُ
عُدُّ بِنَا فَالرِّيَّاحُ تَنُوحُ وَرَاءَ الظَّلَالِ
وَعُوَاءُ الذَّنَابِ وَرَاءَ الْجِبَالِ
كَصَرَاحِ الْأَسَى فِي قُلُوبِ الْبَشَرِ
عُدُّ بِنَا فَعَلَى الْمُنْحَدَرِ
شَبَّاحٌ مَكْفَهَرٌ حَزِيْنُ
تَرَكْتُ قَدَمَاهُ عَلَى كُلِّ فَجْرٍ أَثَرُ
كُلِّ فَجْرٍ تَقْضَى هُنَا بِالْأَسَى وَالْحَنِينِ
شَبَّاحُ الْغُرْبَةِ الْقَاتِلِ
فِي جِبَالِ الشَّمَالِ الْحَزِيْنِ
شَبَّاحُ الْوَحْدَةِ الْقَاتِلِ
فِي الشَّمَالِ الْحَزِيْنِ
عَدُّ بِنَا قَدْ سَثَمْنَا الطَّوَافُ
فِي سُفُوحِ الْجِبَالِ وَعُدُّنَا نَخَافُ

أن تطولَ ليالى الغيابِ
ويغطى عوَاءُ الذئابِ
صوتنا ويعزُّ علينا الإيابُ
عدُّ بنا للجنوبِ
فهناك وراءَ الجبالِ قلوبُ
عدُّ بنا للذين تركناهم فى الضبابِ
كلُّ كفٍّ تلوحُ فى لهفةٍ واكتئابِ
كلُّ كفٍّ فؤادِ
عدُّ بنا يا قطارُ، سئمتنا الطَّوَّافَ وطالَ البعادُ
وهناك همسٌ عميقُ
لاثغُ خلفَ كلِّ طريقِ
فى شعابِ الجبالِ الضخامِ
ووراءَ الغمامِ
فى ارتعاشِ الصُّنوبرِ، فى القريةِ الشاحبةِ،
فى عوَاءِ ابنِ آوى، وفى الأنجمِ الغاربةِ،
فى المراعى هناك صوتُ شرودِ
هامسٌ أن نعودُ
فهناك بيوتٌ آخرُ
ومراعٍ آخرُ

وقلوبٌ آخرُ
وهناك عيونٌ أبت أن تنامَ
وأكفٌ تضمُّ الدُّجَى في اضطرامِ
وشفاةٌ ترددُ أسماءنا في الظلامِ
وقلوبٌ تُصيحُ لأقدامنا في وُجومِ
وتنادى النجومِ
في أسيٍّ وسكونٍ:
«ومتى يا نجومٌ سيذكرنا الهاربون؟»
«ومتى يرجعون؟»

لحظةً، سنعودُ
لن يرانا الدُّجَى هاهنا، سنعودُ
سنعودُ، سنطوى الجبالُ
ورُكامَ التلالِ
لن ترانا ليالى الشمالِ
ها هنا من جديدِ
لن يحسَّ الفضاءُ المديدِ
نارَ آهاتنا في المساءِ الرهيبِ
في سكونِ المساءِ الرهيبِ

عُدُّ بنا يا قطارَ الشمالِ
فهناكَ وراءَ الجبالِ
الوجوهُ الرقاقُ التي حجبَتها الليالِ
عُدُّ بنا، عُدُّ إلى الأذرعِ الحانيه
في ظلالِ النخيلِ
حيثُ أياْمنا الماضيه
في انتظارِ طويلِ
وقفتُ في انتظارِ
تتحرى رجوعَ القطارِ
لتسيرِ مع السائرينِ
حيثُ أياْمنا تسألُ العابرينِ
واحدًا، واحدًا، في حنينِ
«ومتى عودةُ الهارينِ؟»

لنعدُّ فهناكَ نشيدٌ قديمِ
حولنا هامسٌ بالرجوعِ
ما أحبُّ الرجوعِ
بعدَ هذا الطوافِ الأليمِ
في جديبِ الشعابِ
حيثُ تغوى الذئابُ

لنعدّ، فالدُّجَى باردٌ كالجليدِ
وهناكَ خلفَ الفضاءِ البعيدِ
أذرعٌ دافئه
لنعدّ فالجبالُ تكشّرُ عن ليلها المظلمِ
وهناكَ خلفَ الدُّجَى المبهَمِ
صوتُ أحبائنا، في الظلامِ السحيقِ
نابضاً بالحنينِ العميقِ
صوتُهم مُثَقلاً بالعتابِ
صوتُهم رددته الشعابِ
صوتُهم في سكونِ المكانِ
دائرٌ كالزمانِ
لنعدّ قبلَ أن يقضىَ الأفقوانِ
بفراقٍ طويلٍ، طويلٍ
عن ظلالِ النخيلِ
عن أعزّائنا خلفَ صمتِ القفارِ
عدّ بنا يا قطارَ
فالليالي قصارُ
وهناكَ أحبائنا في أسيّ وانتظارِ

إلى عمتي الراحلة

أنا لم أزل في الفَجْر رايةً
تدافعُ الذكرى على شفتي
الجُرحُ نديانٌ تعيشُ به
أيامهُ عادتُ صدى حلمٍ
غيرُ ابتساماتٍ ممزقةٍ
للأفق في صمتٍ وإعياءٍ
بعضُ ارتعاشاتٍ وأصداءٍ
أصداءُ ماضٍ مَيّت ناءٍ
لم تبقَ منه غيرُ أشلاءٍ
أودتُ بهنَّ مَرارةُ الداءِ

تدافعُ الذكرى وتلائي
الأمسُ ما زالتُ كآبته
بالليل كيفَ سهرته ألاماً
بدموعِ العطشى وحرقتها
باليأس كيف طغت مرارته
أشباحها قلقاً وأشجاناً
حرى تذكرنى بما كانا
بالفجر كيفَ أطلَّ ظمانا
بتدفق الإحساس أحزاناً
وتمردت حُرْقاً ونيراناً

الأمس هل في الأمس من حلمٍ
هل فيه بعضُ صدى يناغمنى
لفظٌ يمرُّ؟ وبسمة؟ ويدٌ
أواه، بعضُ خطى ألوذ بها
بعضُ ابتسامتك التي غربت
هل فيه ما ينجى من الحرق؟
ذكرى؟ رجاءٌ غيرُ محترقٍ
مرتُ برقتها على قلقي؟
من حزننى القاسى ومن أرقى
فى الصمت واحترقت على الأفق

الدمع أذرفسه ويذرفنى
قطراته نارٌ تمزقنى
عيناي تحترقان من ألم
جرحانٍ لاجفنان أين غدى؟
ما للحياة هَوَتْ أشعتها

أين التفتُ تصدّنى صورٌ
ذكرى من الماضى تحطمنى
أواه، كيف سقطت ميتة
وأنا أعيشُ رؤى ممزقة
تلتفتُ الذكري إلىك وبى

وأريدُ أن أنسى فتخفقنى
أبقيت جرحاً حافراً قلقاً
كفُ الحنان نسيتُ ملمسها
لم يبقَ منها غيرُ أغنية
وسهرتُ أنشدها وأنشدها

قلباً يجنُّ أسىً ويحنّضرُ
ما زال منها فى دمي أثر
تدنى وتقطرُ فيهما الصور
أين الطبيعة والهوى النضر؟
ليلاً وعكراً جوها القدر؟

وحشية، وشتيتُ آلام
وتظل تصهرُ جفنى الدامى
وأنا أعيشُ وتلك أوهامى
وأحسوك أهوائى وأحلامى
ظمأً يعتمُّ جوَّ أيامى

رعشاتُ حزنٍ ساهدٍ مرّ
فى قلبٍ أحلامى وفى شعرى
وفقدت معبرها على شعرى
جفت مرارتها على ثغرى
فى ليلة مأسورة الفجرِ

أواه من حُزنى ومن ظمأى هل عُدت طيفاً مطفأ المقل
 القبرُ ضمك فى برودته بعد ارتعاشة قلبى الخضل
 لا طير يوقظُ فيك عرق هوى لاشيء يبعثُ خامد الأمل
 الظلُ مرّ وأنت ساهية عن رقصه وشُعاعه الثمل
 والنجمُ لاح وأنت هامدة لا تعبأين بضوئه الخجل

وتمرُّ أصداءُ الحياة ضُحىً	بوسادك المحزونِ وا أسفا
صوتُ المؤذنِ كم سهرت له	ما بالهُ فى مسمعِك غفا؟
ما بال رُعشته تمرُّ على	قلب تناسى كيف أمس هفا
ما بالها لا ذت بغربتها	ومضتُ تباكى حولك (النجفا)
تبكى وترسمُ فى اتفاضتها	صوتاً يبيتُ الليلَ مُرتجفا

أوحيدة فى القبرِ هامدة	وأنا أمسُ سريرك الخاوى؟
خُصلاتُ شعرك فوقه حرقٌ فى عُمقِ يأسِ الصارخِ الداوى	
ومكانُ رأسك فى الوسادة فى	قلبي بقايا كوكبِ هاو
وقميصك الباكى أما بقيتُ	فيه حرارةُ جسمك الداوى؟
كيف انطويتِ وأنت خالدة فى أدمعى؟ شلتُ يدُ الطاوى	

أَصْغَى وَهَل تُصْنِفِينَ؟ هَل بَلَغَتْ مَشْوَاكَ أَصْدَاءُ ارْتِعَاشَاتِي
كَيْفَ انْتَفَضْتُ وَأَنْتِ هَامِدَةٌ فِي مَخْلَبِي أَلْمَى وَأَهَاتِي؟

تَعَثَّرُ النِّعَمَاتُ فِي شَفْتِي بِصُورَاكِ أَحْزَانِي وَأَنَاتِي
مَسَرَّقَتُ أَيَّامِي الَّتِي سَلَفَتْ وَدَفَنْتُ فِيكَ بِشَاشَةَ الْآتِي
وَأَضَعْتُ أَفْرَاحِي وَمِنْ عَبَثِ شِبْهِهِ ابْتِسَامَاتِي وَضُحُكَاتِي

١٩٤٨

الكوليرا

سَكَنُ اللَّيْلِ
اصْغِرْ إِلَى وَقْعِ صَدَى الْأَنَاتِ
فِي عُمُقِ الظُّلْمَةِ، تَحْتَ الصَّمْتِ، عَلَى الْأَمْوَاتِ
صَرَخَاتٌ تَعْلُو، تَضْطَرِبُ
حُزْنٌ يَتَدَفَّقُ، يَلْتَهَبُ
يَتَعَثَّرُ فِيهِ صَدَى الْآهَاتِ
فِي كُلِّ فَوَادٍ غَلِيَانُ
فِي الْكُوخِ السَّاكِنِ أَحْزَانُ
فِي كُلِّ مَكَانٍ رُوحٌ تَصْرُخُ فِي الظُّلُمَاتِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ يَبْكِي صَوْتُ
هَذَا مَا قَدْ مَرَّقَهُ الْمَوْتُ
الْمَوْتُ، الْمَوْتُ، الْمَوْتُ
يَا حُزْنَ النِّيلِ الصَّارِخِ مِمَّا فَعَلَ الْمَوْتُ

طَلَعَ الْفَجْرُ
اصْغِرْ إِلَى وَقْعِ خُطَى الْمَاشِينَ
فِي صَمْتِ الْفَجْرِ، اصْبَحْ، انْظُرْ رَكْبَ الْبَاكِينَ

عشرة أموات، عشرونا
لا تُخصِ اصْخُ للباكِينا
اسمعُ صوتَ الطفلِ المسكينِ
مَوْتِي، مَوْتِي، ضاعَ العددُ
مَوْتِي، مَوْتِي، لم يبقَ غَدُ
فى كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندبُهُ محزونُ
لا لحظةَ إخلادٍ لا صَمْتُ
هذا ما فعلتُ كَفُّ الموتِ
الموتُ، الموتُ، الموتُ
تشكو البشريةُ تشكو ما يرتكبُ الموتُ

الكوليرا
فى كهفِ الرُعبِ مع الأشلاءِ
فى صَمْتُ الأبدِ القاسى حيثُ الموتُ دواءُ
استيقظَ داءُ الكوليرا
حقداً يتدفقُ موتورا
هبطَ الوادى المريحَ الوُضَاءِ
يصرخُ مضطرباً مجنوناً
لا يسمعُ صوتَ الباكِينا
فى كلِّ مكانٍ خَلْفَ مَخْلَبِهِ أَصْدَاءُ

فى كوخ الفلاحة فى البيت
لا شىء سوى صرخات الموت
الموت، الموت، الموت
فى شخص الكوليرا القاسى ينتقم الموت

الصمت مرير
لا شىء سوى رجع التكبير
حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير
الجامع مات مؤذنه
الميت من سيؤبته

لم يبق سوى نوح وزفير
الطفل بلا أم وأب
يبكى من قلب ملتهب
وغداً لاشك سيلقفه الداء الشرير

يا شبح الهيضة ما أبقيت
لا شىء سوى أحزان الموت
الموت، الموت، الموت
يا مصر شعورى مزقه ما فعل الموت

لنكن أصدقاء

لنكن أصدقاء
في مَناهاة هذا الوجود الكئيب
حيثُ يمشى الدمارُ ويَحيا الفناء
في زوايا الليالي البطاء
حيثُ صوتُ الضحايا الرهيب
هازئاً بالرجاء
لنكن أصدقاء
فعيونُ القضاء
جامداتُ الحدق
ترمقُ البشرَ المتعبين
في دروبِ الأسى والأنين
تحت سوطِ الزمانِ النزق
لنكن أصدقاء،
الأكفُ التي عرفتُ كيف تجبى الدماء
وتحزُّ رقابَ الخليين والأبرياء
ستحسُّ اختلاجَ الشعور
كلَّما لامستُ إصبعاً أو يدا

والعيونُ التي طالما حدّقتُ في غرورُ
ترمقُ الموكبَ الأسودا
موكبَ الرازحينَ العبيدُ
هذه الأعينُ الفارغاتُ
ستُحسُّ الحياةُ
ويعودُ الجمودُ البليدُ
خلفها ألفَ عرقٍ جديدُ
والقلوبُ التي سمّعتُ في انتعاشُ
صرّخاتِ الجياعِ العطاشُ
ستذوبُ بكاءً على الجائعينُ
ستذوبُ لتسقى صدَى الظامئينُ
كأسهً ولتكنُ ملئتُ بالأنينُ

لنكنُ أصدقاءُ
نحنُ والحائرونُ
نحنُ والعزّلُ المتعبونُ
والذين يُقالُ لهم «مجرمونُ»
نحنُ والأشقياءُ
نحنُ والشملونُ بخمرِ الرجاءِ

والذين ينامون في القفر تحت السماء
نحن والتائهون بلا مأوى
نحن والصارخون بلا جدوى
نحن والأسرى
نحن والأمم الأخرى
في بحار الثلوج
في بلاد الزنوج
في الصحارى وفي كل أرض تضم البشر
كل أرض أصاحت لآلامنا
كل أرض تلقت توابيت أحلامنا
ووعت صرخات الضجر
من ضحايا القدر

لنكن أصدقاء
إن صوتاً وراء الدماء
في عروق الذين تساقوا كؤوس العداء
في عروق الذين يظنون كالشملىن
يطعنون الإخاء
يطعنون أعزاءهم باسمين

فى عُرُوقِ المَحَبِّينَ... والهاربينُ
من أحبائهم، من نداءِ الحنينِ
فى جميعِ العُرُوقِ
إنَّ صوتاً وراءَ جميعِ العُرُوقِ
هامساً فى قرارةِ كلِّ فؤادٍ خَفُوقِ
يجمعُ الأخوةَ النافرينِ
ويشدُّ قلوبَ الشقيينَ والضاحكينِ
ذلكَ الصوتُ، صوتُ الإخاءِ
فلنكنْ أصدقاءً

فى بعيدِ الديارِ
ووراءَ البحارِ
فى الصحارى، وفى القطبِ، فى المدنِ الآمنةِ
فى القرى الساكنةِ
أصدقاءُ بشرٍ
أصدقاءُ ينادونَ أينَ المفر؟
ويصيحونَ فى نبرةِ ذابلهِ
ويموتونَ فى وَحدةِ قاتلهِ
أصدقاءُ جِيعٍ، حُفَاةٍ، عُرَاهِ

لفظتهم شفاه الحياة

إنهم أشقياء

فلنكن أصدقاء

من بعيد

صوت عصف الرياح الشديد

ناقلاً ألف صوت مديد

من صراخ الضحايا وراء الحدود

في بقاع الوجود

الضحايا، ضحايا العراق

وضحايا القيود

وصدى «هياواتنا» هناك

مثقلاً بأنين الجوع

بأسى المصطلين لظى الحمى

بالذين يموتون دون وداع

دون أن يعرفوا أمّا

دونما آباء

دونما أصدقاء

جنازة المرح

يعكّر ظلمتي البارده
على صفحة القصة البائده
وإشعاعه الأنجم الحاقده
وأغمس عيني في دمعتين
ويُدْفئُ جبهته الهامده
وأمسح من زرقه الشفتين

يحبُ الظلام العميق العميق
على جسمه الشاعرى الرقيق
ولونها ضوءها بالبريق
تمجُّ الأسى والردى والمعذاب
أساطير عهدٍ سحيقٍ سحيق
خُ رعباً وأسقط فوق التراب

سأغلق نافذتي فالضياء
سأسدل هذا الستار السميك
وأطرّد صوتَ الرياح البليد
وأُسندُ رأسي إلى الذكريات
وأرسلُ حبي يلفُ القتيل
لعلّي أُرِدُّ إليه الحياة

سأغلقُ نافذتي فالقتيل
وأكرهُ أن يتمطى الضياء
على جبهة زرعته النجوم
وكانت تُشعُّ الحياة فعادت
تخطُّ عليها ذراعُ الممات
أمرُ عليها بكفى فأصرُ

سأغلق نافذتي فالظهير
تصبُّ سكينتها في برود
يطاردني صمتها السرمديُّ
وأين المفرُّ؟ تكاد الستائر
وأين المفرُّ؟ وهذا القتلُ
أمامي القتل وخلفي الظهير

سأصبرُ حتى يجيَّ الدجى
فأحملُ هذا القتلَ البريء
أسيرُ بأشلائه موكباً
وتبمعنى شَهَقَاتُ التذكَ
وفي آخرِ الموكبِ المترنحِ
وفي آخرِ الموكبِ المترنحِ

ةُ لا يتنهي حقدُها الرابعُ
ويسخرُ بي وجهُها الغاضبُ
ويكئبني لونها الراسبُ
تدخلها غرفتي المظلمه
يروّعني وجهه الشاحبُ
ةُ يا للمطاردة المؤلمه

ويغرب خلف الوجود الضياءُ
إلى هوةٍ من كهوف المساءِ
بطيء الخطى كلياالى الشتاءِ
برِ مهمومةٍ فى أسيّ وشرود
وجهٌ يشيعُ فى ازدراءِ
وجهٌ يشيعُ فى برودِ

عَرَفْتُ الْجَبِينَ عَرَفْتُ الشَّفَاهُ
عَرَفْتُ بِهَا وَجْهَ حَزْنِي الدِّفِينِ
وَفِي يَدِهِ مُسَدِيَّةٌ لَمْ يَزَلْ
عَرَفْتُ الْعَدُوَّ اللَّجْجُوجَ هَنَّاكَ
يُحَدِّقُ مُسْتَهْزِئًا بِالْقَتِيلِ
نَعَمْ هُوَ.. أَعْرِفُهُ جَيِّدًا

وَهَذِي الْعَيُونُ الْغَلَاظُ الْأَدِيمُ
وَقَدْ عَادَ يَحْمِلُ جِرْحِي الْقَدِيمِ
عَلَى حَدَّهَا دَمٌ أَمْسَى الْأَلِيمِ
يَسِيرُ عَلَى أَثَرِ الْمَوْكَبِ
وَيَضْحَكُ ضَحْكَةً فَظًّا أَثِيمِ
فَكَمْ مَرَّةً قَبْلُ قَدْ مَرَّ بِي

وَأَبْصَرْتُ فِي أَثَرِي أَلْفَ طَيْفٍ
عَرَفْتُ بِهَا الْبَسْمَاتِ الَّتِي
عَرَفْتُ بِهَا الضَّحِكَاتِ الَّتِي
أَهْذَى إِذْنُ بَسْمَاتِي؟ حَنَانًا
أَهْذَى إِذْنُ ضَحِكَاتِي أَهْذَى
وَهَذَا الْقَتِيلُ أَحَقُّاً فَقَدْتُ

حَزِينٍ تَلْفَعُ بِالْعَبِيرَاتِ
لَقِيتُ بِهَا لَطَمَاتِ الْحَيَاةِ
سَكَبْتُ نَدَاَهَا عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ
أَعْدَنُ عَبُوساً وَرَجَعُ أَثِينُ؟
نَهَايَةُ مَا صُغْتُ مِنْ بَسْمَاتِ؟
بِهِ مَرَحِي الْمُضْمَحَلُّ الدِّفِينُ؟

يوتوبيا فى الجبال

«مهداة إلى اختى إحسان التى شهدت معى مولدها
عند عين الماء الثلجية المنحدرة بين صخور سرسنك
الملونة».

تفجرى يا عيونُ
بالماء، بالأشعة الذائبة
تفجرى بالضوء، بالألوان، فوق القرية الشاحبه
فى ذلك الوادى المغطى بالدجى والسكون
تفجرى باللحون
فوق انبساط السفح بين التلال
فى المنحنى حيث تموج الظلال
تحت امتداد الغصون
تفجرى بالجمال
وشيدى يوتوبيا فى الجبال
يوتوبيا من شجرات القمم
ومن خير المياه
يوتوبيا من نغم
نابضة بالحياه

تفجّر، سيلي على مُنحدراتِ الصُخور
حيث يطيرُ الفراشُ
في نشوةٍ وارتعاشٍ
تفجّر حيثُ تنامُ الطيورُ
في جنةٍ من عطورٍ
حيثُ يغطّي السّفح غابٌ كثيفُ
صنوبريٌ الحفيفُ
تفجّر نقيّةً فوق حصي المنحدرِ
في عطفةِ الوادي العميقِ المخيفِ
في ظلّ الجوّز الرقيقِ الوريثِ
تحت انبساطِ الشجرِ
تفجّر في الصباحِ
تفجّر جارقةً كالرياحِ
تفجّر في الغروبِ
وشيدي يوتويا من قلوبِ
من كل قلبٍ لم تطأهُ الحقودُ
ولم تدنسه أكفُ الركودِ
من كل قلبٍ شاعريٍّ عميقٍ
لم يتمرّع بخطايا الوجودِ

من كلِّ قلبٍ رقيقٍ
مستغرقٍ في حلمه لا يُفِيقُ
إلا على حلمٍ بعيدٍ المدى
ليس له من حدودٍ
حلمٌ تحدى الغدا
من كلِّ قلبٍ لا يطيقُ الجمودَ
ولا صريرَ القيودِ
تفجّرى بيضاءَ فوق الصخرِ
لونا وضوءاً يتحدى كلَّ رجسٍ البشرِ
تفجّرى لن يسأمَ المنحدر
سيلى على النائمينِ
وأغرقى تهويمةَ الظالمينِ
فيضى على المبتئينِ
على قلوبٍ لا تحسُّ الحنينِ
على عيونٍ لم تُطهرها أكفُّ البكاءِ
على نفوسٍ لا تحسُّ السماءِ
على أكفٍّ تجهلُ الكبرياءِ
سيلى بعيداً في القرى الجائعة
حيثُ الحفاةُ العُراه

وحيث لا يبلغُ سَمْعَ الحياه
إلا صُراخُ الأنفس الضارعه
إلا عواءُ الذئابُ
فى عطفة الوادى الشقىّ الحزينُ
فى شاهقات الهضابُ
وحيثُ لا تبصرُ عينُ السنينُ
إلا أسى المتعينُ
قوافلٌ يحدو بها أشقياءُ
فى جنةٍ من رخاءٍ
قوافلُ الجائعينُ
فى ذلك الوادى الخصبِ الترابُ
قوافلُ الظامئينُ
يلتمسونَ السرابُ
والماءُ يجتاحُ انزلاقَ السنينُ
قوافلُ للملالِ
يحرّمها الكدُّ نقاءَ الجبالِ
قوافلُ مجتّ رنينِ الفؤوسِ
وغيرها للكؤوسِ
للنومِ والأحلامِ تحت الظلالِ
أنصافُ موتى لا تحسّ الجمالِ

تفجّري يا مياه
تفجّري فوق قُبُور البشر
تفجّري في الصخر
وسجّلي مأساة هذى الحياة
فوق جبين القدر
ما زالت القرية منذ القدم
أقصوبة ممزوجة بالآلم
قصت أساها الرياح
على شُحوب الصباح
تفجّري، سيلى وغطى القمم
ألقي على القصة ستر العدم
لا تذكرى هذا النشيد الحزين
ما كان إلا رجع صوت وهون
أصغت إليه السنين
في لحظة، ثم مضت في سُكون

سرسنك ١٩٤٨

وجوه ومرايا

يا كؤوس الأحلام يا من تخيل
آه لو تذكركين كيف أحس الـ
والرحيق الذي حلّمت به كيف
كيف حين استلمت كأسى أرسل
تُك أفقاً تضمُّه الأضواءُ
كون صحراء خلفها صحراءُ
ف طوته المرارة الخرساءُ
ت دموعى ولم يفدنى ارتواءُ

ارتوائى؟ أواه من حرق الرو
ارتوائى؟ هذا السراب الذى ير
ارتوائى حسبتُه شفقاً حل
ليس إلا اللاشئ يصدّم شوقى
ح لماذا تظلّ روحى ظمأى؟
كض قلبى وراءه وهو ينأى
وَأ فلما دنوت لم أر شيئاً
ويذيب الأحلام جزءاً فجزءاً

الفراغ الفراغ يقتلتى أو
آه لو لم تحلّ مواقع أقدا
السكوت السكوت يفغر فاه
والظلام الظلام يطفى عيني
أه لو كان للوجود وجود
مى امتداداً حدوده اللاحدود
وغداً يغرب الهوى والنشيد
فماذا أحس؟ ماذا أريد؟

أيها الليلُ ليلَ رُوحى أما من
ظماً صارخٌ بأعماقِ نفسى
آه لو لم يحلَّ رجائى الإلهى
آه لو كانت السعادةُ شيئاً

ملجأً من برودةِ الظلماءِ؟
لشُعاعٍ مُسَلَّسٍ من ضياءِ
سَرابٍ ضُحلاً وبعضَ عزاءِ
غيرَ هذى الفُقاعةِ السوداءِ

لقبوها الحياةُ وهى اضطرابٌ
وامتدادٌ للأنهى لا يب
لقبوني «أنا» ولم يفهمونى
أنا ماذا؟ تحرقُ ليس يرتنا

أبدىً ولهفةٌ لانتقَرُ
بدأ لا ينتهى فأين المفرُ؟
ما أنا ما وجودى المكفهرُ
حُ وظلُّ سرعانٍ ما سيمرُّ...

فى صفاءِ المرآةِ حدقتُ فى طي
كائنٌ شاحبٌ يحدقُ فى وج
هذه هذه أنا ليس من شكٍ
لم لا أستطيعُ أن ألمسَ الذا

فى طويلاً والشكُ فى مقلتيّ
هى مثلى محيراً مطويّاً
فلم لا أمسُّها بيديّ؟
ت؟ وأمحو تحرقى الأبدىّ؟

ثم ماذا! أمدُّ كفى فى شو
صدمةٌ صدمةٌ تمزقُ رُوحى
الزجاجُ الجبارُ شَفَّ ولكن
عن كيانٍ رسمتهُ أنا وحدى

ق عميقٍ فلا أعانقُ ذاتى
ليس إلا برودةُ المرآةِ
عن مثالٍ مشوهٍ للحياةِ
فإذا غبتُ غابَ فى الظُّلماتِ

الكيانُ المسوخُ ها أنا أمحو
ضربةً من يدي تحطمت المر
ليتني كنتُ صُتُّها عادَ وجهي
ليتني كنتُ صُتُّها ليتني أعـ

هُ كَفاهُ هُزءُ أبنار أسايا
آةُ فوق الشرى وعادت شظايا
ألفَ وجه تَطلُّ منها الضحايا
لمُ كيفَ المرأةُ عادت مَرايا

١٩٤٧

قبر ينفجر

ناديتُ أكداسَ الرمالِ: تفجّري
وهتفتُ يا روحَ المماتِ: تمزّقي
وصرختُ بالأرضِ الدنيئة: ارفعي
هذا فؤادي نابضاً، هذا دمي
لن تدفني جَسدي النقيّ الثائرا
لن تحبسي قلبى الجريء الساخرا
من قلبِ هذا الطينِ روحى الشاعرِ
متفجراً تحتَ الترابِ مشاعرا

بالأمسِ فى هذا الظلامِ دفنتنى
لم تسمعى دقاتِ قلبى فى الدُجى
لم تفهمى روحى وخلتِ سكونه
ووهمتِ أيتها الحياةُ فلم ترى
تحتَ الثرى ولففتنى بصُخوره
وأشحتِ عن إحساسه وشُوره
موتاً ولم يبلغك رجْعُ هديره
فى أدمعى غيرَ الردى وفتوره

ما نفعُ أكداسِ الترابِ جميعها؟
الجثةُ الظمأى التى أودعتها
الآنَ ينفجرانِ ناراً حيّةً
والآنَ ينبثقانِ من قلبِ الثرى
الآنَ ينفجرُ الترابُ الغاصبُ
بالأمسِ والوجهُ الكئيبُ الشاحبُ
ويسابقُ الإعصارَ روحى الصاحبُ
ويعودُ لى الأملِ الجميلِ الزاهبُ

ما خلته صَخْرًا إِلَيْكَ وَجِيبُهُ
القَبْرُ ضَجٌّ وَضَاقٌ تَحْتَ عَوَاطِفِي
هَذَا الرَّمَادُ حَذَارٍ مِنْ أَعْمَاقِهِ
يَا مَنْ حَسَبْتَ النَّارَ طِينًا خَامِدًا

هَذِي الْعَيُونُ حَذَارٍ مِنْهَا، إِنَّهَا
هَذِي الْعُرُوقُ حَذَارٍ مِنْ فَوْرَانِهَا
هَذِي الشَّفَاهُ حَذَارٍ مِنْ سَكَنَاتِهَا
هَذَا الْفَوَادُ حَذَارٍ مِنْ غَفَوَاتِهِ

نَادَيْتُ أَكْدَاسَ الرَّمَالِ: تَفْجَرِي
وَصَرَخْتُ بِالْأَرْضِ الدُّنْيَا أَرْفَعِي
فَإِذَا الْحَيَاةُ مُشْبِحةٌ عَنْ صَرَخَتِي
وَأَنَا عَلَى صَدْرِ التُّرَابِ تَمَرَّدُ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَحْطُمَ سَاعِدِي
سَأَفْجَرُ الْقَبْرَ الصَّغِيرَ حَجَارَةً
وَسَأَصْرَعُ الْمَوْتَ الضَّعِيفَ وَأَنْشِي
وَسَأَنْشُرُ الْأَلْحَانَ فِي صَمْتِ الدَّجَى

ما خلته صَمْتًا إِلَيْكَ نَشِيدُهُ
وَالطِّينُ حَوْلِي لَنْ أُطِيقَ رُكُودَهُ
فَوْرَاءَهُ جَمْرٌ نَسِيتَ رُكُودَهُ
وَنَسِيتَ إِعْصَارَ الصَّبَا وَخُلُودَهُ

خَلْفَ الْجَفُونِ عَمِيقَةً أَغْوَارُهَا
فَغْدًا سَيَصْرُخُ فِي الْمَدَى إِعْصَارُهَا
فَغْدًا سَتَجْتَاحُ الْمَدَى أَشْعَارُهَا
فَوْرَاءَ رَقْدِهِ الْحَيَاةُ وَنَارُهَا

وَهْتَفْتُ يَا رُوحَ الْمَمَاتِ، تَمَزَّقِي
أَسْرَ التُّرَابِ عَنِ الشَّبَابِ الْمَرْهَقِ
لَمْ يَأْتِهَا نَغَمُ اللَّهْيَبِ الْمُحْرِقِ
حُرٌّ وَنَارٌ تَوَثَّبَ وَتَحْرِقُ

هَذِي الْقِيُودَ وَهَا أَنَا، هَذِي يَدِي!
وَأَطِيرُ مِنْ أَمْسَى الْقَرِيبِ إِلَى غَدِي
بِمَخَافَتِي وَسَعَادَتِي وَتَنْهَدِي
يَا أَتَجَمُّ اللَّيْلَ الْمُضِيئَةَ فَاشْهَدِي

ناديتُ أكْداًسَ الرمالِ تفجّري
وجمعتُ أحلامى ومزّقتُ الثرى
وفتحتُ صدرى للضياءِ وسحره
أنا حيّةٌ يا أرضُ، هذى نغمتى

فتفجّرتُ تحتَ المساءِ المُظلمِ
بصفائها ووقفتُ تحتَ الأنجمِ
وصرختُ بالكونِ الجميلِ الملهمِ
هذا نشيدُ فؤادى المتكلّمِ

١٩٤٧

ذكريات

كانَ لَيْلٌ، كَانَتْ الْأَنْجُمُ لُغْزاً لَا يُحَلُّ
كانَ فِي رُوحِي شَيْءٌ صَاغَهُ الصَّمْتُ الْمُملُّ
كانَ فِي حَسَنِي تَخْدِيرٌ وَوَعْيٌ مُضْمَحَلُّ
كانَ فِي اللَّيْلِ جُمُودٌ لَا يُطَاقُ
كَانَتْ الظُّلْمَةُ أَسْرَاراً تُرَاقُ
كُنْتُ وَحْدِي لَمْ يَكُنْ يَتَّبِعُ خَطْوِي غَيْرُ ظِلِّي
أَنَا وَحْدِي، أَنَا وَاللَّيْلِ الشَّتَائِي... وَظِلِّي

لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ لَكِنْ كَانَ فِي عَيْنِي شَيْءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْسَمُ لَكِنْ كَانَ فِي رُوحِي ضَوْءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْكِي وَلَكِنْ كَانَ فِي نَفْسِي نَوءٌ
مَرَّيْ تَذْكَارُ شَيْءٍ لَا يُحَدُّ
بَعْضُ شَيْءٍ مَا لَهُ قَبْلُ وَيَعْدُ
رَبَّمَا كَانَ خَيْالاً صَاغَهُ فِكْرِي وَلَيْلِي
وَتَلَفْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَقْصَابِلْ غَيْرَ ظِلِّي

كان صمتٌ راکدٌ حولي كصمت الأبدية
ماتت الأطيّارُ أو نامت بأعشاش خفيّة
لم يكن ينطقُ حتى الرغباتُ الأدميّة
غير صوت رنٍّ في سمعي وذابا
لحظة لم أدرك حتى أين غابا
آه لو أدركتُ من القاهُ في الصمت الممل
أتراني لم أكن أمشي أنا وحدي وظلي؟

كانت الظلمةُ تمتدُّ إلى الأفقِ الغريبِ
كلُّ شيءٍ مفرقٌ فيها قلبي، كشحوبي
ظلمةٌ ممتدةٌ كالوهمِ كالموتِ الرهيبِ
غير ضوءٍ خاطفٍ مرَّ بجفني
لحظة لم تدرك ماذا كان، عيني
كان ضوءاً لونه لونُ خيالٍ مضمحلٍ
مرّ بي لمحاً وأبقاني أنا وحدي وظلي

كان في الجوِّ الشتائي ارتعاشٌ وجمودٌ
جمدَ الظلُّ من البردِ وغشّاه الرُكودُ
ليلةٌ يرجفُ في أجوائها حتى الجليدُ
غير دفءٍ طاف في قلبي الوجيه

فزتُ فيه من شتائى بربيع
وإذا فى عُمقِ قلبى فرحةُ الفَجْرِ المِطلِّ
غيرَ أنى كنتُ فى الليلِ أنا وحدى وظلى

كانَ فى روحى فِراغٌ جائعٌ كاللأ نهائيه
كانَ ظلى صامِتاً لا لحنَ لا رجعَ حكايه
باهتاً يتبعُ مَسْرَى خُطواتى دونَ غايه
غيرَ كأسٍ عَبَرَتْ حينَ صرَخْتُ
قطرةً وأحدهُ ثم ارتويتُ

أترأهُ كانَ أكذوبةً إحساسى المضلُّ
أوما كنتُ أنا وحدى مع الليلِ وظلِّى؟

كانَ قلبى مُتعباً يسكنه حُزنٌ فظيعُ
رقصتُ فيه وشدتهُ إلى الجُرحِ دُموعُ
صورٌ فى قَفْرِه يصبغُ مرآها النجيعُ
كانَ، لكنَّ يداً مرَّتْ عليه
حملتُ بعضَ تحاياها إليه

باركتُ آلامه السوداءَ كسَّانت يدَ طفلٍ
أى طفلٍ؟ لم يكنْ فى الليلِ غيرى غيرَ ظلى

تهم

أعبر عما تحسُّ حياتي وارسم إحساسَ رُوحِي الغريبِ
فأبكي إذا صدمتني السنين بخنجرها الأبدى الرهيبِ
وأضحكُ مما قضاهُ الزمان على الهيكلِ الآدميِّ العجيبِ
وأغضبُ حين يداسُ الشعورُ ويسخرُ من فورانِ اللهيبِ

أعبرُ عن كلِّ حسٍّ أعيه
وأبكي الحياةَ ولا أنكرُ
وأضحكُ من كلِّ ما تحتويه
وأغضبُ لكتني أشعرُ

يقولون شاعرةٌ في السحاب تخلقُ خلفَ سَرابِ النجومِ
أنانيَّةٌ لا تحسُّ الوجود وإن صرغتهُ جبالُ الغمومِ
خياليَّةٌ تمقتُ الكائنات وتخلقُ عالمها في الفيومِ
خريفيةٌ تكرهُ الضاحكين لتدفنَ جبهتها في الهمومِ

أنانيَّةٌ وأحبُّ البشرِ
خياليَّةٌ وحياتي تسيرُ
خريفيةٌ وأناجي الزهرِ
وعاطفتي لهبٌ من شعورِ

يقولون: عاشقة للظلام تُحبُّ الدياجي وتهوى السكون
وتشدُّ أشعارها للجبال وترسم أحلامها للعميرون
تُحبُّ الحياة ولكنهاها تعكّرها بخيال المنون
ترى جوها غيباً حالكا يضيقُ بآثامه الملهمون

أحبُّ الظلام ولكنني
أثورُ على كلِّ أحلامكم
أحبُّ الحياة على أنني
أحقُّرُ موكبَ أيامكم

يقولون: جامدة الحسُّ تحيا
يقولون: صوفيّةٌ فالحياة
عواطفها جمدت كالنجوم
وتحليقها كان ثم أمّحى
مع الأمس في حلم جامد
تنوحُ على حسّها الخامد
كنهويمة القمر البارد
على صدر إحساسها الراكد

يقولون لكنني تائهة
ألوذُ بصمّتي الخفيّ الغريب
أعيشُ حياتي كالآلهة
وقلبي شعورٌ وروحي لهيب

يقولون دَعهم غداً يعلمون ودعنى أنا للشَّذى والجمال
أحبُّ الحياةَ بقلبي العميق وأمزجُ واقعتها بالخيال
أحبُّ الطبيعةَ حبَّ جنون أحبُّ النخيلَ أحبُّ الجبال
وأعشق ذاتى ففى عمقها خيالٌ وجودٌ عميقِ الظلال

وأهتفُ يا نارَ قلبي الغريبِ
وموجَ أحاسيسى الشائره
إذا اتهموا فلماذا أُجيبُ
بغيرِ ابتسامتى الساخره؟

١٩٤٧

رماد

أهكذا داست علينا الحياه
لم تبق إلا الندم الأسود
لم تبق منا صدى
وصوت واخيبته

أهكذا لم يبق إلا الرماد
أليس من كوكبنا الأفل
فى الموقد الذابل؟
إمضاة تستعاذ؟

أليس عنا نبأ أو نشيد
ألم تعد قصتنا البائده
أو همسة واحدة؟
توقظ عرقاً جديداً؟

ألم يعد قط لنا من مكان
أليس فى كاساتنا الخالية
فى القصّة الجارية؟
شيء يهم الزمان؟

وذلك الموكب والسائرون
لم يدركوا أن هوانا اندثر
فوق ثرى المنحدر
فى عمق قبر السكون

ووقع أقدام الهوى الراحله
تنقلها الريح فلا تستعيد
إلى مكان بعيد
أحسانها القافله

ونحن ما زلنا نُجْرُ الحنينُ
أقيادنا مثقلةٌ بالحياة

والأمسَ والذكـريـات
ونحنُ في الميـتـينِ

ونحن ما زلنا نسوق الرَّمادَ
وأذرعُ الأحلامِ ترجو سُدَى

لنطعمَ الموقـدَ
خلقَ غـدٍ من جمـادٍ

وبعثَ ماضٍ لونه أركانهُ
أمسى رهيباً تُنكرُ الأيامُ

من مـزقِ الأحلامِ
عـارى جـذرائه

أمسى بعيداً تحجبُ الوديانُ
تعيثُ فيه الهدأةُ الساهمه

أسـوارهُ القـائمـه
ويحكـمُ النسيـانُ

والريـحُ لم تُبقِ على بابهِ
لم تُبقِ حتى وقعَ أقدامنا

حُرُوفَ أسـمائنا
في جـوِّ مـحرابه

وربَّما طافتُ به في دُحُولِ
تطوفُ حولَ الغُرفِ الخالية

أشباحنا الباكـيه
سُدى تُريدُ الدُخُولَ

أشباحنا يضلُّها الإعصارُ
تَظَلُّ ولهى تَلطُمُ الأبوابُ

تحتَ غلافِ الضبابِ
والحـائِطُ المُنهارُ

أشباحنا حافرة في ارتعاد
لا صورة تنبض فيها حياة

مقببرة الذكريات
لا شيء غنير الرَّمَادُ

تُنصتُ في رُغْبٍ وفي إعْيَاءٍ
فلا تعي إلا بقايا أنين

عند السِيَّاحِ الحَزِينِ
تُرسله الأَقْبِيَاءُ

أشباحنا تستفهم النسيان
فلا ترى إلا الردى الجائع

عن أمسها الضائع
يقوض البُنيان

وأذرعُ السَرَوِ تَمُدُّ الذُّهُولَ
كأنها تَقْدِفُ فوق القُبابِ

فوق شُحُوبِ الخرابِ
مَعْنَى الرَدَى والذُّبُولِ

ولفظة واحدة واحده
سمعتها تفح كالأفعوان

تَكَرَّرَتْ في المَكَانِ
في الشُّرْفِ البَارِدِ

أبصرتها مكتوبةً باللهيبِ
وفوق ساقِ السُرْوَةِ العارِيةِ

في الغُرْفِ الباليِ
وفي الفناءِ الجَدِيدِ

أحسستها تهمس معنى «مضى»
أبصرتها في كلِّ ركنٍ رهيبِ

ملء المساء الكئيبِ
أبصرت لفظاً «انقضى»

وتلتقى أشباحنا في المساء
تنظرُ في تقطِبةٍ ساهمه

باردةً واجممه
في سَوْرَةٍ من غيباء

أشباحنا تطلبُ ماضينا
كيف انقضى؟ ألم يعد في الدارِ

لا تُدركُ الأسرارَ
صوتٌ ينادينا؟

أهكذا داست علينا الحياه
لم تُبقِ إلا الندمَ

لم تُبقِ منا صدى؟
وصوتَ واخيهتاه؟

١٩٤٨

الخيط المشدود فى شجرة السرو

-١-

فى سواد الشارع المظلم والصمت الأصم
حيث لا لون سوى لون الدياجى المدلهم
حيث يرخى شجر الدفلى أساه
فوق وجه الأرض ظلاً،
قصة حدثنى صوت بها ثم اضمحلا
وتلاشت فى الدياجى شفتاه

-٢-

قصة الحب الذى يحسبه قلبك ماتا
وهو ما زال انفجاراً وحياة
وغداً يعصرُك الشوق إلّياً
وتنادينى فتعنى،
تضغطُ الذكرى على صدرك عبثاً
من جنون، ثم لا تلمسُ شيئاً
أى شىءٍ حلم لفظ رقيق
أى شىءٍ، ويناديك الطريق
فتفريق.

ويراك الليلُ في الدربِ وحيدا
تسألُ الأَمْسَ البعيدا
أن يعودا
ويراك الشارعُ الحالمُ والدُّقْلَى، تسيرُ
لونُ عينيكِ انفعالٌ وجبورُ
وعلى وجهك حبٌّ وشعورُ
كلّ ما في عمقِ أعماقِك مرسومٌ هناك
وأنا نفسي أراك
من مكاني الداكن الساجي البعيد
وأرى الحلمَ السعيد
خلفَ عينيكِ يُناديني كسيرا
..... وترى البيتَ أخيرا
بيتنا، حيثُ التقينا
عندما كان هَوانا ذلك الطفلُ الغريرا
لونهُ في شفتينا
وارتعاشاتُ صباهُ في يدينا

-٣-

وترى البيتَ فتبقى لحظةً دونَ حرّاك:
«ها هو البيتُ كما كان، هناك

لم يزل تحجبه الدُفلى ويحنو
فوقه النارج والسر والأغن
وهنا مجلسنا....

ماذا أحسُّ؟

حيرة في عمق أعماقي، وهمس
ونذير يتحدى حلم قلبي
ربما كانت... ولكن فيم رُعبى؟
هى ما زالت على عهد هوانا
هى ما زالت حنانا
وستلقانى تحاياها كما كنا قديما
وستلقانى.....».

وتمشى مطمئناً هادئاً

فى الممر المظلم الساكن، تمشى هازئاً
بهتاف الهاجس المنذر بالوهم الكذوب:
«ها أنا عدت وقد فارقت أكداس ذنوبى
ها أنا ألمح عينيك تطلُّ
ربما كنت وراء الباب، أو يخفيك ظلُّ
ها أنا عدت، وهذا السلمُ
هو ذا الباب العميق اللون، مالى أحجمُ؟
لحظة ثم أراها

لحظةً ثم أعى وقع خطاها
ليكن.. فلا طرق الباب...

وتمضى لحظات

ويصرُّ البابُ في صوتِ كتيبِ النِّبراتِ
وترى في ظُلْمةِ الدهليزِ وجهاً شاحباً
جامداً يعكسُ ظلاً غارِباً:
«هل...؟» ويخبو صوتك المبحوحُ في نبرِ حزينٍ
لا تقولى إنها...

«يا للجنون!

أيها الحالمُ، عمَّن تسألُ؟
إنها ماتت»

وتمضى لحظتان

أنت ما زلتَ كأنَّ لم تسمعِ الصوتَ المُثيرُ
جامداً، تَرْمُقُ أطرافَ المكانِ
شاردأً، طرفك مشدودٌ إلى خيطٍ صغيرٍ
شدَّ في السُرُوة لا تدري متى؟
ولماذا؟ فهو ما كان هناك
منذُ شهرين، وكادت شفتاك
تسألُ الأختَ عن الخيطِ الصغيرِ
ولماذا علَّقوه؟ ومتى؟

ويرنُ الصوتُ في سمعك: «ماتت...»
«إنها ماتت...» وترنو في برودِ
فترى الخيطَ حبلاً من جليدِ
عقدتها أذرعٌ غابت ووارتها المنونُ
منذ آلاف القرونِ
وترى الوجهَ الحزينِ
ضخمتهُ سحبُ الرُّعبِ على عينيك، «ماتت...»

-٤-

هي «ماتت...» لفظةٌ من دون معنى
وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يفنى
ليس يعنك تواليه الرتيبُ
كل ما تبصره الآن هو الخيطُ العجيبُ
أتراها هي شدته؟ ويعلو
ذلك الصوتُ المملُ
صوتُ «ماتت» داوياً، لا يضمحلُ
يملاً الليلَ صُراخاً ودوياً
«إنها ماتت» صدى يهمسه الصوتُ ملياً
وهتافٌ رددته الظلماتُ
وروته شجراتُ السرو في صوتٍ عميقِ

«إنها ماتت» وهذا ما تقولُ العاصفاتُ
«إنها ماتت» صدىً يصرخُ في النجم السحيقِ
وتكادُ الآن أن تسمعه خلفَ العروقِ

-٥-

صوتُ ماتت رنَّ في كلِّ مكانٍ
هذه المطرقةُ الجوفاءُ في سَمعِ الزمانِ
صوتُ «ماتت» خائقُ كالأفعوانِ
كلُّ حرفٍ عصبٌ يلهثُ في صدركَ رُعباً
ورؤى مشنقة حمراء لا تملك قلباً
وتجنّى مخلبٌ مُختلجٌ ينهشُ نهشاً
وصدى صوت جحيمى أجشاً
هذه المطرقةُ الجوفاءُ: «ماتت»
هى ماتت، وخلا العالمُ منها
وسدى ما تسألُ الظلمةَ عنها
وسدى تُصغى إلى وقعِ خطاها
وسدى تبحثُ عنها في القمرِ
وسدى تحلمُ يوماً أن تراها
فى مكانٍ غيرِ أقباءِ الذكرِ
إنها غابت وراءَ الأنجمِ

واستحالت ومضة من حلم

-٦-

ثم ها أنت هنا، دون حراك
متعباً، توشك أن تنهار في أرض الممر
طرفك الحائر مشدود هناك
عند خيط شد في السروة، يطوى ألف سر
ذلك الخيط الغريب
ذلك اللغز المريب
إنه كل بقايا حبك الذاوي الكئيب.

-٧-

ويراك الليل تمشي عائدا
في يدك الخيط، والعرشة، والعرق المدوي.
«إنها ماتت...» وتمضي شاردة
عابثاً بالخيط تطويه وتلوي
حول إبهامك أخراه، فلا شيء سواه،
كل ما أبقى لك الحب العميق
هو هذا الخيط واللفظ الصفيق
لفظ «ماتت» وانطوى كل هتاف ما عداه

للقارئ

وردت فى سياق القصائد بضع كلمات أوربية، قد يهم القارئ أن يقرأ لكل منها شرحاً موجزاً:

يوتوبيا Utopia

كلمة إغريقية معناها «لا مكان» استعملتها للدلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا فى أحلامى، ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيا التى تخيلها الكاتب الانكليزى توماس مورفى فى كتاب ألفه باللغة اللاتينية سنة ١٥١٦ ورسم فيه صورة سياسية إدارية للجزيرة المثلى كما يريد لها هو، قياساً على جمهورية أفلاطون.

ديانا Diana

عند اليونان القدماء، إلهة القمر، وحامية الصيد، كانوا يتخيلون أنها تسوق عربة القمر البيضاء كل مساء عبر السماء.

نارسييس Narcisse

زهرة النرجس فى الأساطير اليونانية القديمة، إن نارسييس كان شاباً فاتناً شديد الغرور بجماله، فعاقبته الآلهة على كبريائه بأن جعلته يعشق صورته، بعد أن رآها منعكسة فى ماء بحيرة صافية ذات يوم، ثم رقت له فحولته إلى الزهرة التى مازالت تحمل اسمه.

ابولو Apollo

إله الوحي والفن، وقائد عربة الشمس في الفضاء عند قدماء الإغريق، وهو شقيق ديانا التي مر ذكرها.

لابرنث Labyrinth

كلمة إغريقية الأصل، معناها بناء ذو مسالك معقدة وأبواب لا حصر لها، متصلة بعدد كبير من الممرات والدهاليز والأقباء، بحيث إذا دخله إنسان لم يملك الخروج منه.

وقد استعملت هذه اللفظة في قصيدة «الأفعوان» اسماً لطريق شيده «أمير غريب الطباع، ثم مات الأمير... وأبقى الطريق...» وربما كان باعث كلمة أمير في ذهني، اقتران كلمة- لابرنثوس- بشبه حكاية أسطورية تتعلق بتاريخ مصر القديم، فقد حكى عن هيروdotus أنه حين مرّ بمصر رأى بناء غريباً هائل الضخامة أشبه بلغز كبير محير، من دخله لم يجد مخرجاً منه، شيده أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ومن يدري؟ لعل الملك الذي شيد هذا البناء أراد أن يتخذ منه مخبأ لا يدركه فيه «أفعوانه» الخاص.

هياواثا Hiawatha

بطل أسطورة من أساطير هنود الشمال في أمريكا اختارها الشاعر الأمريكي لونكفلو موضوعاً للحمية شعرية كتبها سنة ١٨٥٥، والجزء الذي تهمننا الإشارة إليه من هذه الملحمة، أن زوجة هياواثا الشابة قد ماتت على أثر شتاء قاس انشب ثلوجه وأعاصيره في القرية، منزلاً بسكانها الجوع والحمى والموت؛ ولذلك استعملت كلمة «هياواثا» في قصيدة «لنكن اصدقاء» رمزاً لصرخات الاستغاثة والشكوى في أرض يموت سكانها مدفونين في الثلج جائعين محمومين.

فهرست

مقدمة عبده بدوى	٥
من سيرة حياتى وثقاقتى	٢٩

مأساة الحياة

تقدمة	٥١
مأساة الحياة	٥٩
على تل الرمال	٦٤
آدم وحواء	٦٨
قاييل وهايل	٦٩
الحرب العالمية الثانية	٧١
عيون الأموات	٧٤
أنشودة السلام	٧٦
البحث عن السعادة	٨١
بين قصور الأغنياء	٨٥
عند الرهبان	٨٧
مع الأشرار	٩١
فى الريف	٩٣
بين الفنانين	١٠٢
مأساة الشاعر	١٠٣
عند العشاق	١١١
قيس وليلى	١١٥
فى أحضان الطبيعة	١١٧
القصر والكوخ	١٢٣

١٢٥	كآبة الفصول الأربعة
١٣٥	أسطورة نهر النسيان
١٣٧	أنشودة الأموات
١٤٠	مرثية للإنسان
١٤٣	مأساة الأطفال
١٤٧	أحزان الشباب
١٥٤	آلام الشيخوخة
١٥٨	بين يدي الله
١٦٠	الرحيل

أغنية للإنسان (١)

١٩٢	نداء إلى السعادة
٢٠٢	صلاة إلى بلاوتس
٢١٠	أنشودة الرهبان
٢١٤	أغنية تاييس

أغنية للإنسان (٢)

٢١٧	ذكريات الطفولة
٢٢٤	آدم وفردوسة
٢٣٠	الحرب العالمية الثانية
٢٣٩	البحث عن السعادة
٢٤٣	أنشودة الرياح (١)
٢٤٤	بين القصور
٢٤٦	أنشودة الرياح

٢٤٨	فى دنيا الرهبان
٢٥١	أنشودة الرياح (٣)
٢٥٣	فى دنيا الأشرار
٢٥٦	أنشودة الرياح (٤)
٢٥٨	فى الريف
٢٦٥	أنشودة الرياح (٥)
٢٦٧	فى عالم الشعراء

عاشقة الليل

٢٧٥	ذكريات ممحوة
٢٨٠	ذكرى مولدى
٢٨٤	الحياة المحترقة
٢٨٧	فى وادى العبيد
٢٩١	ثورة على الشمس
٢٩٦	بين فكى الموت
٣٠١	السفر
٣٠٣	مرثية غريق
٣٠٧	على حافة الهوة
٣١٠	سياط وأصدقاء
٣١٢	نغمات مرتعشة
٣١٥	المقبرة الغريقة
٣٢٠	عودة الغريب
٣٢٣	الغروب
٣٢٨	عاشقة الليل

٣٣١	فى وادى الحياة
٣٣٣	أشواق وأحزان
٣٣٥	مدينة الحب
٣٣٧	إلى عينى الحزبتين
٣٤١	خواطر مائة
٣٤٤	التمثيل
٣٤٧	ذات مساء
٣٥٢	جزيرة الوحى
٣٥٥	على وقع المطر
٣٥٩	شجرة الذكرى
٣٦٢	الخيال والواقع
٣٦٥	السفينة التائهة
٣٦٨	قلب ميت
٣٧١	بعد عام
٣٧٣	العودة إلى المعبد
٣٧٦	عيد الإنسانية
٣٧٩	ليلة ممطرة
٣٨٢	أنشودة الأبدية
٣٨٦	على الجسر
٣٨٩	إلى الشاعر كيتس
٣٩٣	١- صوت التشاؤم
٣٩٤	٢- صوت الأمل
٣٩٥	٣- صوت الشاعر

٣٩٦	الخطوة الأخيرة
٤٠٠	البحر
٤٠٣	مرثية فى مقبرة ريفية
٤١١	الكلمات المكتوبة على القبر

شظايا ورماد

٤١٥	مقدمة
٤٢٩	كبرياء
٤٣١	يوتويا الضائعة
٤٣٥	تواريخ قديمة وجديدة
٤٣٧	صرع
٤٤٠	عندما اتبعث الماضى
٤٤٣	مرَّ القطار
٤٤٧	عروق خامدة
٤٤٩	الجرح الغاضب
٤٥٢	الباحثة عن الغد
٤٥٤	الأفعوان
٤٥٩	خرافات
٤٦٣	جحود
٤٦٦	مرثية يوم تافه
٤٦٩	ألغاز
٤٧٢	جامعة الظلال
٤٧٦	أجراس سوداء
٤٧٨	نهاية السلم

٤٨١ أنا
٤٨٣ غرباء
٤٨٥ أغنية الهاوية
٤٨٩ فى جبال الشمال
٤٩٤ إلى عمتى الراحلة
٤٩٨ الكوليرا
٥٠١ لنكن أصدقاء
٥٠٦ جنازة المرح
٥٠٩ يوتوبيا فى الجبال
٥١٤ وجوه ومرايا
٥١٧ قبر ينفجر
٥٢٠ ذكريات
٥٢٣ تهم
٥٢٦ رماد
٥٣٠ الخيط المشدود فى شجرة السرو
٥٣٧ للقارئ

فى عام ١٩٤٧ صدرت لى أول مجموعة شعرية. وقد سمّيتها «عاشقة الليل» لأن الليل كان يرمز عندى إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء. وكنت فى الليل أعزف على عودى فى الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغنى ساعات كل مساء. وقد كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس أنفاسى إذا ما سمعت صوت عبد الوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلى جهاز حاك (غرامافون) يدور فى بيت الجيران، وكنت سريعة الحفظ لأى أغنية أسمعها، وكانت أمى لا تفتأ تندهش دهشة كبيرة عندما تسمعنى أغنى، وما زلت أذكر صوتها فى صغرى وهى تتلفت، وتقول: يا إلهى ! من أين حفظت ابنتى كل هذه الأغانى؟ ومتى سمعتها؟ وكيف؟ ولم تدر أننى كنت حين أسمع حاكياً يدور بأغنية أقف مسمرة فى مكانى حتى لو كنت فى الشارع.

وفى تلك الأيام البعيدة لم يكن المذيع قد دخل الحياة فى العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الأغانى لا يتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد البث إلا فى سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

نازك الملائكة



المجلس الأعلى للثقافة